

الفَوْتَانِي

١١٥

مُكَلَّمةُ الشَّيْخِ
الدُّكتُورُ مُحَمَّدُ الصَّارِقِي

الفِرْوَانُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
بِالْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ

الْجَزْءُ الْخَامِسُ عَشَرُ
سُورَةُ الْإِسْرَارِ

سَارِقَاتُ الْأَسْمَاءِ
لِلْعُلْيَاءِ اعْتَدَهُ وَالنَّشَرُ وَالتَّوزِيعُ
بَيْرُوتُ - بَلْعَلْيَاءُ

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا

حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّلنَّاسِ

إِسْرَائِيلَ أَلَا تَتَخَذُوا مِنْ دُونِنِي وَكِيلًا﴾ (٢) ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمْلَنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣)

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِتُقْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلَمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ

وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا

مَفْعُولاً﴾ (٥)

ثُمَّ رَدَدْنَا لِكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسْأَلْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيُسُوقُوا وُجُوهُكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجَدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرَا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

سورة مثلثة الأسماء : الأسرى . بني إسرائيل . سبحان : تبني الرسالة الإسلامية بمقتضياتها ومخالفتها كقاعدة أصلية ، بأصولها الثلاثة ، وما تتضمنه من ملاحم وبشارات وإنذارات مثلثات ، بدايتها «سبحان» لتأكيد وتوطيد الرحلة المراجعة المنقطعة النظير ، ونهايتها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تسبیح يضرب الى الحمد فانه تسبیح بالحمد وينهمما متوسطات ! وفي السورة قيلات خمس : إنما مكية إلا آيات : اثنتين او ثلاث او خمس او ثمان (١)
ولا توحى هذه او تلك بمعنیتها ولا تلمح إذ نزلت نظائرها

(١) مدنیتان كما في روح المعانی هما «وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلُونَكَ ...» «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَقْرِئُونَكَ ...» وعن بعضهم اضافة : «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْاطَ بِالنَّاسِ ...» وفُلَنْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِ ...» وعلَل الإخراج او منه الإخراج الى المدينة فهي مكية إذ تنبئ عن مستقبل ، وعن الحسن الا «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ ...» «وَلَا تَقْرُبُوا الرَّبِّيَ ...» «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ...» «أَقِمِ الصَّلَاةَ ...» «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ...» وعن مقاتل .

في المكبات ، ثم هي بين دالة على مكيتها او غير دالة على مدنيتها فقد تكون مكية كلها كما يقتضيه طبع الألفة والتأليف.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِتُرِيكَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

هنا إجمال عن الرحلة المراجعة الى أقصى اعمق الفضاء ، وفي التكوير إجمال اخر
ما هنا : ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ثم ينجم تفصيلها في النجم : ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾
مثلث بارع رائع عن هذه الرحلة الرهيبة الخارقة ، يفسر بعضها بعضا وينطق بعضها على
بعض ، مهما اختلفت فيها الروايات فلتعرض على القرآن لكي تتحو نحو القرآن.

«سبحان» خير بداية تتلو خير ختام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تبدأ بها سورة السبحان الأسرى .
بني إسرائيل ، كأليق حركة نفسية نفيسة تتسلق مع واقع الاسراء وجوه اللطيف ، وأحرى حالة
روحية حيث يبلغ صاحبها إلى الأفق الأعلى المبين .

و «سبحان» علم للتسبيح منحصر في الله ومنحصر عن غير الله ،凡 انه التنزيه المطلق
(١) ، فيختص بالتنزيه المطلق ، وليس مطلق التنزيه حتى يشمل من سوى الله من الكاملين ،
وان في أعلى قمم الكمال

. الا «وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ ...» «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَغْرِيُوكَ ...» «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ ...» «وَقُلْنَاهُ لَكَ ...» «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...» وآية الاستفزاز تشهد أنها مكية كآية الإدخال وسوها لا تشهد أنها مدنية . وعن قادة
المعدل عن ابن عباس إلا ثمانى هي «وَإِنْ كَادُوا ... الى «وَقُلْنَاهُ ...» .

(١) تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣ في العقد الفريد عن طلحه قال : سألت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن تفسير سبحان الله فقال : تنزيه الله تعالى عن كل سوء .

حيث الفقر ذواثم ، والنقص كياثم فأني لهم سبحانه مطلق!

والله تعالى ذاته سبحانه وصفاته سبحانه وأفعاله سبحانه ، وهي هنا : سبحانه ذاته ان يرجع إليها عبده أي عروج كان ، في المكانة أو في المكان ، فإنه مكن المكان فليس له مكان ، وحد الحدود والجهات فليست له حدود وجهات ، وهو النهي للنهايات والمغبي للغايات ، فسبحان ذاته أن يكون منتهى العروج لعبده بأي معنى كان ، اللهم إلا قمة المعرفة الممكنة بالله : ﴿لَمْ دَنَا فَتَدَلَّ. فَكَانَ قَابَ قُوَسِينِ أَوْ أَدْنِ﴾!

ثم وسبحان أفعاله ان يعجز عن معراج عبده بجسمه وروحه إلى سماواته ليريه بعض آياته ، كما يهتف به من لا يعرف قدرته تعالى على كل شيء.

وسبحان صفاتة عن ان يضن ويخل عن هذه المكرمة الغالية لأول العبادين وسيد الخلق أجمعين ، فسبحانه سبحانه سبحانه عن اي رين وشين في هذا البين.

ثم و «سبحان» تتكلل . ككل . بيان سلبية الصفات غير اللاقفات بجناب عزه ، كما «الحمد» بيان للثابتات اللاقفات بحضوره قدسه.

﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَدِيهِ لَيَلَّا ...﴾.

«اسرى» من «السرى» : سير الليل . ولكنها مضمن معنى الرفعة والعلو فسراة كل شيء أعلى ، كسراة النهار : ارتفاعه ، رفعة حسية او معنوية : ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكَ سَرِيًّا﴾ (١٩ : ٢٤) رفيعا عظيما هو المسيح (عليه السلام) كما السر وشجرة مستقيمة رفيعة ، وقد تجمع «السرى» بين الرفعتين كما في سرى الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) سرى أرضية إلى القدس في سفرة جوية ، ثم سماوية إلى الأفق الأعلى مكانة ومكانا.

وإذا كانت السرى سير الليل فلما ذا هنا «ليلًا» وكما في ثانية ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٤٤ : ٢٣) وثالثة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقْطَعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (١١ : ٨١) ومن ثم في رابعة تأتي دون ليل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٢٦ : ٥٢).
نقول : إن جمع الليل الى السرى إذا كان مع عدم جمعه سيان كما في سرى موسى فالليل لمزيد الإيضاح ^(١). ام ولكي يعرف أنها في ليلة واحدة لا ليال. وإذا . لا . كما في لوط : ﴿بِقْطَعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ قسم من الليل يؤمن فيه عن ملاحقة قومه ، لا كله أو أية قطعة منه حيث الخطر حادق والعدو حاذق ، فلهذه وتلك.

ام لهذه وسوها من نكات كما في الإسراء يجمعها : ١ . دلالة على ان السرى كانت في ليلة واحدة حيث الوحدة لائحة من تنكير «ليلًا» لا في ليال ، حيث السرى وحدتها أعم من ليلة او ليال. ٢ . وإشارة إلى أنها كانت في قطع من ليالها دون تمامه ، حيث القطعة مشار إليها بالتنكير «ليلًا» كما الوحدة ، فاستغراق الليل يقتضي «الليل» لا «ليلًا» و ٣ . افاده للتعظيم حيث كانت ليلة العروج وكانت الإثنين وما ادرك ما الاثنان؟ انه (صَلَّى الله عليه وآلِه وسَلَّمَ) ولد يوم الاثنين وبعث الاثنين ، وعرج به الاثنين وخرج من مكة مهاجرا الاثنين ودخل المدينة الاثنين ، وارتحل الى رحمة رب الاثنين ، اثنينات ست تعم حياته ، فسلام عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم عرج ويوم هاجر ويوم مات ويوم يبعث حيا ، ثم وهو هو الثاني في الكون والكيان بعد الحضرة الإلهية ، فالله هو الأول في مثلث الذات

(١) كما في «وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ». قصدا الى ان نفي الاثنينية كاثبات الوحدة مقصود ، دون ان يكون النفي هامشيا.

علمه لأن «محمدًا» دون وصف العبودية أو الرسالة لا يحمل ما يتتحمل هكذا مراج ،
ولا يذكر حين يذكر إلا للتعریف الاسمی بالرسول النبي .
ثم هذا العروج لم يكن رحلة رسالية ، وإنما عبودية تتبعی كما له في نفسه حيث **﴿دنا**
فتَدَلَّى﴾. فكان قاب **﴿قَوْسِينٍ أَوْ أَدْنِي ... لَفَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرِي ...﴾** فالرحلة من الرب
إلى الخلق رسالة ، ومن الخلق إلى الرب تکملة العبودية في ذاته لتکتميل الرسالة.

(١) كما عن ابن عطية .

(٢) . كما عن أبي عبيدة .

(٣) . وقال الليث : اسرى لاول الليل وسرى لآخره.

ثم العبودية تزيل حجب النور وحجب الظلمة والرسالة هي هي من حجب النور ، وهو في مقام الدنو والتلبي يتخلّى عن الحجب كلها ويتحلّى بخلية العبودية في أعلى قممها ﴿فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ﴾ دون نبيه أو رسوله ، وحياناً سريّاً يخصه دون سواه فسرى المراجج تقتضي سرى العبودية.

ومن ثم ما احلى صيغة «عبده» وصياغته وصياغته ان لو لم تكن هنا لك رسالة ، لم تكن هنا لاول العابدين صيغة أجرد من «عبده». ثم لا نجد في القرآن «عبدنا» و «عبده» إلا لصاحب المراجج ^(١) اللهم الا لداود وأيوب وزكريا ونوح ولكنه في زكريا في ظل رحمة ربك : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ رَّكْرِيَا﴾ (١٩ : ٢) وفي داود تسليمة لصبره : اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤَدْ ذَا الْأَيَّدِ﴾ (٣٨ : ١٧) وفي أيوب كذلك ذكرى لكي يصبر : ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ...﴾ (٤١ : ٣٨) وفي نوح تصبرا على طول المدة ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَلَّبُوا عَبْدَنَا﴾ (٥٤ : ٩).

فليس إذا «عبده» إلا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كأنه هو عبده لا سواه ، لأنه جامع مجتمع العبودية فهو ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ كما وأنه هو رسوله لا سواه ، كما تلمح لها آياتهما وتأتي في طياتها.

ثم و «عبده» تقريراً في مقام الإسراء إلى الدرجات العلي ، ول끼 لا تنسي هذه الصفة في زهوة الرحلة الفضائية وزهرة المراجج ، وليس لينساه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثم ولا يتبس مقام العبودية بمقام

(١) «وَإِنْ كُنْشَمْ فِي رَبِّ بِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا» (٢ : ٢٣) «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ» (٨ : ٤١) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ» (١٨ : ١) تباركَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ» (٢٥ : ١) «فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ» (٥٢ : ١٠) «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ» (٥٧ : ٩).

الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية.

وأخيرا «عبدة» توحى بأن هذه السرى كانت بجزئيه : روحه وجسمه ، دون تقسيم فلم يقل بروح عبده او بجسمه حتى يهرفه الهاروفون ويخرفه الخارفون : ان المراج كان روحيا ، او يرزخيا في رؤياه ام ماذا؟ وإنما «عبدة» فصاحب المراج هنا «عبدة» وفي النجم «صاحبكم» ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ وفي التكوير هو رسول كريم : ﴿إِنَّهُ لَغَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ لَمَّا أَمِينَ. وَمَا صَاحِبُكُمْ إِمَّا جَحُونٌ. وَلَقَذْ رَآهُ بِالْأُفْقِ الْمُبِين﴾ (٢٣).

أتري بعد ان «صاحبكم» «عبدة» «رسول» هي فقط روحه ، وهو ما صاحبنا . فقط بروحه ، وما رسالته . فقط . في روحه ، وما عبوديته . فقط . بروحه ، ان هذه إلا هرطقة هراء والله منها براء . فـ «سبحانه سبحانه سبحانه من قيلات هي ويلات على الحق المبين فأين . تذهبون (١) .

ولماذا «ليلًا» لا نهارا ، ام مزدوجا ، والنهار أبين للناظرين وأبعد إنكارا للناكرین؟ عليه لأن الليل هنا كان نهارا هناك ولكي يرى من آيات ربه وضح النهار ، أم عليه لأن الليل أهدى وأوقع لسرى المراج ، وناشتته

(١) وما في دعاء الندب «وعرجت بروحه» غلط من الناقل والمنقول عنه والصحيح «وعرجت به» كما في نسخة ثانية جعلها الحدث القمي فرعا ، والفرع أصلا . فأصله لا اصل له وفرعه هو الأصل! وقد يشبه أصله ما يروى عن عائشة «ما فقدت جسد رسول الله ولكن أسرى بروحه» كما في الدر المنشور عنها . فقد كذبت مرتين : ان الاسراء كانت قبل ان يتزوجها بزمان فانها قبل الهجرة بستة وزواجها بعدها بزمان ، وان الاسراء كان من المسجد الحرام لا بيت عائشة ام اي بيت ، ثم وأحاديثنا متظافرة بالمراج الجسماني والروحاني معا دون تبعيض (راجع ج ٢٦ - ٢٣ . الفرقان ص ٤١٤ . ٤١٥ وقد وافق عائشته زميلها معاوية في نكران المراج الجسماني ومعاوية كان يومئذ كافرا .

هي ﴿أَشَدُّ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلَا﴾ (٧٣ : ٦) وأية ناشئة طوال حياته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انشأ وانشط من ناشئة المعراج فلتكن ليلا ، ولا يحول الليل ولا أليل منه ظلمة دون رؤيته آيات ربه الكبرى بما أراه الله.

والسرى المعراجية تتبنى عروج الرسول الى أعلى الآفاق المعرفية ، قبل ان تبني اعجازها ، ولم يكن عروجه الى عمق الفضاء بالسرعة ما فوق الضوئية او علىها الجاذبية التي تفوق الرمان لم يكن بالذى يرى فيصدق بما يرى ، اللهم الا بما خبرهم بما رأه في سراه ما فوق الأرضية الى القدس من غير ام مادا^(١) فقد كان سرى الرسول سرى سريانا إلا فيما انبأ به ربه بما أنبأ والله اعلم بسراه.

ثم «ليلا» توحى بوحدة المعراج اللهم الا ان يهرف بتكراره في نفس الليلة ولم يخلد بخلد فقط ، فالروايات الناقلة لتكراره تقول او تطرح^(٢) وروحه القدسية كانت عارجة دوما الى مقام قاب قوسين او ادنى

(١) في روضة الكافي بسانده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما أسرى برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أصبح فقعد فحدثهم بذلك فقالوا له : صفت لنا بيت المقدس ، قال : فوصف لهم وانما دخله ليلا فاشتبه عليه النعت فأنا جبرائيل فقال : انظر هاهنا فنظر الى البيت فوصفه وهو ينظر اليه ثم نعت ما كان من غير لهم فيما بينهم وبين الشام ثم قال : هذه عيربني فلان يقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل اورق او احمر ، قال : وبعثت قريش رجلا على فرس ليزدها ، قال : ويبلغ مع طلوع الشمس ، قال قرطة بن عبد عمرو : يا لفنا ان لا تكون لك جذعا حين ترعم انك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليتك» (نور الثقلين ٣ : ١٠٢).

(٢) كما أورده القمي عن محمد بن الحسن الصفار بسانده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : عرج بالنبي مائة وعشرين مرة ... أقول : وعلها إلا واحدة عروج روحي له (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد كانت حياته بهذا المعنى معراج. وفي الكافي بسانده الى علي بن أبي حمزة قال : سئل ابو بصير أبا عبد الله (عليه السلام) .

اللهم إلا فيما تضطره رسالته ببلاغه وخلطه بالمرسل إليهم ، حيث الرسالة . على قدسيتها . من حجب النور ، وعله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان يغافل على قلبه ويستغفر ربه في كل يوم سبعين مرة من حجب النور .

﴿... مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

منطلق المعراج مسجد هو أفضل المساجد في الأرض أم في الكون كله وقد جاء ذكره في الذكر الحكيم (١٥) مرة بكل تمجيل وتحليل ثم المسجد الأقصى وهو أقصى المساجد إلى المسجد الحرام نجده مرة واحدة هي هاهنا بمواصفة واحدة : ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .
ومهما اختلفت الروايات ان مبدأ المعراج بيت عائشة (١) ام بيت ام هاني (٢) ام المسجد الحرام (٣) فنص القرآن يؤيد ثالث ثلاثة فلا محيد عنه .

قال وانا حاضر : جعلت فداككم عرج برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟ فقال : مرتين (تفسير البرهان ٣ : ٤٠٢) أقول : علَّ المرتين هما كما قال تعالى : «وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى عِنْدَ سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى» «حيث الروية المراجحة كانت مرتين لا اصل المعراج !

(١) كما نصت روایتها عن الدر المنشور «ما فقدت جسد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولكن أسرى بروحه» كذبة مزدوجة !

(٢) ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند وكأنه من روایة الكلبي عن أبي صالح عنه ، وأخرجه الحاكم والبيهقي عنه ورواه النسائي باختصار من روایة عوف عن زرارة بن اویف عن أبي عباس .

(٣) تفسير القمي بإسناد عن أبي مالك الاذدي عن إسماعيل الجعفي قال كنت في المسجد قاعداً وابو جعفر (عليه السلام) في ناحية فرفع رأسه فنظر الى السماء مرة والى الكعبة مرة ثم قال : ﴿شُبَحَانَ الَّذِي أَسْرَى...﴾ وكرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت الى فقال : اي شيء يقولون اهل العراق في هذه الآية يا عراقي ! قلت : يقولون اسرى

واما منتهى سرى المراجـاج هنا ، فهل هو المسجد الأقصى الذي في القدس؟ وهناك مسجد الكوفـة أقصى منه وعلـه أفضـل! وبرـكات الله في المسجد الحرام أقدم من القدس وأكـمل! وعرض المراجـاج في هذه الآية الخاـصـرة نصـا والخاـصـرة تقتـضـي التصرـيـح بنـهاـيـة المراجـاج وغاـيـتـه : السـدـرـةـ المـنـتـهـىـ فيـ الأـفـقـ الأـعـلـىـ ، دونـ مـتوـسـطـهـ الأـرـضـيـ فـحـسـبـ ، الأـقـصـىـ الذـيـ فيـ الـقـدـسـ ! ثمـ ماـ هيـ «آيـاتـناـ»ـ فيـ الـقـدـسـ الـتـيـ لمـ يـرـهاـ الرـسـولـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فيـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ؟ـ هلـ هـيـ قـبـورـ الرـسـلـ الإـسـرـائـيلـيـلـيـنـ؟ـ وـلـيـسـ مـنـ آيـاتـ اللـهـ ،ـ إـنـماـ الرـسـلـ هـمـ آيـاتـ اللـهـ وـقـدـ أـرـاهـمـ اللـهـ إـيـاهـ إـذـ أـخـذـ مـيـشـاقـهـمـ ﴿تَشْوِمُنَّ بِهِ وَلَنَنْصُرُنَّهُ ...﴾ (٣: ٨١)ـ وـأـرـاهـ إـيـاهـمـ إـذـ أـمـرـانـ يـسـأـلـهـمـ :ـ ﴿وَسُئَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَهْلَهُ يُعْبَدُونَ﴾ (٤٣: ٤٥)ـ ثـمـ الآيـاتـ الـتـيـ أـرـيهـاـ هـيـ آيـاتـ رـبـهـ الـكـبـرـيـ فيـ عـمـقـ الـفـضـاءـ ﴿عِنْهـ سـدـرـةـ الـمـنـتـهـىـ ... لـقـدـ رـأـىـ مـنـ آيـاتـ رـبـهـ الـكـبـرـيـ﴾ـ فـهـذـهـ الرـؤـيـةـ كـانـتـ فيـ الأـقـصـىـ الذـيـ فيـ السـمـاءـ عـنـدـ السـدـرـةـ لـاـ التـيـ فيـ الـأـرـضـ (١).

. من المسـدـرـةـ الـحـرـامـ إـلـىـ الـبـيـتـ الـمـقـدـسـ فـقـالـ :ـ لـيـسـ كـمـاـ يـقـولـونـ ،ـ وـلـكـنـهـ اـسـرـىـ بـهـ مـنـ هـذـهـ إـلـىـ هـذـهـ وـأـشـارـ بـيـدـهـ إـلـىـ السـمـاءـ وـقـالـ :ـ مـاـ بـيـنـهـمـ حـرـمـ (نـورـ الثـقـلـيـنـ ٢: ٩٨)ـ وـمـنـ حـدـيـثـ مـالـكـ بـنـ صـعـصـعـةـ مـطـوـلاـ.ـ انـ المسـدـرـةـ الـحـرـامـ مـبـدـءـ الـمـعـرـاجـ عـلـيـهـ.ـ أـقـولـ :ـ قـدـ يـعـنـيـ هـذـهـ الـأـرـضـ.ـ وـطـعـمـاـ مـنـ المسـدـرـةـ الـحـرـامـ.ـ وـالـىـ هـذـهـ :ـ عـمـقـ الـمـعـرـاجـ عـنـدـ سـدـرـةـ الـمـنـتـهـىـ.ـ وـمـاـ بـيـنـهـمـ حـرـمـ :ـ مـاـ بـيـنـ المسـدـرـةـ الـحـرـامـ وـالـأـقـصـىـ الذـيـ فيـ السـمـاءـ حـرـمـ.ـ اوـ مـاـ بـيـنـ الـأـقـصـىـ فـيـ الـأـرـضـ وـالـأـقـصـىـ فـيـ السـمـاءـ حـرـمـ اـمـ مـاـذاـ؟ـ.

(١)ـ وـفـيـهـ اـيـضـاـ عـنـ سـالـمـ الـخـنـاطـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ قـالـ :ـ سـأـلـتـهـ عـنـ المسـاجـدـ الـتـيـ هـاـ الفـضـلـ فـقـالـ:ـ المسـدـرـةـ الـحـرـامـ وـمـسـجـدـ الرـسـولـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ قـلـتـ :ـ وـالـمـسـدـرـةـ الـأـقـصـىـ جـعـلـتـ فـدـاكـ ،ـ فـقـالـ :ـ ذـلـكـ فـيـ السـمـاءـ أـسـرـىـ إـلـيـهـ رـسـولـ اللـهـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ فـقـلـتـ :ـ اـنـ النـاسـ يـقـولـونـ :ـ اـنـ بـيـتـ الـمـقـدـسـ؟ـ فـقـالـ :ـ مـسـدـرـةـ الـكـوـفـةـ أـفـضـلـ مـنـهـ.ـ وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ وـجـودـ مـسـجـدـ الـكـوـفـةـ حـيـنـذـاكـ مـاـ روـاهـ الـقـمـيـ فـيـ تـفـسـيرـهـ باـسـنـادـهـ إـلـىـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ فـيـ حـدـيـثـ فـضـلـ مـسـجـدـ .

فلقد نرى أن المسجد الأقصى ، أقصى المساجد في مطلق الكون من المسجد الحرام ، ومنتهى المراج عن السدرة المنتهى ، إذ «أوحى ﴿إِلَيْ عَنِيدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (١٠) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١٨) بعد ما ﴿دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩٠ . ٨) دنا واقترابا من العلي الأعلى !

هذا هو المسجد الأقصى الذي بورك حوله بركات معنوية معرفية . واخرى سواها أمثاها ، فمن الأولى ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ تَرْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٣ . ١٥) . ومن الاخرى جنة المأوى وما ينحو نحوها من آيات ربه الكبير .

ف «الأفق المبين . الأفق الأعلى . سدرة المنتهى . جنة المأوى» في التكوير وفي النجم . والبيت المعمور (١) في «الطور» علّها كلها تعابير عده عن منتهى المراج : المسجد الأقصى ، وقد يسمى الذي في القدس بالمسجد الأقصى لمحاذاته الأقصى الأولى ، وقد زاره الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

. الكوفة : «... حتى ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما اسرى به قال له جبرئيل : تدري اين أنت يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ أنت مقابل مسجد الكوفان قال : فاستأذن لي ربى حتى آتني فأصلني فيه ركعتين ...» المصدر ٣ : (١٣٠) ، وأورده ابن سعد وابو يعلي والطبراني في حديث ام هاني مطولا «الكشف ج ٢ ص ٥٠٥).

(١) للبيت المعمور مصاديق اخرى كالكعبة المشرفة ويقابلة المسجد الأقصى في السماء السابعة فهو ايضا البيت المعمور كما في نور الثقلين ٥ : ١٣٦ عن علي (عليه السلام) كما وهو منزل القرآن (٥ : ٦٢٤) عن الصادق (عليه السلام) وفي الدر المنشور عن شعب الامان عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : البيت المعمور في السماء السابعة أقول : وأحاديث الفريقين مجتمعة على انه في السماء السابعة ، فليكن هو المسجد الأقصى في السابعة ، عمر قبل عروج النبي ثم زادت عمارةعروجه ، ثم ومن البيت المعمور بيت قلب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كما مضى عن علي (عليه السلام) فانه اشرف منزل للقرآن (راجع ج ٢٧ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ من الفرقان).

عليه وآلِهِ وسَلَّمَ) في رحلته المراجعة^(١) إذا فالمسجد ان معنيان بـ ﴿الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى﴾ فالذى في السماء أصل وغاية ، والذى في الأرض مر إليه وليس غاية.

واية بركة عظمي وآية كبرى خير من الجنة المأوى. وما رأه في الأفق الأعلى من آيات

ربه الكبرى !^(٢) ﴿نُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾

(١) ثواب الأعمال عن علي (عليه السلام) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال في وصية له : ... اني لما بلغت بيته المقدس في مراجعي الى السماء ... (نور النقلين ٣ : ١٢٢) ومن الملاحظ في الروايات التي تنقل مروره في مراججه بالقدس انها كلها تقول بيت المقدس ولا مرة واحدة : المسجد الأقصى .

(٢) تفسير القمي في حديث المراجع من لفظ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعلي (عليه السلام) ... فكشط لي عن سبع سماءوات حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها ... واما السادس لما أسرى بي الى السماء جمع الله لي النبيين فصليت لهم ومثالك خلفي «نور النقلين ٣ : ١٠٢» ومن الآيات التي أربها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عترته المعصومون واحد بعد واحد كما في عيون اخبار الرضا (عليه السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في حديث المراجع عن العترة ... يا محمد لو ان عبداً عبدي حتى ينقطع ويصير كالشأن البالى ثم اتاني جاهداً بولاتهم ما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي يا محمد أتحب ان تراهم؟ قلت : نعم يا رب ! فقال عز وجل : ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بأثوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجۃ بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب دري قلت : يا رب من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحمل حلالي ويحرم حرامي وبه انتقم من اعدائي وهو راحة لا ول يأتي وهو الذي يشفى قلوب شيعتك من الظالمين والحادبين والكافرين ... (نور النقلين ٣ : ١١٩) وفي الدر المنثور (٤ : ١٥٣) . اخرج ابن عدي وابن عساكر عن انس قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً : لا إله إلا الله .

البصير : رؤية للمكون بقلبه بما لا فرق له ورؤية لكائناته ببصره لمّسع ملكته .
 وترى لماذا **﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾** لا كلها لكي تستكمل الرؤية وتكميل الضيافة والإضافة؟ ...
 الجواب في النجم : **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** ف «من» تبعيض عن كل الآيات و «الكبير» هي جل الآيات ، فقد اصطفى الرب لمصطفاه كبرى الآيات ومصطفاها ، وكفته رؤية الكبیر عما سواها : كبرى الآيات كيانا كالنبیین والملائکة الکروبین وكوننا كسائر الآيات العظيمة الكونية ومنها سائر خلق الله في سائر العوالم من سكان السماوات وعماراتها (١) .

أترى ان غایة المراجح فقط **﴿لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾** لا إثبات رسالته ايضا كأية من آيات ربها؟ ومن ثم ف «من» بعض هذه الرؤية ، في حين أرى ابراهيم ملکوت السماوات والأرض ولليكون من الموقنين .

إن الملکوت هي حقيقة الملك وماهية تعلق الكون بالله تعالى ، وللملکوت درجات كما للملك درجات ، وكما أن أهل الملك والملکوت درجات فلكل درجة تخصه دون سواه ، او تعمه ومن معه في درجته ، وصاحب المراجح أري الكبیر من درجات الملکوت : **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** وابراهيم وأضرابه من دون صاحب المراجح أري درجات أدنى

. محمد رسول الله أيدته بعلي! . ومنها النبيون والملائكة الذين صلوا وراءه في البيت المعمور : كما رواه القمي باسناده الى أبي جعفر (عليه السلام) قال : كما أسرى برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى السماء بلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فاذن جبرئيل واقام فتقدّم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فصف الملائكة والنبيون خلف محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (المصدر ١٣٠) .

(١). مضى تحت الرقم ٢ ص ٧

منها ، فانه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِين﴾ : كل ما يمكن ان ي بيان ، و﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ : أعلى الآفاق المعرفية أماهيه لحد ما لها من سباق.

ثم ان من الملائكة ما ترى إذ ينظر إليها ، للناس كل الناس : ﴿أَوْمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فِيَّا يِ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ١٨٥) ﴿فُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ : ٨٨).

ومنها ما يختص بالخلصين من عباد الله كإبراهيم : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ...﴾ (٦ : ٧٦) ان افول الآفلين دليل لا مرد له على الفقر المطلق للكون وحقيقة تعلقه بالله ، إراءة ومعرفة على مدرجة ابراهيم الخليل (عليه السلام).

ومنها ما يخص صاحب المراج حيث دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى ، إذ تخطى الكون بملكه وملكته ، بعد ما اكتمل الرؤية والمعرفة فيهما وبهما ، واري من آيات ربه الكبیر بصرا وبصيرة ، ثم أراه ربه نفسه بأرفع درجات المعرفة الممكنة حيث دنى بالعلم (١) وتدلی بالتجاهل عن نفسه « ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه» (٢) وكما قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): « قربني ربى حتى كان بيبي وبينه كباب قوسين او أدنى» (٣) « فلم يزل عن

(١). الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال :

(٢) تفسير القمي بسانده الى الصادق (عليه السلام) أول من سبق الى بلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وذلك انه اقرب الخلق الى الله .

(٣) تفسير روح البيان ج ٩ : ٣١٩ قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : وفي .

موضع ولم يتدلل بيدن»^(١) «وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسرى به الى السماء : «تقدّم يا محمد! فقد وطئت موطنًا لم يطأ ملك مقرب ولا نبي مرسّل ...»^(٢) فأين ملكوت من ملكوت! وأين رؤية من رؤية وأين معرفة من معرفة! فلم يدن احد ما دناه الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولا جبريل الذي صاحبه في شطر من سراه^(٣). انه لم تكن سرى المعراج إلا تشريفا للرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وللملائكة وسكان السماوات ولكري يربه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما أراه^(٤) ويبوحى اليه ما أوحاه.

. الدر المنشور (٤ : ١٥٨) : اخرج الخطيب عن انس قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لما أسرى بي الى السماء قرني ربي تعالى حتى كان بيبي وبينه قاب قوسين او ادنى لا بل ادنى ...».

(١). الاحتجاج للطبرسي في آية التدلي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام).

(٢). تفسير القمي عن الصادق (عليه السلام).

(٣) في كتاب كمال الدين وقمام النعمة باسناده الى عبد السلام بن صالح المروي عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آباءه عن علي (عليه السلام) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في حديث طويل يقول في آخره : فلما انتهيت الى حجب النور قال لي جبرئيل : تقدم يا محمد! ان هذا انتهاء حدي الذي وضعه الله لي في هذا المكان فان تجاوزته احترقت اجنحةي لتعدي حدود ربي جل جلاله فرج بي زجة في النور حتى انتهيت الى حيث ما شاء الله عز وجل في ملكوته فنوديت : يا محمد أنت عبدي وانا ربك فإياي فاعبد وعلي فتوكل فانك نوري في عبادي ورسولي الى خلقي وحجي في برني» (نور الثقلين ٣ : ١٢٥).

وفي اصول الكافي باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما عرج برسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انتهى جبرائيل به الى مكان فخلى عنه فقال له : يا جبرائيل! تخليني على هذه الحال؟ فقال : امضه فو الله لقد وطئت مكاننا ما وطأ بشر وما مشى فيه بشر قبلك» (نور الثقلين ٣ : ١٢٩).

(٤) في كتاب التوحيد للصدوق باسناده الى يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لابي .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ترى من هو السميع البصير هنا؟ ثم ما هي الصلة بين السميع البصير والرحلة المراجعة؟

قد يكون هو صاحب المعراج ، فلأنه سميع يسمع الوحي الخاص في السدرة بأذن قلبه **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى﴾** ويسمع محادثات الملائكة الأعلى بسائل أذنه ، كما ينصر من آيات ربه الكريبي بصره **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبُرِيَّ﴾** وينصر ربه ب بصيرته ، **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** لهذا وذلك أسرى به ، حيث يسمع ما لا يسمعه غيره بسمعيه ، وينصر ما لا ينصره غيره ب بصيرته .

وقد «لا» حيث الرسول وإن كان سمعاً بصيراً ولكن «هو» الفاصل هنا توحى بالحصر ، ولا حصر في السمع المطلق وبصره إلا في الله ، وإن دخل في ضمنها رسول الله ، فلان الله سميع بصير يجعل رسوله سمعاً في معراجه بصيراً ، بما يسمع من تطلبه ، **﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** وينصر من تأهله لهذه الرحلة المقدسة.

ثم **﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** لله ليستا مثلهما في سواه فـ «لم ينزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدر ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على

. الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لاي علة عرج الله نبيه الى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها الى حجب النور وخطابه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان ولكنه عز وجل أراد ان يشرف ملائكته وسكان سماءاته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقول المشبهون سبحانه الله تعالى عما يشركون «نور الثقلين (٣) : .(٩٩)

المقدور ...»^(١) ف «هو سميع بغير جارحة وبصیر بغير آلة ، بل يسمع نفسه ويتصير بنفسه ، ليس قوله : «انه يسمع بنفسه ويتصير بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولا ، وإفهاما لك إذ كنت سائلا ، وأقول : يسمع بكله لا ان الكل له بعض ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا الى انه السميع البصیر ، العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى»^(٢).

فلقد «سمى ربنا سمعا لا يجزء فيه يسمع به الصوت لا يتصير به ، كما أن جزئنا الذي نسمع به لا يقوى على النظر ، ولكن أخبر أنه لا تخفي عليه الأصوات ، ليس على حد ما سمعينا نحن ، فقد جمعنا الاسم بالسمع وخالف المعنى ، وهكذا البصر لا يجزء به ابصر كما أنا بصر يجزء منا لا ننتفع به في غيره ، ولكن الله بصیر لا يجهل شخصا منظروا اليه ، فقد جمعنا الاسم وخالف المعنى»^(٣).

وهكذا تكون صفات الله الحسنى كافية ، مجردة عما لمن سواه من حدود وقيود ، ما يجب سلبها عن الله ، إذ تختص بمن سواه.

(١). اصول الكافي باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٣٣).

(٢). التوجيد للصدوق عن أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٣٤).

(٣) المصدر عن الرضا (عليه السلام) وفيه باسناده الى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قلت : جعلت فداك يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يتصير ويتصير بغير الذي يسمع؟ قال : فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك ، انه سميع بصیر ، يسمع بما يتصير ويتصير بما يسمع ، قال : قلت : يزعمون انه بصیر على ما يعقلونه؟ قال : فقال : تعالى الله . اثنا يعقل ما كان بصنعة المخلوق وليس الله كذلك.

ترى ولماذا يوصف ربنا بالسميع البصير دون الثلاثة الأخرى : اللامس . الشام .
الذائق؟ عليه لأنها تختص بجواهيرها الثلاث دونهما حيث يعمان حسيهما ببعضهما ودونهما
من السمع والبصر المجردين ، ثم السمع والبصر من كيفيات العلم دون الثلاثة الأخرى الخاصة
بالحس ، حيث لا ذوق ولا شم ولا لمس وراء الحس .
فمن الأسماء ما يخصه لفظياً كمعناه : الرحمن . الخالق ... ومنها ما يخص خلقه فيها :
المريض . النائم . الذائق . اللامس . الشام ... ومنها ما نشارك ربنا في لفظه دون معناه : العالم
. القادر . الحي . الموجود . السميع . البصير .
والضابطة العامة في أسماءه أن تجرد عن معانٍ الخلق وصفاته إلى ما يخصه إليها ليس
كمثله شيء .

ثم هذه الرحلة المنقطعة النظير للبشير النذير التي تفوق كل زمان ومكان رحلة مختارة
من اللطيف الخير ، وهي آية عجيبة من آيات الله ، ليزره من آياته الكبرى ، مهما كانت
آية . في هامشها . للمرسل إليهم ، تفتح القلب على آفاق عجيبة في الكون ، وتكتشف عن
الطاقة المخبأة في كيان هذا الإنسان ، والاستعدادات الخارقة المنقطعة النظير التي يتهدأ بها
لاستقبال الفيض المطلق من السميع البصير انه لطيف خير .

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ ذُوِي وَكِيلٍ﴾ (٢).

كتاب موسى هو التوراة ولماذا هنا الكتاب بدل التورات؟ عليه لحنة من «الكتاب» بما
كتب فيه وفرض عليهم . كما الكتاب ككل هو كل ما

يثبت ويثبت . وهل أوتى موسى هدى لبني إسرائيل دون سواهم؟ وهو ثالث أولى العزم من الرسل حيث تعم شرائعهم كافة المكلفين من الجنة والناس أجمعين ، فكيف اختصت هدى موسى بعض الناس : بني إسرائيل؟

هذه الرسالة العظيمة كسوها من أولى العزم الخمسة الذين دارت عليهم الرحى ^(١)
تشمل المكلفين اجمع : ﴿فَلَمَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ...﴾
(٦ : ٩١) ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَكَلَامِي ...﴾ (١٤٤ : ٧)
فرسالة موسى وهداه بكتابه هي للناس كل الناس ، والى فرعون ولملائته : ﴿لَمْ يَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (١٠ : ٧٥)
استكباوا مجرمين الا جماعة من ملائته السحرة : ﴿فَأَلْقَيَ السَّحَرَةُ سُجْدًا قَالُوا آمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٢٠ : ٧٠) وإلا رجل من آل فرعون سوى السحرة : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾^(٢) مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ...﴾ (٤٠ : ٢٨).

وعلى تركيزه هذه الرسالة العامة على بني إسرائيل في الكثرة المطلقة من مواردها ، لأنهم كانوا هم أضعف المستضعفين في الأرض ، والرسالات الالهية تقصد المستضعفين أولاً لتخليصهم ، ثم المستكبارين لإبعادهم عنهم ومن ثم هداهم أنفسهم . ثم من سواهم وهم القلة القليلة في تاريخ الرسالات.

ونرى في مثلث الدعوة للرسالات أن الزاوية الأولى هي القاعدة ، ثم الثانية للإبقاء على هذه القاعدة ثم الثالثة لعموم الدعوة ثم وتأثير الدعوة في

(١). راجع ج ٢٦ . الفرقان . ص ٧٣ في ضوء آية أولى العزم .

الأولى أولاً وفي الثالثة ثانياً وفي الثانية ثالثاً ، كما في سحرة موسى ورجل من آل فرعون. ثم السنة الرسالية تقضي تركيزها على قوم الرسول أولاً ثم منهم إلى سواهم : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٦ : ٢١٤) ثم أهل بلده ولا سيما الألد منهم ﴿وَتُنذِرْ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٦ : ٣٦) ولا شك أن الرسالة المحمدية عالمية كما تنص عليها آياتها وتدلنا عليه غایاتها . فموسى وكتابه هدى لبني إسرائيل أولاً^(١) ولفرعون وملائه ثانياً ، ولسائر الناس أخيراً . ﴿أَلَا تَتَخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾

هل المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل؟ وغيابهم في ﴿لِلَّهِي إِسْرَائِيل﴾ يقتضي غيابهم هنا «ألا يتخذوا»! أم للمسلمين المخاطبين متنا في وحي القرآن؟ وما هي الصلة بين هدى موسى وكتابه ولا يتخذ المسلمون من دون الله وكيلًا؟ وهدى موسى تختص أمته! . المخاطبون هنا هم بنو إسرائيل الحضور زمن الخطاب وعلى طول الزمن بعده فان رسالة موسى منذ بزوغه كانت هدى لبني إسرائيل السابقين على الدعوة الإسلامية ، ألا يتخذوا هم ولا تتخذوا أنتم من دون الله وكيلًا . والانتقال من الغيبة إلى الحضور دأب يبدأه القرآن بمناسبات شتى .

وهل تختصر رسالة موسى وتحصر في ﴿أَلَا تَتَخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾

(١) فضمير الغائب في «جعلناه» كما يرجع إلى كتاب موسى كذلك إلى موسى ، فموسى بكتابه وكتاب موسى هدى دون انفصال .

وفي كتاب موسى أحكام أصلية وفرعية شتى؟.

أقول : ككل كلا ، وأما كأصل يرکز عليه الكل فبلی حيث الآلة (العدة المعدة) والوكالات الأخرى كانت في بني إسرائيل سنة دائبة ، فلذلك أصبحت ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُوْنِنَّ وَكِيلًا﴾ كأنها هدى موسى كلها لبني إسرائيل ، فان عليهم ان يتبعوها هداهم ككل ، دون ان يتفلت اصل من الشريعة عنها او فرع.

ثم ولا تختص شرعة موسى بهذه الأصلية ، فإنها تعم الشريعات كلها فان الوكالات في أمر التكوين والتشريع ككل ، وفي سائر الوكالات كأصل إنما هي لله سبحانه وتعالى عما يشرون.

تأتي الوكالة بمختلف صيغها سبعين مرة في الذكر الحكيم ، محتصرة الريبييات في الله تعالى : ان له الحكم لا سواه : ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ﴾ (١٢ : ٦٧) ٢ . وسعة العلم : ﴿وَسَعَ رِبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٧ : ٨٩) ٣ . والرحمة العامة : ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (٦٧ : ٢٩) ٤ . والهدایة : ﴿وَمَا لَنَا أَلَا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبْلَنَا﴾ (١٤ : ١٢) ٥ . والنصرة : ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُنَصِّرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣ : ١٦٠) ٦ . والعزّة ٧ . والحكمة : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨ : ٤٩) ٨ . والمانع عن الضرر : ﴿وَلَيْسَ بِضَارٍّهُمْ شَيْئًا إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥٨ : ١٠) ٩ . وعن سيطرة الشيطان : ﴿إِنَّهُ لَيُّسَّ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَجُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩ : ١٦) ١٠ . وفي كل ما عند الله : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَجُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢ : ٣٦) ١١ . وفي رجوع الأمر كله اليه : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ﴾ (١١ : ١٢٣) ١٢ . وفي سعة القدرة : ومطلق الملك والملك : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤ : ١٣٢).

ففي هذه الأمور تكوبنيا وتشريعيا ينحصر التوكل على الله منحسرًا عن سواه^(١). فلا توكل إلا على الله ولا اتكالية في الأمور على الله أو سواه ، ولا توكيل في وكالة غير الله إلا ناقصاً ينحو نحو وكالة الله.

حيث الاتكال على أي كان يعني تخلي الإنسان عن أية محاولة فيما يتتكل فيه ، والبطالة في أي أمر للإنسان فيه حول وقوف محظوظ ، حتى وإن كان على الله ، كمن لا حراك له في الحصول على رزقه ويتكل على الله.

ثم التوكل على غير الله فيما يتتكل فيه دون اتكال يعني أن غير الله كاف وليس به أيا كان ، وإنما يتوكل على الله ، ولا يعني توكيل غير الله لا توكلًا عليه ولا اتكالًا ، وإنما مساعدة لك فيما لا يسعه حولك أم قوتك ، ثم عليكما موكلًا ووكيلًا التوكل على الله فيما لا تقدرون عليه أو تقدران ! ﴿وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلًا﴾ .

ف ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ ذُوِي وَكِيلًا﴾ تعم الوكالتين : ١ فيما يختص بالله كما مضى في آياته ٢ . في كل أمر يعمله لك متعاملًا معك غير الله ، أن تراه مستقلًا في حوله وقوته عن الله ، أم غير مفتقر في بلوغ الغاية إلى الله وحتى فيما يبلغه الإنسان دون حاجة ظاهرة إلى سواه.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ عله علة الأمرتين ، ١ . إن الله حمل نوحاً والمؤمنين معه ، ٢ . وإنه جعل دريته ومن حمل معه هم الباقيين.

والشكور هي المبالغ في الشكر حسب المكنته والاستطاعة كالعبد الشكور حيث يشكر في غاية العبودية ، وهي البالغ في الشكر بمقتضى الرحمة : ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدُ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٤٢ : ٢٣) وأين شكور من شكور ! على أن ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾

(١) راجع ج ٢٩ . الفرقان . ص ٢١٧ على ضوء الآية : فاتخذه وكيلًا.

(٣٤) ولقد كان نوح صبارا شكوراً أن عاش قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، قوما كفورا وهو صبار شكور ! ﴿ذَرِيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣).

«ذرية» منصوبة على الإختصاص ، أفهمه الذرية هم . فقط . بنو إسرائيل؟ إذ ﴿جَعَلْنَا هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وهم محظ الدعوة الموسوية؟ وليسوا هم . فقط . ذرية من حملنا ، ولا تخصهم الدعوة الموسوية ، وهم ذرية من حملوا مع نوح لا «ذرية من» !

أم هم بنو الإنسان من ذرية نوح طيلة الرسالة الموسوية؟ حيث ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٣٧) : فإن بني الإنسان كافة بعد نوح هم . فقط . من ذرية نوح؟ وكما يروى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (١) ولكنهم ذرية نوح ، لا ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وقد حمل معه من ذريته ومن آمن به : ﴿وَلِئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِيَّةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (١٩ : ٥٨) فلو كانوا هم . فقط . ذرية نوح كان «ومن ذرية نوح» كـ ﴿مِنْ ذُرِيَّةِ آدَمَ﴾ ذرية آدم هم . فقط . ذرية من حملنا مع نوح هم من ذريته وسواهم من حملوا معه : «قلنا احمل فيها من كل زوجين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل» (٤٠ : ١١) واللمحة

(١) في الدر المنشور (٤ : ١٦٢) أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الانصاري (رض) ، قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ﴿ذُرِيَّةٌ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ما كان مع نوح الا اربعة أولاد : حام وسام ويافث وكوش فذاك اربعة أولاد انتسلوا هذا الخلق.

المستفادة من ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ دون «من» تطارد احتمال أن بني الإنسان كافة بعد نوح إنما هم من ذريته. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ كانوا عقما! والرواية تحمل على المصداق الأوضح الأعرف ، وآية «الباقين» لا تعني ذريته الأولاد فحسب ، وإنما من ركب سفينة النجاة : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) يا ترى هم فقط ولده وبعض منهم لم يكن من أهله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (٤٦) المؤمنون القلة الذين ركبوا معه قد نجوا ، فأهله هنا هم كل من حمل معه ، وهم كلهم ذريته ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِيَّةَ﴾ (٧٧) دون الهاكلين : ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٨٣) فالآولون هم أهله وذريته والآخرون هم الهاكلون وإن كانوا من ذريته^(١).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنَ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤)
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (٥).

قضاء صارم بفساد عارم إلى بني إسرائيل طول التاريخ الإسرائيلي منذ البداية في الأرض مرتين تصحب أخراهما ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ١ . فما هي القضاء؟ ٢ . وما هو الكتاب؟ ٣ . وain هي أرض الإفساد؟ ٤ . وما هما المرتان؟ والعلو الكبير؟ ٥ . ومن هم ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ حيث يجوسون في الأولى خلال الديار ، ويسيءون وجوههم في الثانية؟ .
إن القضاء ككل . هي فصل الأمر ، وقد يختلف الأمر بفصله حسب

(١) فلو كان أهله وذريته . فقط . من نسله لكان الآخرون الهاكلون هم الكافرون مع المؤمنين القلة الذين حملوا معه! .

اختلاف التعلقات : قضاه . فيه . عليه . له . به . إليه . منه . بين .

وهي بين فصل الأمر تكوينا او تشريعا او فعلا او تحويلاء لنباء : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنَ﴾ (٤١ : ١٢) تكوينا . ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (٢٣ : ١٧) تشريعا . و ﴿أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَيْهِ﴾ (٢٨ : ٢٨) فعلا . و ﴿فَيُنَهِّمُ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ (٢٣ : ٢٣) أجلا للموت وهو من فعل الله ، ثم القضاء فيه : في القضية التي تقتضيها . وعليه : على الحكم فيها ، قوله : الحكم له . وبه : بالحكم الم قضي ، ومنه . من القاضي ، وبين : بين المتقاضيين . سواء في التكوين او التشريع او فعل وأجل .

واما القضاء اليه : رابع الأضلاع لمربع القضاء . فقد ينحصر في تحويل أمر تكوينا كالأجل : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (١٠ : ١١) أو تحويل لنباء فصل محظوظ ايجاء ، من مخلفات لسيئات : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (٦٦ : ١٥) وقطع الدابر هذا من مخلفات اعمال قوم لوط المفسدين ، حيث جزاهم الله بما أفسدوا ، أو هو تحويل نباء فيه تحويل كما هنا : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾ الحکم الفصل الإنباء إليهم في الكتاب : التورات فلا هو تشريعي ولا تكويني ، وإنما قضاء علمي من أهم الملاحن التاريخية المنقطعة النظير يوحى إلى البشر النذير ! وهل الكتاب هنا . فقط . التوراة حيث سبق ذكرها في ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؟ ام كل كتابات الوحي الإسرائيلي؟ او كل ما كتبه الله من كتاب قبل القرآن؟ نجد نبأ القضاء على مطلق الإفساد بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه في عديد من كتابات الوحي : في العهد العتيق والجديد

وسواها وقد يأتي نبأه في ختام البحث.

وأرض الإفساد هي الأرض كلها ، دون اختصاص بالقدس او فلسطين ، حيث الصيغة الخاصة به هي ﴿الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَة﴾ : ﴿يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢١ : ٥) ام ولا اقل «أرضًا» حتى تخص جانبا من الأرض : ﴿فَلْتُلْوَ يُوسُفَ أَوِ اطْرُحُوهُ أَرْضًا﴾ (١٢ : ٩) ﴿وَأُورْثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوفُهَا﴾ (٣٣ : ٢٧) ام «أرضكم» او «أرضنا» او «أرضهم» حتى تدل على اختصاص ، دون «الأرض» والقائل هو الله خالق السماوات والأرض ، لا انسان الأرض الذي يسكن جانبا منها فيعني من «الأرض» سكانه او ما يملكه منها ام ماذا؟

فصيغة الأرض من صاغها الله ليست لتعني إلا الأرض كلها ، أم والأرضين السبع : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٦٥ : ١٢) اللهم إلا بقرينة حاضرة تخصها ، وليس هنا فلا اختصاص ، فهما إذا إفساد ان في المعمورة كلها.

وهل المرتان هما . بعد . قتل زكريا ويحيى (عليهما السلام) ^(١)؟ وقتل كلنبي إفساد! وفي أنبياء إسرائيل من هم أهم وأعظم منهم! فاذيعني الإفساد قتلنبي فلما ذا «مرتين» دون «الاف المرات»؟ وقد كانوا يقتلون

(١) ولم يرد فيه رواية في التفاسير الاثرية للفريقين إلا روايات عن بعض الاصحاب او التابعين او المفسرين دون اي دليل للهيم الا ما رواه عن علي (عليه السلام) كما في الدر المنشور ٤ : ١٦٣ . اخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله : لتفسدن في الأرض مرتين ، قال : الاول قتل زكريا (عليه السلام) والآخر قتل يحيى» وهي على كونها رواية يتيمة لا توجد في كتب أحاديثنا مردودة بما ذكرناه في المتن .

في يوم سبعين نبياً ام ما زاد او نقص! .

فليكن الإفساد ان في الأرض شاملين كل المعمورة : إفساداً في الأنفس قتلاً وإضلالاً ، وفي الحرث والنسل : اقتصاديًا ، ثقافيًا . أخلاقياً . سياسياً وحربياً ام ماذَا ، حيث يجعل المعمورة خريبة بائرة لا تليق جوّاً للحياة الإنسانية السليمة.

ان التاريخ الإسرائيلي على طوله هو تاريخ الفساد والإفساد ، كما في تلمودهم^(١) الا بعض ما كان زمن سلطات الرسالات الإسرائيلية السامية كموسى ويوسف وداود وسليمان واضرائهم ، ففي الأكثريّة الساحقة زماناً ومكاناً وإنساناً كانوا مفسدين ليل نهار ، لا مرتين ولا آلاف فلا يحصيها إلا الله!

ولكن الإفساد . كما الإصلاح . العالَميين لا يتيسران إلا في منظمة وسلطة وقيادة قوية ، ولكي تعلو كافة النشاطات المضادة من حكومات وشعوب.

(١) واليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاءون ، يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم بما يخنته ، جاء في التلمود وهو ملخص دين اليهود تفسيراً للتورات «ان الله فرقنا في الأمم لأنَّه يعلم انتنا شعبه وأبناءه وان العالم ، الانساني كله خدم لنا ، والإنسان كله برزخ بيننا وبين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات ، فعلينا ان نجعلهم متشاركون متقابلين متعادين ونتدخل في سياساتهم ونجعلهم في حرب وخلاف دائمين لنترجمهم في ضعفهم ، ونزوج بناتنا لعظامائهم ونتدخل في كل دين لنفسده على اهله وتكون لنا السيادة على هذا الإنسان الذي سخره الله لنا».

ولقد عملوا ما أملوا وبلغوا ما أملوا حيث أسسوا البليشفية في روسيا ومنهم لينين ، وماركس الالماني الذي هو اصل البليشفية يهودي . ورؤساء جماهير امريكا كلهم من اليهود او عمالائهم ، وكذلك كفار الغرب والشرق الطواغيت وزعماء مستسلمين هم من عمالائهم كما نراهم اليوم يعملون لصالح الصهيونية العالمية.

والصهاينة المجرمون كانوا . وقبل سنين . شذاذ الآفاق متفرقين في البلاد ، ليست لهم دولة او دويلة ، فما كانوا يستطيعون الإفساد في الأرض ، حيث كانوا تحت مختلف السلطات.

ولأول مرة في تاريخهم شكلت دويلة في فلسطين بما تآزرت الطاقات من شراذمة الآفاق والاستعمار الشرقي والغربي ، وبما تساهلت او ساعدت دويلات عربية حتى احتلت فلسطين لحد غربي نهر الأردن وكما يروى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن ، أنتم شرقي النهر وهم غربيه»^(١).

فلقد اختلفت دويلة العصابات الصهيونية منذ زهاء أربعين سنة ، ثم احتلت بلاداً أخرى ضمتها إليها بعد سنين بما فيها القدس ، ثم أخيراً أعلنت ان القدس عاصمة إسرائيل ، ثالوث منحوس من إفسادهم العالمي الأول ، انطلاقاً من فلسطين ، وإطلاقاً إلى المعمورة كلها وحتى متى؟ لا ندري.

هذه هي المرة الأولى من إفسادهم مرتين ، وطبعاً بلا علو كبير . على علوه . فان كبيره للثانية ، وفي الأولى يساعدها او ينضم إليها او يستجبيها ويحرضها سائر سواعد الكفر والفساد في المعمورة ، لا سائر اليهود والنصارى وسواهم من الكفار والملائحة والمرشken فحسب ، بل ، ومن يتسمون المسلمين

(١) الطبقات ٧ : ٤٢٢ عن السكوني قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أقول : الدجال هنا هو إسرائيل شر دجال طول التاريخ ، ونهر الأردن بين فلسطين والأردن ، ونرى الآن ان غربي النهر محظى إسرائيلي والمسلمون في شرقه ، ولم يسبق لحد الآن في التاريخ الإسلامي احتلال الأرضي الغربية لنهر الأردن من قبل غير المسلمين إلا قبل سنين من قبل الدجال الإسرائيلي ومن الطريق جداً صدق الصفة الخاصة للدجال المعروف في قائد الحرب الإسرائيلي بـ (موشي دايان) فإنه ممسوحة العين.

وايضا : من دواليات خليجية أمهاته التي هي دواليات على الإسلام والمسلمين العائشين تحت نيرهم ، وكما نراهم يساعدون البعث الكافر ضد ايران المسلمة التي رفعت ولأول مرة في تاريخ الإسلام . راية الجمهورية المجيدة الإسلامية ، فجند الكفر جنوده من مشارق الأرض وغاربها على الحدود العراقية الإيرانية ولكي يربح صدام صدام على هذه الجمهورية المباركة وتتخلص من حكم الإسلام الصارم ^(١).

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأُسْبِي شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾^(٥).

وعد الأولى هو موعد الانتقام منهم في المرة الأولى من إفسادهم العالمي ، حيث تشمل زبانيته مشارق الأرض وغاربها ،

وعلنا نعيش الآن في وعد الأولى ، في بداية قضينا فيها على المكية الجبارية في ايران ، وأخذنا في محاربة المستعمرين شرقين وغربين فأرسلوا علينا ذنبا من أذنابهم أحمق واشرس عملائهم «صدام».

يا ترى من هم **﴿عِبَادًا لَنَا﴾** غيرنا ومن يلحق بنا ويستجيبنا من

(١) لقد جاءتنا انباء موثقة من جيشنا الباسل الاسلامي في الحمرة : خونين شهر شهر ، وسواها من الحدود الإيرانية العراقية ان المساعدات في شتى الحاجيات الحربية تأتي للعراق من (١٠٦) دولة ، وان المحاربين في خطوط النار ضد الجمهورية الاسلامية الان من (٢٥) دولة شرقية وغربية ،
نقل لي جماعة من هؤلاء اننا أسرنا في الحمرة (٣٥) منهم وكانوا من (١٧) دولة كمصر والأردن وال سعودية والمغرب و أمريكا و انكلترا و روسيا و فرنسا و اسرائيل ... ، وان المحاربين الاردنيين في الجبهات بلغوا زهاء ٤٠٠٠ نفرا ، وهكذا يجند الكفر جنوده ضد جمهوريتنا ، اللهم انصرنا عليهم بالمهدي و آباء الطاهرين (عليهم السلام).

ال المسلمين الغيari الأحرار؟ هل هم بعد بخت النصر الوثني مع جنوده الوثنين ام هم من خيرة عباد الله الصالحين؟.

إن هذه الصيغة سائعة لعباد الله الخصوص ، مصوّغةً لمن يختصون عبوديتهم وعبادتهم بالله دون سواه ، ففي العباد المخصوصين نجد هكذا فرادي كـ ﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَا﴾ (١٩ : ٢) و ﴿عَبْدَنَا دَاؤَد﴾ (١٧ : ٣٨) و ﴿عَبْدَنَا أَيُّوب﴾ (٤١ : ٣٨) و «نوح» (٥٤ : ٩) وكـ «عبدته» الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) كما هنا ، وجماعات : ﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَئِدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّمَا عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفِينَ الْأَخْيَار﴾ (٤٧ : ٣٨).

ثم ونجد «عبادا لنا» فيمن دون المخصوصين صيغة مختصرة منقطعة النظير تخص هؤلاء المبعوثين مرتين لدحر السلطات الصهيونية ، طالما «عبادي» يعمهم وسواهم من المكرمين : ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَخْزَنُونَ﴾ (٤٣ : ٦٨) ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٣٩ : ١٧).

وكما في مثلث العباد «عبادنا» هم المصطفون : ﴿تُمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٥ : ٣٢) حيث السابق بالخيرات من العباد هم «عبادنا» والظالم لنفسه «عباد الشيطان» والمقتصد بين ذلك عوان. ونحن لا نجد في الطول التارخي والعرض الجغرافي الإسلامي «عبادا لنا» خيرا من المسلمين الثوار الابريانيين بمن يلحق بهم ويستجيب لهم من سائر المسلمين في هذه المعركة المصيرية بين مطلق الإسلام ومطلق الكفر ، اللهم إلا بعضا من كانوا مع الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وعلى والحسين (عليهم السلام) ام من ذا؟ ولكنهم عاشوا قبل

المرتدين من الإفساديين العالميين ، ونحن نعيش المرة الأولى منهمما ، فلنكن نحن «عبدادا لنا» وقد يعبر عنهم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) باخوانه فوق أصحابه! في قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «اللَّهُمَّ لَقَنِي إِخْوَانِي»^(١) «وَيَا لَيْتَنِي قَدْ لَقِيتُ إِخْوَانِي»^(٢) وهم رفقاءه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «الواحد منهم له اجر خمسين منكم»^(٤).

(١) البخاري ٥٢ : ١٢٣ . ٨ . يبر باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، ذات يوم وعنه جماعة من أصحابه : «اللَّهُمَّ لَقَنِي إِخْوَانِي» مرتين . فقال من حوله من أصحابه : اما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال : لا . إنكم اصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني لقد عرفتهم الله بآسمائهم واسماء آبائهم من قبل ان يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمها them ، لأحددهم بأشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء ، او كاللقياض على جسر الغضاء أولئك مصابيح الدجى ، ينجيهم الله من كل فتنه غباء مظلمة».

وفيه (١٢٢) ٤ . ج عن أبي حمزة الشمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة بعده . يا أبو خالد! ان اهل زمان غيبته القائلون بإمامته ، المنتظرون لظهوره أفضل اهل زمان ، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم منزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالسيف ، أولئك هم المخلصون حقا وشييعتنا صدقًا والدعاة الى دين الله سرا وجهرًا ، وقال : انتظار الفرج من أعظم الفرج».

وفيه (١٢٥) ١٢ . ك : عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) علي (عليه السلام) : يا علي ! واعلم ان أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض».

(٢) (١٣٢) ٣٦ . جاء ، باسناده عن عوف بن مالك قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ذات يوم : يا ليتني قد لقيت إخوانى ...».

ولَئِنْ قَلْتَ إِنْ هُؤُلَاءِ حَسْبُ النَّصِّ يَعْثُونَ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ وَأَنِّي لَكُمْ أَنْكِمْ
فِي زَمْنٍ وَعْدَ الْأُولَى وَعِقَابَهَا وَإِفْسَادَ هَذِهِ الْمَرَةِ بَعْدِ لَمْ يَشْمَلِ الْمُعْمُورَةَ كُلَّهَا حَتَّى يَحْيَنْ حِينَ
وَعِدَهَا.

علة لأن المرة الأولى بادئة منذ زمن ، ولا ن في وعدها يبعث «عبدالله لنا» وتصدق هذه الصيغة لأول مرة علينا ، فلنكن نحن هم ، وإنما فليقل «عبدالله لنا» كنا وكذا حتى لا يشمنا ، ثم البعض آخذ فيما موقعه لما قطعنا ذنبًا طويلاً من أذناب إسرائيل «الشاه» ونعيش الآن قطع أذناب أخرى حتى نصل إلى صاحب الأذناب «إسرائيل».

فكما أن إسرائيل تفسد في الأرض بأذنابه ، بخيله ورجله ، برجاته ورجاله من مشارق الأرض ومغاربها ، فليكن الانبعاث في ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ نابعاً منا نابعاً كأصل ، ومستأصل كل الفساد من يستجيبونا من مسلمي المعمورة الأحرار.

لهؤلاء الشوار الأماجدة حسب النص مثلث من الميزات : ١ . «بعثنا ...» ٢ . «عبدالله لنا» ٣ . ﴿أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ﴾ والنتيجة : ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ حيث يتحققون الوعد : ﴿وَكَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ !.

(٣) المصدر (١٢٩) ٢٥ غط باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتند به قبل قيامه يتولى وليه وبثيراً من عدوه ، ويتولى الأئمة الهادية من قبله ، أولئك رفقاء وذووا ودى ومودي وأكرم امتى على (وأكرم خلق الله علىّ).

(٤) الغيبة للطوسي (٢٩٠) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم قالوا يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نحن كنا معك بيدر واحد وحنين ونزل علينا القرآن؟ فقال : انكم لو تحملتم لما حملوا لم تصبوا صبرهم.

والبعث الرباني ولا سيما في جمعية الصفات «نا» يعني بعثا ربانيا ايمانيا صامدا صارما كالبعثات الرسالية. فالبعث الصهيوني في الإفساد العالمي يتطلب بعثا ربانيا يكافئه في الإصلاح العالمي : بعث عتيد فيه باس شديد! ، ومن قبل تأذن الله نوعية هذا البعث :

﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧ : ١٦٧) : سلسلة من عباد الله الصالحين في حلقات متواصلة متضائلة طول التاريخ الإسرائيلي ممن يسومهم سوء العذاب ، ثم ويختص «عبادا لنا» بأخلصهم في هذا البين وأشدتهم بأسا حيث يقضى بهم على الإفساديين العالميين.

فمن هؤلاء الخصوص؟ هم «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لأن محمد إلا أخذنوه (١) قتلوا (٢) وتفجرة هذه البعثة المظفرة علّها من قم ف «هم والله اهل قم» (٣) ممن يقودهم من رجله القائد الأعظم الخميني نصره الله وكما يروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) : «رجل من اهل قم ...» (٤).

هؤلاء هم الأولون في وعد الأولى ، ثم الآخرون في وعد الثانية «هم

(١) تفسير البرهان عن العياشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) والوتر بفتح الواو وكسره : الفرد او ما لم يتشفّع والذلل او الظلم فيه هو المقصود هنا.

(٢) تفسير نور الثقلين ٣ : ١٨ عن روضة الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى :

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ...﴾

(٣) تاريخ قم تأليف حسن بن محمد القمي نقلًا عن جماعة من اصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) قالوا : كنا حضورا عنده (عليه السلام) فتلا : **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ...﴾** قلنا : جعلنا فداك من هؤلاء؟ قال : هم والله اهل قم.

(٤) يأتي تفصيل هذا الحديث.

القائم (عليه السلام) وأصحابه»^(١).

ف «عبدادا لنا» يقتسمون الى من ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَغْفُولًا﴾ ومن ثم من ﴿لَيْسُوْا وُجُوهُهُمْ وَلَيَدُهُمْ كَمَا دَحَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ وكما الإفساد الثاني أقوى وعلوه أعلى من الأول واشجى ، كذلك ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ فيه هم أحق وأحرى ، كما أن قائدتهم المهدى (عليه السلام) إمام لقائد المرة الأولى ولكافحة المكلفين . اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.

ثم لا نجد البعث في آياته إلا بعث الرسل او بعث الأموات فالثاني تكويني والأول تشريعي يعم المرسلين دون سواهم ، اللهم إلا من ينحو منحاصهم كطالوت : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (٢ : ٢٤٧) ثم اللهم إلا من يسومهم سوء العذاب دوما وأخيرا إلا ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ أخصاء ثم لا بعث إلا رساليا إلا في الغراب : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥ : ٣١) خارجا عن الشريعة التشريعية.

وذلك البعث أيا كان ، رساليا او رساليا في غير الرسل يتضمن حركة قوية صارمة تقضي على الحياة العارمة ، فكما بعث الأموات يحييهم ، كذلك ذلك البعث يحيي ميت البلاد ، ويحرر مستضعفى العباد عن سلطان الطواغيت بصورته العامة المستمرة ب «من يسومهم» والخاصة بالمرتدين ب «عبدادا لنا».

ثم «عبدادا لنا» هي ك «بعشا» تخصهم دون سواهم! وكذلك ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إذ لا نجدنا إلا في الحديد : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (٥٧ : ٢٥) ام في بأس الله : ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ (٤ : ٨٤)

(١) نور الثقلين عن تفسير العياشي عن حمran عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

اللهم إلا فيما يدعيه من لا يصدقون : ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (٢٧) : (٣٣) وقد تبين أن بأسهم بآئس أمم بآئس سليمان (عليه السلام) وأخيراً من يحدّر المخلفون من الاعراب عنهم : ﴿فَإِن لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَيْ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُفَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ...﴾ (٤٨ : ١٦) وهذا هو البأس الشديد لأعداء الإسلام منقطع النظير في التاريخ وعله بآئس اليهود في المرتين ^(١) ، يقابله بآئس شديد من ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ بآئس شديد بآئس شديد ، واين شديد من شديد ، ثم لا نجد شديداً للمصلحين في تاريخ الرسالات ام للمفسدين إلا هذا وذاك.

فهذا المثلث الجيد ، المنقطع النظير بزواياه ، يقضي على الصهاينة المجرمين ، حيث يجوسون خلال الديار.

﴿... فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾

فالجوس هو الطلب باستقصاء في تردد حتى يتوسط المطلوب ، وهؤلاء المؤمنون الأشداء يطلبون أولئك المفسدين في المرة الأولى باستقصاء وتردد خلال ديارهم وسائر الديار ، دارا بعد دار ليجازوهم ما أفسدوا ويستأصلوهم ما وجدوهم ، ونحن هم إنشاء الله! حيث لا ندع وترا لآل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا أخذناه او قتلناه ، والصهيونية العالمية بن معها من كفرة البلاد او مسلميهم المستسلمين ، هم كلهم وتر لآل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ونحن . بإذن الله . سوف نطأ ما فيها ومن فيها بلا تهيب! وإننا في هذه المرة ندخل المسجد الأقصى

(١) راجع سورة الفتح الجزء ٢٦ من الفرقان ص ١٨٢ على ضوء آية البأس الشديد.

منتصرین وکما فی آیة الانتصار الثاني ﴿وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...﴾ !
 ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (٦) إِنْ
 أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسْأَلْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيَسُوُّا وُجُوهُكُمْ وَلَيَدْخُلُوا
 الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَسْبِيرًا﴾ (٧).

هذه الآيات من الملاحم الغيبة الثانية إبناء هاما عن آخر الزمن ، حيث الظلم والفساد يعم المعمورة كلها على سلطة عالية صهيونية عالمية وعملائها وأذنابها في مشارق الأرض ومغاربها ، ومن ثم يقضى على هذه السلطة بفرقة ثانية هي أنسى وأسمى من الأولى من «عبدالنا» وهم القائم (عليه السلام) وأصحابه وتحقق الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية والى يوم القيمة.

إن لقيام صاحب الأمر شرطين اساسيين سلبا وإيجابا كما هما لهذه الدولة الإسلامية بـ «عبدالنا» قبلها ، فالسلبي هو سلب الحق والعدل عن المعمورة من يعيشون في الأرض فسادا ، والإيجابي هو تحصل «عبدالنا» تبلورا من مسلمي المعمورة المجاهدين المناضلين ، ولكي يحصل جند المهدي الأصلاء العشرة آلاف ، وأصحاب أولويته الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا حيث يقودون الولية الدولة المهدوية وهم من اقسام مملكته في كل المعمورة.

عمال الناحية السلبية لتأسيس هذه الدولة هي الصهيونية العالمية واضرائها وکما في المرة الأولى ، وعمال الناحية الإيجابية لها هم خيرة من «عبدالنا» كما في الأولى ، أشداء خيرين وجاه أشداء شر بيرين.

وكما ان الصهيونية العالمية تعامل وتعامل في عيش الإفساد العالمي في

المتغلب من مسلمي المعمورة تبلورا في «عبدادا لنا» في المترن هاتين . وعلى طول الزمن . لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى : ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بِعَضَهُمْ بِعَضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَصْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢٥١) وإذا الأرض فسدت حيث «عبدادا لنا» يستضعفون ولا يناصرهم أمثالهم من مسلمي البلاد ، فعليهم ان يتذروا ويفوزوا جميعا ولكي يجوسوا خلال الديار ويسمعوا وجوههم ، ﴿وَكَانَ وَغَدَّاً مَفْعُولاً﴾ . فهناك على طول الخط ﴿مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بعثا إلهيا الى يوم القيمة ، ثم «عبدادا لنا» في مرتي الإفساد العالمي ، كما . علّنا . نعيش الآن أولاهما وتتلوها الثانية بقيام صاحب الأمر صلوات الله عليه .

وأنباء وملامح السلطة الصهيونية في غلبهم وأنهم سيغلبون وفيرة عن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) واهل بيته الكرام ، نستعرض هنا منها نماذج : قال (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي فتعال فاقتله» (١) وهذا يشمل مرتي الوعد في إفساديهم العالميين . وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي من ورائي فاقتله» (٢) .

وقال علي (عليه السلام): «ثم ليستعملن عليكم اليهود والنصارى

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٨ والبخاري ٢ : ١٧١ .

(٢) سنن الترمذى ص ٣٢٥ .

حتى تنفوا . يعني الى أطراف الأرض . ثم لا يرغم الله إلا بآنافكم ثم والله ليبعشن الله رجالا منا اهل البيت يملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا»^(١).

ولا واقع لهذه الملحمة طول التاريخ الإسلامي لمناه الاستثمار والاستعمار اليهودي النصري إلا عند احتلال فلسطين بما تناصرا وتعاصدا . وتخاذل المسلمين . حيث نفي الفلسطينيون الى أطراف الأرض ، ومن ثم سائر المسلمين بين منفيين عن أراضيهم او عن سلطتهم الإسلامية ، عائشين تحت السلطة الصهيونية الصليبية ، ثم السلطة الإسلامية عليهما مرتان آخرها هي العالمية الكبرى الدائبة ، كما الإفساد الثاني عالمي ، وهذه الخطبة تبشر بالثانية ، وسائر ما نقله من الملاحن شاملة لهما^(٢) . او تخص الثانية^(٣) .

وكما الآيات الأولى أذنرت بالمرة الأولى في الإفساد العالمي ثم بشرت ان «عبدانا» بجوسون خلال الديار كذلك هذه الثانية تذر أشد من الأولى وتبشر ببشرارة فوقها.

(١) الكني للدولابي ج ٢ ص ١٥٧ عن شيخ من التخう سمعت عليا (عليه السلام) يقول وهو على المنبر : ...

(٢) ومنها اضافة الى ما مضى في الرقم (١ و ٢) ما رواه احمد في مسنده (٤١٧ : ٢) عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر او الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ...».

(٣) في الفائق (٢ : ٢١٩ - غر) خطب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فذكر الدجال وقتل المسيح له قال : فلا يبقى شيء مما خلقه الله تعالى يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا دابة فيقول يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله الا الغرقدة فانها من شجرهم فلا تنطق ، وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمه كل دابة حتى يدخل الوليدة في فم الحنش فلا يضره».

إنذارات وتبشيرات جزاء وفاقا والعاقبة للتنقى :

فمربع الإنذار : ١ . لتفسدن ، ٢ . ثم رددنا ... ٣ . وأمدداكم ... ٤ . وجعلناكم

...

ومربع : ١ . فجاسوا ، ٢ . ليسوؤا وجوهكم ، ٣ . ولدخلوا المسجد . ٤ . وليتبروا ...

هذا مربع التبشير بفضل الله ورحمته ، فترى كيف يضيّف الله إلى نفسه ثالولا من

الإنذار؟

عله حتى لا يقال أنهم غالبون على أمر الله حيث يكررون على «عبداد لنا» المبعوثون

من الله ، ذلك بأن الله لا يحول دون ثالوثهم جبرا عليهم في حولهم وحيلهم حيث الدار دار

الاختيار وليس الإجبار ، مجرد أنه لا يحول بينهم وبين كرتهم هذه يسمح بهذه الإضافة

«ردنا ..» وكما في اصراها : ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفَّارِ تُؤْزِّعُهُمْ أَرَّاً﴾ (١٩ : ٨٣)

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِهَا لِيمَكُرُوا فِيهَا﴾ (٦ : ١٢٣) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ

نَبِيٍّ عَدُوا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِ﴾ (٦ : ١١٢) إرسال وجعل تكويني في اختيار دون إجبار

(١) لا تشريعي حيث الأمور كلها راجعة إلى الله

(١) فإذا لا مؤثر في الوجود إلا الله فكل أثر وتأثير فيه اذن من الله ، فإن كان خيرا فالاذن في مثلث : التشريعي - التكويني توفيقا والتقويني في الجزء الأخير من العلة الناتمة ، وإن كان شرا فإلا خير فقط ، بعد ما قدم المكلف كل حوله وقوته ولم يبق من مقدمات فعله إلا اذنه تعالى تكوينا ، فإن لم يأذن إذا أصبح المكلف مسيرا مجبورا في ترك الشر ، وإن اذن حيث يجعل المكلف مجبورا في فعل الشر كان ظلما ، والعدل العوان بين ذلك هو أن يكون اذنه تعالى بعد تكملة مشيئة المختار بما قدم من مقدمات اختيارية ، فهو تعالى يأذن هنا كجزء من اجزاء العلة الناتمة ، وما دام الفعل مستنودا إلى اختيار من الفاعل وإن كان واحدا بالمائة من مقدماته يعتبر ذلك الفعل اختياريا ، وإن كان العقاب والثواب حسب درجات الاختيار فإن أفضل الأعمال أحجزها.

وصادرة عنه ، وكما يليق بساحة قدره دون تغلب لأحد على الله لا في خير ولا في شر .
إن الإهمال الإلهي لعمال الإفساد امتهان واستدرج للمفسدين وامتحان للمؤمنين :
﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَاحْتِرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢١ : ٣٥) .

وتلكم الكثرة الأخيرة على «عبدالنا» عليها ليست لأنهم يتسللون في نضالهم . وإنما لتقللهم في عدتهم وعدتهم ، وتعلل من توجب عليهم نصرتهم من مسلمي البلاد من ناحية ، ثم من أخرى الانفاضة العامة من الصهيونية المتبقية خلال الديار ، فمن يستجيب لهم من سائر الكفار ، حيث يجند الشيطان جنده ويحذب حزبه للمرة الثانية والأخيرة ويضاف إلى الإفساد العالمي من الصهيونية العالمية علو كبير ، حيث الإفساد في الأرض مرتان والعلو مرة واحدة وهي في الثانية : ﴿الْتَّفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَانِ وَلَتَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ لا علوين ، وهو في الإفساد الثاني ، إذ هم فيه ﴿أَكْثَرُ نَفِيرًا﴾ ! .

وترى كيف بإمكان اليهود هذان الإفساد ان العالميان والعلو العالمي في الأخير ، وهم مضروب عليهم بالذلة والمسكنة؟ وهل الدولة القوية والسيطرة العالمية بعد ذلة ومسكنة ، وهم ممدود لهم بأموال وبنين وهم بعد أكثر نفيرا؟! والله تعالى يعد المسلمين في تصريحات قاطعة :
﴿لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنَصَّرُونَ﴾ (٣ : ١٠٨)؟ .

. إذ ينسب الله شرا إلى نفسه لا يعني إلا سلبا وإيجابا : انه لم يحل بين العبد وشره «وَيَأْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» وإنه اذن له أخيرا في فعله تكوينا لا ينافي الاختيار ، فليس الله فاعلا لشره ولا معاونا له شريك في شره . وإنما لم يمنع اجبارا واذن له اختيارا : اذن في اختياره السوء ان يتحقق ما يريد باختياره السوء ، «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» .

بلى ! إنهم مضروب عليهم بالذلة حيث ما ثقفوا إلا بجبل من الله ، و
 ﴿لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ ولكن شريطة تحقيق شروط من الله وكما قال الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فِرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ إِعْانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ .. وَمَنْ
 يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ (٩٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَايِهِ وَلَا
 تَمْوَثُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٩٨) وَاعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا .. (٩٩) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ
 أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠١)
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ..
 (١٠٢) كُنُّتُمْ خَيْرًا أُمَّةً أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..
 (١٠٧) لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يَقَاوِلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٠٨) ضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الدِّلْلَةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبِجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأُوْبِغَاصَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
 الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَهْمَمِهِمْ كَانُوا يَكُفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ (١٠٩ : ٣).

فهناك ذلة بترك الحبلين ومسكنة على اية حال لکفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير
 حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فلو أنهم تمسكوا بالحبلين لزالت عنهم الذلة والمسكنة
 تماما ، أو انهم تمسكوا بجبل واحد وكما هم متمسكون الآن بجبل من الناس (١) لزالت عنهم
 الذلة على حد تمسكهم وتماسكهم مع بعض ، ثم المسكنة هي حالة الاحتياج وان كانوا في

(١) وان كان حق التمسك بجبل من الناس ان يتبنى حبلا من الله ، ولكن لجبل من الناس متحلا عن جبل الله
 اثره وجاه تارك الحبلين تماما.

غنى ظاهريه اقتصادياً وكما هم لزامهم هذه الحالة وان ملوكوا ثروات العالم.

ثم المسلمين المخاطبون «لن يضروكم» انا هم المخاطبون بسابقة الآيات الصابعة لهم بصيغة : ١ . الا يطيعوا الكفار ٢ . ويعتصموا بجبل الله جمِيعاً وهو الاعتصام بالحبلين جمِيعاً ٣ . ويتقوا الله حق تقاته ٤ . ويعتصموا بالله ٥ . وتكن فيهم أمة داعية آمرة ناهية ٦ . ولا يتفرقوا !.

واما المسلمين المستسلمون أمام الاستعمار الكافر ، التاركون للحبلين ، ام ماذا؟ ما خوطبوا به في هذه الآيات فلا يصدق لهم «لن يضروكم» فالمتمسك بجبل واحد وان كانوا هودا يتغلب على تارك الحبلين وان كانوا مسلمين ، وكما انتصرت إسرائيل على المسلمين العرب المستسلمين حيث انتكس هؤلاء عن حقيقة إسلامهم وتمسك اليهود بجبل من الناس فيما بينهم أنفسهم بتدعيم الوحدة بينهم وسائر المستعمرين شرقاً وغرباً ، فلم يكن ذلك الانتصار وتأسيس دولية العصابات ، وتلكم الانتكاسة من المسلمين العرب الا جزء وفاقا لأولاء وهؤلاء والله من وراء القصد ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانٍ كُمْ وَلَا أَمَانٍ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُعَذَّبْ بِهِ ..﴾ (٤ : ١٢٣).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِم﴾ كردة للصهيونية العالمية على «عبدالنا» : رجعوا عليهم بتغلب أشد من الأولى وأنكى ، حيث العدة والعدة لهم في هذه المرة أقوى : ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعْلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ : منهم ، ومنكم في المرة الأولى وليس إمدادهم بأموال وبنين يجعلهم أكثر نفيراً حيث تسبيباً رد الكرة عليهم ، إلا مسارعة لهم في إساءة وجوههم : ﴿أَكْحَسَسُونَ أَنَّا نُعَذِّبُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُهُمْ فِي الْخُبُرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٣ : ٥٦) وإلا إماء لهم ليزدادوا إثماً : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا غُلَمَّلْنَا لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّا غُلَمَّلْنَا لَهُمْ عَذَابٌ أَنَّهُمْ مُهِينٌ﴾ (٣ : ١٧٨).

كما وان جعلهم أكثر نفيرا في حربهم «عبدادا لنا» ليس إلا إملاء لهم وأملاها ، وكل ذلك امتهانا لهم ، وامتحانا لـ «عبدادا لنا» لأنهم قلوا وأولئك كثروا ، وأنهم تخلوا عن مناصرهم مسلموا البلاد ، وأولئك تمسكوا أكثر من المرة الأولى و ﴿لَا يَغُرِّنَّكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُولَئِنَّ جَهَنَّمُ وَيُشَّرِّقُ الْمِهَادُ﴾ (٣ : ١٩٧).

ثم ورد الكرة عليهم لا يعني القضاء الحاسم على «عبدادا لنا» وإنما قضاء مالردد قليل من الزمن ، حيث العلو الكبير يختصهم فلا يبقى لهؤلاء الأكارم إلا علوا دون الكبير ، حفاظا على كيانهم ، وتحللا عن السيطرة الإسلامية على المعمورة كلها ، عكس ما مضى في المرة الأولى ، حيث الجوس في البلاد ما يعني القضاء الحاسم على الصهيونية ، فلذلك تراها تنبو بعد ذلك وتنموا حتى ترد الكرة عليهم.

ثم ﴿لِيَسْوُا وُجُوهَهُم﴾ في وعد المرة الأخيرة ، راجع الى «عبدادا لنا» مهما قضى نحبه البعض منهم وخلفه آخرون من أجنسهم دون أشخاصهم ، فهذه الدولة الحقة التي يؤسسها «عبدادا لنا» في المرة الأولى سوف تبقى ومن ثم تضعف برد الكرة ردحا من الزمن ، وتتصل بالدولة الأخيرة المهدوية وكما يشير الى ذلك باقر العلوم (عليه السلام) : «كأن بقوم قد خرجوا بالشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا الى صاحبكم قتلهم شهداء أما إنني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر» (١).

(١) غيبته النعماني ص ١٤٥ . ابو خالد الكابلي عن الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام).

وقد ينطبق تماماً على ثورتنا الإسلامية المجيدة المظفرة في إيران حيث قمنا ثلاثة قومات^(١) وفي الثالثة أقمنا الجمهورية المباركة الإسلامية بقيادة القائد الأعظم نائب الإمام السيد روح الله الخميني أطّال الله بقاه ، وسوف لا ندفع هذه الرأية المظفرة إلا إلى صاحبنا صاحب الأمر الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله وسلامه عليه وستأتيكم روایات كهذه وأوضحت في انباء

. وفي ج ١٣ ص ٢٢١ ملحقات احراق الحق شرح الآية الله العظمى المرعشى باب يخرج ناس من المشرق فيوطّعون للمهدي سلطانه : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يخرج ناس من المشرق فيوطّعون للمهدي يعني سلطانه أقول : وعلّهم هؤلاء الثوار المخلصون الذين يعبدون الطريق للمهدي عليه السلام ويناسب الثورة المباركة الإسلامية في إيران .

رواه جماعة من الاعلام منهم الحافظ وابن ماجة القزويني في سنن المصطفى ج ٩ ص ٥١٩ والعلامة الحموي في فرائد السمعتين مخطوط والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٨ مكتبة القدسية بالقاهرة والعلامة السيوطي في الحاوي للفتاوى ص ٦٠ ط القاهرة والعلامة ابو عبد الله محمد بن عثمان البغدادي في المنتخب من صحيح البخاري ومسلم ص ١٨٣ مخطوط والعلامة النابلسي في ذخائر المواريث ج ١ ص ٢٩٢ مكتبة القدسية بمصر والعلامة النبهاني في الفتح الكبير ج ٣ ص ٤٢٠ ط مصر والعلامة القرطبي في التذكرة ط مصر والحافظ الكنجي الشافعى في البيان في اخبار آخر الزمان ص ٣١٤ ط النجف والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٩٨ ط عبد اللطيف بمصر والعلامة المولى على المتقي الهندى في منتخب كنز العمالة المطبوع بهامش المسند ج ٦ ص ٢٩ الميمنية بمصر والعلامة الشيخ عبد النبي بن احمد القدوسي الحنفي في سنن المهدي ص ٥٧٢ مخطوط .

(١) القيام الأول . في هذا الوجه . كان في الثاني عشر محرم الحرام . ١٥ خرداد ١٣٤١ حيث سقط من جرائه عشرات الآلاف من القتلى ، والثاني في عام ١٣٥٦ حين استشهد نجل نائب الإمام السيد مصطفى الخميني واستشهد الآلاف ، والثالث حين انتقل نائب الإمام من النجف إلى باريس واضطر محمد رضا بهلوى إلى تسليم الأمر إليه ثم يبقى هو على عرشه دون أية مسؤولية ، ولكن الإمام لم يقبل منه حتى ثار الثورة الثالثة حيث فر الشاه ومن وراءه رئيس وزرائه وأسس الجمهورية الإسلامية بقيادة نائب الإمام روح الله الخميني .

وملاحم غيبيته ان شاء الله تعالى.

وقد يناسبها ما يروى عن الرسول (ص صلّى الله عليه وآلـه وسلـم) حيث يفسر آية الكرة بقيام القائم (عليه السلام) ، ويفسر «عبدادا لنا» بسلمان الفارسي ومن كان مثله من يوالى القائم بحقيقة المعرفة ^(١) وعلـم دمج المرتين بعضـها وهـناك يشير الى قلة الفصل بينهما ، وان الأولى : إفسادـا او إصلاحـا ، لتعـيد الطريقـ إلى الثانية ، اللـهم عـجل لناـ الثانيةـ بما تعبـدـهـ فيـ الأولىـ .

﴿.. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾(٧).

في هذه الفترة من الكرة. ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ «دون إفساد وعلـو» ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ حيث لا يقـىـ علىـكمـ إنـ أـحسـنتـمـ فأـصـبـحـتـمـ عـدوـلاـ مـسـلـمـينـ ،ـ اـمـ بـقـيـتـمـ هـودـاـ مـسـتـسـلـمـينـ ،ـ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ وأـفـسـدـتـمـ فيـ الأـرـضـ بـعـلـوـ كـبـيرـ «فـلـهـاـ» حيث «عبدادـاـ لناـ» لكمـ بـمـرـصادـ صـارـمـ فـ﴿لـيـسـوـاـ وـجـوهـكـمـ﴾.

إـنـهـ لـيـسـتـ الحـسـنـ بـالـتـيـ تـحـسـنـ حـالـةـ طـائـفـةـ فـحـسـبـ دونـ أـخـرىـ ،ـ اوـ

(١) كما في تفسير البرهان ٢ : ٤٠٦ . ابو جعفر محمد بن جرير في مسند فاطمة باستاده الى محمد بن خلف الطاهري عن زادان عن سلمان . في تعريفه (صلـى الله عليه وآلـه وسلـم) بالأئمة الاثني عشر ، ثم محمد بن الحسن الهادي المهدى الناطق القائم بحق الله ثم قال يا سلمان انك مدركـهـ ومنـكـ وـمـنـ توـالـهـ بـحـقـيـقـةـ المـعـرـفـةـ قال سـلـمـانـ فـشـكـرـتـ اللهـ كـثـيرـاـ ثمـ قـلـتـ ياـ رـسـوـلـ اللهـ (صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)!ـ وـاـنـيـ مؤـجـلـ اـلـىـ عـهـدـهـ ثـمـ قـلـتـ سـلـمـانـ اـقـرـءـ ﴿فـإـذـاـ جـاءـ وـعـدـ أـلـوـاهـاـ ..ـ ثـمـ رـدـذـنـاـ لـكـمـ الـكـرـةـ عـلـيـهـمـ ..﴾ـ قالـ سـلـمـانـ :ـ فـاشـتـدـ بـكـائـيـ وـشـوـقـيـ ثـمـ قـلـتـ ياـ رـسـوـلـ اللهـ بـعـهـدـ منـكـ فـقـالـ :ـ ايـ وـالـلـهـ الـذـيـ أـرـسـلـ مـحـمـداـ بـالـحـقـ مـنـيـ وـمـنـ عـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ وـالـتـسـعـةـ وـكـلـ مـنـ هـوـ مـنـيـ وـمـعـنـاـ وـفـيـنـاـ ايـ وـالـلـهـ يـاـ سـلـمـانـ وـلـيـحـضـرـ إـبـلـيـسـ وـجـنـوـدـهـ وـكـلـ مـنـ مـحـضـ الـإـيمـانـ مـحـضاـ وـمـحـضـ الـكـفـرـ مـحـضاـ حـتـىـ يـؤـخـذـ بـالـقـصـاصـ وـالـأـوتـارـ وـالـاثـوارـ لـاـ يـظـلـمـ رـبـكـ أـحـدـاـ وـتـحـقـقـ تـأـوـيلـ هـذـهـ الـآـيـةـ :ـ ﴿وـنـرـيـدـ أـنـ مـنـ عـلـىـ الـدـيـنـ اـسـتـضـعـفـوـاـ فـيـ الـأـرـضـ ..﴾ـ .

السيئة تسيء جماعة دون آخرين ، فالضابطة العامة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة ، والتي تجعل عمل الإنسان كله له دون سواه ، بكل ثماره ومخلفاته ، وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل ، إنما ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْنَتُمْ فَأَسَأْنَتُمْ﴾ دونما استثناء.

﴿... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيَسُوُا وُجُوهُهُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةً وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَبْيِيرًا﴾ (٧).

وعد الآخرة ، وما يدرك ما وعد الآخرة؟ إنها ليست الآخرة في الأخرى. بل هي الآخرة من مرئي الإفساد في الدنيا : الأرض كلها ، حيث تجمع الصهيونية العالمية بين الإفساد والعلو الكبير العالمي بأذنابها الكفار امّن ذا؟؟ من بني الإنسان المتخلفين عن شرعة الله ، إذ تذرع بثالوثها لتجعل الأرض فاسدة كاسدة لا تصلح فيها حياة إنسانية إلا على تخوف وحذر. ثم لا يطول فسادهم العالمي الا ردها من الزمن حيث تتفجر الجماعات البشرية بـ «عبادا لنا» في وجه الظلم والطغيان ، وليحققوا مثلثا من النكال والإصلاح : ليسووا وليدخلوا . وليتبروا !.

وهذه هي المرة الثانية والأخيرة من دولة الباطل حيث يقضى عليها بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه . وعلى طول الخط . كما قضى عليها بأضرابهم ردها من الزمن ، وعلى الدولتين متصلتان على فترة في ضعف بينهما للأولى وهنا أوامر ثلاث يتحققها زعيم الدولة الإسلامية الأخيرة بأصحابه الأكارم «فبِهِ يَمْلأُ اللَّهُ الْأَرْضَ قَسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَّتْ ظَلَمًا وَجُورًا» .

﴿لَيَسُوُا وُجُوهُهُمْ﴾ : كما أساءتم وجوه الإنسانية وأفسدتم وجه الحياة ، فـ «عبادا لنا» من تبقى من المرة الأولى ومن يستحصل حتى المرة الثانية من أصحابهم وهم أقوى واهدى سبيلا ، هؤلاء الأكارم مبعوثون مرة

ثانية بأمر الله أن يواجهوهم في وجوههم كل الوجوه وبكل الوجوه ، استئصالا لسائرهم ، واسودادا لوجوههم وسيادة لوجوه المؤمنين وشرارة دائمة لا تنقضي .

﴿لَيَسْوُا بِجُوَهِكُمْ﴾ قتلا وتشريدا وتنكيلا وتذليلا ، وليس قتل الإبادة فقط . إذ

يتبقى منهم جماعة لا حيلة لهم ولا حول ولا قوة ، عائشين حياة الذل والعداء فيما بينهم : **﴿وَالْقِيَامَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسِّعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** (٥ : ٦٤) وهذه لليهود ، ولا يعني سعي الفساد منهم إلا لحد المرة الثانية من إفسادهم العالميين ، وسائل إفسادهم لهذا الحد ، حيث هم كإخوانهم النصارى لا قوة لهم في هذه الدولة : **﴿وَمَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصَارَى أَحَدَنَا مِيشَافُهُمْ فَسَوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسُوفَ يُنَيِّثُمُ اللَّهُ إِمَّا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** (٥ : ١٤) فالطائفتان باقيتان على قلة من عدة وعدة إلى يوم القيمة ، عائشتان العداوة والبغضاء فيما بينهم ، ولكنهم تساء وجوههم في افسادهم الثاني ، فلا تضر عداءهم بينهم الدولة الإسلامية العالمية .

وبعد ما ساءت وجوههم وشاهدت وانهارت شوكتهم وعلوهم الكبير : ٢ **﴿وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةً﴾**

: يدخل «عبدانا» المسجد الأقصى دخولا لا خروج عنه ، حيث يصبح مقرا لزعيم الدولة الإسلامية القائم المهدي (عليه السلام) **﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةً﴾** حيث **﴿فَجَاسُوا بِخَلَالِ الدِّيَارِ﴾** ، واين مرة من مرة؟!

فأول مرة من مرتي الإفساد التي . علّنا . نعيشها الآن سوف ندخل المسجد الأقصى

ونبقى فيه مسيطرين ردها من الزمن ، ثم نخرج فترجع اليه زمان المهدي (عليه السلام) مرة ثانية وعلى طول الخط اللهم عجل فرج صاحب الأمر .

٣ . ﴿وَلَيَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّا﴾ والتبير هو الإهلاك الكبير حيث لا يقى ولا يذر وترا من المفسدين وليس هو هلاك عمال الفساد فحسب ، فإنه هلاك فسادهم أيضا : تبارهم بفسادهم ومن تبار العمال : ﴿وَكُلُّا ضَرَبَنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلُّا تَبَرَّنَا تَتَبَرِّا﴾ (١٧ : ٧) ومن الأعمال : ﴿إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَبَّرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧ : ١٣٩) وهؤلاء هم العاكفون على أصنام لهم.

وتبار الصهيونية في هذه المرة بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه هو تبار استصال لهم بفسادهم وعلوهم الكبير ، هلاك كبير لعالين وعلو كبير ، ف «ما علو» كما يعني علوهم (١) كذلك يعني أشخاصهم في علوهم استصالا للشروع والشريرين.

فقد يستأصل الشر بأثاره والشرير باق يجدد ، وقد يستأصل الشرير والشر باق بخلافاته ، ﴿وَلَيَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا﴾ ليس تبيرا لأحدهما والآخر باق وإنما «تبيرا» مستأصلا للشر والشرير معا بحيث لا يجدد أبدا الآدين ودهر الدهارين ، وكذلك تكون ثورة المهدي (عليه السلام) ودولته.

ثم هؤلاء الصهاينة الجرمون من معهم من أوتارهم واذنابهم وأحزابهم ، انهم يقتسمون في تبارهم أقساما ، فمنهم من يقتل ومنهم من يتوب ، ومنهم عوان بين ذلك : لا يقتل ولا يتوب ، وإنما يستأصل شره

(١) و «ما» هنا مصدرية تؤول مدخلها إلى المصدر «علوهم» والنتيجة ليتبروا علوهم . وكذلك هي موصولة : ليتبروا الذين علو في الدرجة التي علو . تبيرا وهما معا هنا معنيان : تبيرا لهم على علوهم ولفسادهم . وإنما «ما» دون «من» وذووا العقول يتطلبون «من»؟ لامرین : ان المصدرية هنا معنية كما الموصولة فلتكن «ما» وانهم اراذل لحد البهائم بل هم اصل فلا يستحقون «من» الخاص بذوي العقول .

وإفساده ، فلا تبقى عدائهم إلا فيما بينهم كما مضت آية إلقاء العداوة بين اليهود وإغراقها بين النصارى إلى يوم القيمة ، ثم لا يعودون ولن إلى إفساد عالمي :

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَدْنَا عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾(٨).

فالرحمة المرجوة لهم تشمل رحمة الغفران بالآيمان ، ثم رحمة الإبقاء لهم بلا آيمان ولا إفساد ، فان عادوا في الإفساد عاد لهم التبار هلاك هنا ثم في الآخرة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ : سجنا يمحصرهم.

الفصل بين الأفسادين:

وترى هل الفصل بين الأفسادين بالدولة الإسلامية طائل أم ماذ؟
عله طائل لمكان ﴿مَرَدَنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ..﴾ حيث توحى بالتراخي ثم لا تراخي للإفساد الثاني لمكان «ف» : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ..﴾ فيبين الوعدين بون متراخ للدولة الإسلامية الأولى التي نعيشها ، والدولتان متصلتان على فترة قصيرة حيث الإفساد الثاني ، فيها فنور للدولة الأولى ، وقوة للإفساد الثاني أقوى من الأول ، وكما يستفاد من أحاديثنا حول الأفسادين والدولتين.

وترى كيف تجتمع الدولة الإسلامية الأولى مع الإفساد العالمي الثاني في فترته القصيرة؟
انها تبقى لحد الحفاظ على اصل كيانها ، ولكي تستحصل البقية الباقيه من جنود المهدى (عليه السلام) وأصحاب الأولوية.

وكما أن دولة المهدى (عليه السلام) أقوى وأسمى وأشمل دولة اممية طول تاريخ الرسالات كذلك أصحاب أولويته هم سلالات وحصالات

الرسالات ، من أنبياء وأولياء وأصحاب الرسل وأفضل من تربى في حجور الرسالات.

فمن الرسل داود وسليمان وDaniyal ام من ذا؟

ومن أصحاب الرسل يوشع وصي موسى وشعون وصي عيسى (عليه السلام) ومن أصحاب محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سلمان الفارسي ومالك الأشتر النخعي وابو دجانة الانصاري ام من ذا؟

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحُقْقِ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وهم خمسة وعشرون رجلا.

ومن هم وكم هم من قوم عيسى؟ لا ندرى ...

ثم ومن هم وكم هم من امة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عليهم او انهم اكثر الأمم ، ويستحصلون طول الرسالة الإسلامية حتى قيام القائم (ع).

وقد يكون قائد ثورتنا الإسلامية السامية في ايران منهم ومن افاضلهم بعد أنبياءهم وأئمتهم.

وحيث اللواء لغويها هو قائد الجيش ومتصرف اللواء ، فهو لاءُ الثلاثمائة والثلاثة عشرة هم قواد الجيش ومتصرفوا ألوية الدولة الإسلامية ، «فإذا اجتمعـت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره»^(١).

(١). بحار الأنوار ٢ : ٥٢ ج ١٠ . ك : السناني عن الاسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني قال قلت لحمد بن علي بن موسى ...

وفي سفينة البحار ٢ : ٧٠٣ عن عبد العظيم الحسني قال قلت لحمد بن علي بن موسى (عليه السلام) اني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد (ص) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فقال : يا .

واصول الجيش بداية هذه الدولة هم عشرة آلاف ، قلوبهم كزبر الحديد يعطى لكل واحد منهم قوة أربعين رجلا ، ثم اللاحق الملتصق بهم لا ندرى عدتهم وعدتهم ، ولكنهم كمجموع . هم دون ريب . أقوى جيش في تاريخ الرسالات والإنسان عدة وعدة ايمانية وحربيه عادلة ، اللهم اجعلنا منهم
اباء الدولة الإلهية وابنائها في الكتاب .

عل الكتاب في ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني عامة التورات لا خاصتها ، فهي كعامة تشمل العهد العتيق كله ، بما فيه كتابات الوحي التوراتي بتوراتها كأصل وبسائر أسفارها كفروع لها ، ام وكتابات الوحي الانجيلي ايضاً أصولاً وفروعها ، حيث الشريعة التوراتية والإنجيلية شريعة واحدة اللهم إلا شدراً ما في الإنجيل من تحليل للبعض مما حرم على إسرائيل من محظيات ابتلائية مؤقتة ، او يعني الكتاب مطلق كتابات الوحي قبل القرآن .

ومما تبقى من هذه الأنبياء هي التي تؤكد قيام صاحب الأمر استئصالاً

. أبا القاسم ما منا إلا قائم بأمر الله عز وجل وهاد إلى دينه ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملاها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سمي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكنبه وهو الذي تطوى له الأرض ويدل له كل صعب يجتمع فيه أصحابه عدة أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله عز وجل : «أَئِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص اظهر أمره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل فلا يزال يقتل اعداء الله حتى يرضي الله عز وجل .»...

لجنور الظلم والطغيان ﴿وَلَيَتَّبِعُوا مَا عَلَوْا تَنْبِيرًا﴾^(١) ما جاء في زبور داود مارارا وتكرارا كما في تصريحة قرآنية : ﴿وَلَقَدْ كَتَنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحِينَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢١ : ١٠٦).

و ﴿عِبَادِي الصَّالِحِينَ﴾ هنا ، هم من «عابدا لنا» ها هنا حيث يرثون الأرض بعد إفسادها الثاني ، والزبور هو زبور داود (عليه السلام) فانه بعد الذكر : «التوراة» حيث تذكر نفس البشارة بشتى العبارات ، ولقد كتب الله تعالى هذه البشارة الاسرائيلية من عتيقها وجدیدها.

ففي الزبور ٣٧ : ٣٤ . ١ . ٣٧ . تتكرر هذه البشارة كالتالي :

فإن الأشرار يستأصلون وأما الذين يرجون رب فلأنهم يرثون الأرض (١٠) ... أما الآئمة فيعاقبون وذرية المنافقين تستأصل (٢٩). والصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد (٤٣) انتظر رب واحفظ طريقه فيرفعك لتirth الأرض عند استئصال المنافقين تنظر . (٣٤)

والآية الأخيرة بشارة لداود أنه من ورثة الأرض في الدولة الحقة الأخيرة وقد يكون من الثلاثمائة والثلاثة عشر أصحاب الأولوية ويتحقق له !.

القائم في اشعيا تصطلح في ملكه السباع :

كما في (اشعياء ١١ : ١ . ١٠) : ويخرج قضيب من جذريسي

(١) راجع الى كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) من ٢٥ . ٢٧٠ . تجد فيه تفاصيل ما جاءت في كتابات الوحي منذ خمسين قرنا.

وينمي فرع من أصوله (١) ويستقر عليه روح الرب روح الحكم والفهم وروح المشورة والقوة وروح العلم وتقوى الرب (٢) ويتنعم بمخافاة الرب ولا يقضى بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه (٣) بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الأرض بإنصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه وبهلك المنافق بنفس شفتيه (٤) ويكون العدل منطقة حقوقه والحق حزام كشهيه (٥) فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوم معاً والأسد يأكل التبن كالثور (٦) ويلعب المرضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم (٨) لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر (٩) وفي ذلك اليوم اصل يسيء القائم راية للشعوب إياها تترجى الأمم ويكون مثواه جيداً (١٠).

هذه الآيات تفسرها التي سلفت من الزيور ، دالة على أن القصيبي من جذرسي أبي داود ليس هو داود ، فان داود من أصحاب أوليته في دولته ، ثم ولم يعهد اصطلاح البهائم وامتلاء الأرض من معرفة الرب واستصال الشر في اي زمان رسالي على طول الخط ولا اي ملك الهي ، اللهم إلا ما وعدناه ونرجوه زمن «القائم» من جذرسي حيث يتسب من ناحية الأم الى يسيء أبي داود (عليه السلام) ويضرب الأرض بقضيب فيه حيث يقوم بالسيف في آخر الزمن !.

وفي اشعيا ٦٥ : ١١ - ٢٥ . تنديد شديد ببني إسرائيل لفسادهم وبهددهم بالتبار وانتقال دولتهم الى «عبيدي» وهم «عبدانا» في الاسراء :

وأنتم الذين تركوا رب ونسوا جبل قدسي الذين يهينون المائدة لجد ويعذبون المزوج لمناه (١١) فأعينكم للسيف وتخذون جميعكم

للذبح. لأنني دعوت ولم تحيبوا. تكلمت ولم تسمعوا وصنعتم الشر في عيني وما لم أنشأ إياه آثركم (١٢) لذلك هكذا قال السيد الرب : ها إن عبيدي يأكلون وأنتم تحجعون. عبيدي يشربون وأنتم تعطشون (١٣) عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون. عبيدي يرغمون من طيب القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب وتولون من انكسار الروح (١٤) وتخلفون اسمي لمحاتاري ويقتلوك السيد الرب ويدعوه عبيده باسم آخر (١٥) فالذي يتبارك بهذا الاسم على الأرض يتبارك بالله الحق والذي يقسم به على الأرض يقسم بالله الحق لأن المضائق الأولى قد نسيت وسترت عن عيني (١٦) لأنني هنا أنا ذا أخلق سماوات جديدة وأرضًا جديدة فلا تذكر السالفة ولا تخطر على البال (١٧) بل تمللوا وابتهجوا إلى الأبد بما أخلق بما فلاني هنا أنا ذا أخلق أورشليم ابتهاجا وشعبها سرورا (١٨) وابتهج باورشليم وابشر بشعيي ولا يسمع فيها من بعد صوت بكاء ولا صوت صرخ (١٩) لا يكون هناك طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه لأن الصبي يموت وهو ابن مائة سنة والخطاطي يلعن وهو ابن مائة سنة وينون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كرومًا ويأكلون ثمرها (٢٠) لا يبنون ويسكن آخر ولا يغرسون ويأكل آخر لأن أيام شعبي كأيام الشجر ومحاتاري يتمتعون بأعمال أيديهم لا يتبعون باطلًا ولا يلدون للرعب لأنكم ذرية مباركي الرب وأعقابهم معهم قبل أن يدعوا أجيب وفيما يكلمون أستجيب (٢٤) للذئب والحمل يرعيان معا والأسد ينبعري يأكل التبن. أما الحية فالتراب يكون طعامها ، لا يضرون ولا يفسدون في جبل قدسي (٢٥).

هذه الانباءات هي آتية في أنباء الإسلام للدولة المهدوية حذو النعل

بالنعل والقدة^(١) ، وكما أجمل عن نبأها في آيات الإسراء . تأمل.

وفي (Daniyal ١٢ : ١ - ٣) : وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمّة إلى ذلك الزمان . وفي ذلك الزمان ينجو شعبك كل من يوجد مكتوباً في الكتاب^(١) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبد^(٢) ويضيء العقولاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثرين أبراً كالكواكب إلى الدهر والأبد^(٣) ..

وفيها تصريحة الرجعة العامة وكما في الصادقي (عليه السلام)^(٤) ثم في الآية (١٣) «وأنت اذهب إلى الانقضاء وستستريح وتقوم في قرعتك إلى انقضاء الأيام» وعلّها اشارة إلى كونه كداود من أصحاب الولي الإمام المهدي (عليه السلام) الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً.

أنباء وملامح غيابه في الروايات الإسلامية :

من خطبة قصيرة لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) حول مستقبل الفتن :

- (١) في أحاديثنا : ينزل المهدي إلى بيت المقدس . تخرج له الأرض أفاليد . أفالاذ كبدتها . تصطليح في مكة السابعة . أقل الأعمار مائة سنة حتى أن الرجل ليروي مائة نسمة من نسله . يستأصل الفساد عن الأرض . وهناك انتقالان من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل . انتقال الشريعة بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وانتقال الملك بالمهدي من آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية» .
- (٢) عنه (عليه السلام) يرجع من الأموات من محض الإيمان محض من محض الكفر محضاً .

«فَتَنْ كَقْطَعَ اللَّيلَ الظَّلْمَ، لَا تَقْوِمُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تَرْدُ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً، وَيَحْفَزُهَا قَائِدَهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبَهَا، أَهْلَهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ، يَجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ قَوْمٌ أَذْلَةٌ عِنْدَ الْمُكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوْيَلٌ لَكَ يَا بَصَرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نَقْمَ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ وَلَا حَسَ، وَسَبِيلٌ أَهْلَكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرَ وَالْجَمْعَ الْأَغْبَرَ»^(١).

ويروى عن جعفر بن محمد (عليه السلام) «... وأهل مدينة تسمى الزوراء. تبني في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ويترقبون ببغضنا يوالون في عداوتنا ويرون حربنا فرضا وقتانا حتما»^(٢).

و «لما رجع أمير المؤمنين (عليه السلام) من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال : إنما الزوراء فسيروا وجنبو عنها فإن الخسف أسرع إليها من الود في النخالة»^(٣).

ومن خطبة له (عليه السلام) «... لكان انظر الى ضليل قد نعى بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان ، فإذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته ، وثقلت في الأرض وطأته ، عضت الفتنة أبناءها بأيديها ، وماجت الحرب بأمواجها ، وبدا من الأيام كلوجهها ، ومن الليالي كدوحها ، فإذا أبشع زرعه وقام على ينعيه ، وهدرت شقاشه ، وبرقت بوارقه ، عقدت رايات الفتنة المعضلة ، واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتبم ، هذا . وكم يخرق الكوفة من قاصف ، وير عليها من عاصف ، وعن قليل تلتف القرون

(١) الخطبة ١٠١ من نوح البلاغة للسيد الشريفي الرضي له عن علي (عليه السلام

(٢) ج ٢ ص ٥٦٧ سفينة البحار للمحدث القمي نقلًا عن بحار الأنوار للمجلسي . له والزوراء هي بغداد.

ويحصد القائم ويحطم المخصوص»^(١).

وعلى القرون الثانية هي القرون الإسلامية في دولة المهدى (ع) وقبيلها بـ «عبداللها» التي نعيشها ، فالقائم (عليه السلام) يحصد ما زرعته الصهيونية العالمية من إفساد المعمورة ، ويحطم ما حصدته . اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.

وقد تروى عنه (عليه السلام) غرة قد تنطبق على ثورتنا الإسلامية المجيدة ضد فورة العمالة الصدامية الصهيونية. في حديث سلسلة الذهب^(٢) انه قال (عليه السلام): «ايهما الناس سلوبي قبل ان تفقدوني ، فإن بين جوانحي علما جما ، فسلوبي قبل ان تشغر برجلها^(٣) فتنية شرقية تطاً في خطامها^(٤) ، ملعون ناعقها وموليها وقادتها وسائقها والمحرز فيها ، فكم عندها من رافعة ذيلها يدعوا بويلها دجلة أو حوها ، لا مأوى يكنها ولا أحد يرحمها ، فإذا استدار الفلك قلتم مات أو هلك ، وبأي واد سلك^(٥) فعندها توقعوا الفرج وهو تأويل

هذه الآية : 

(١) من الخطبة ١٠٠ نجح البلاغة للسيد الرضي عن علي (عليه السلام)

(٢) تفسير نور الثقلين ٣ : ١٣٩ في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته : ...

(٣) شغر الكلب برجلها لبيول بال ام لم يبل ، وشغر الرجل رجله للنكاح . شغرت الأرض لم يبق بها احد يحميها ويضبطها فهي شاغرة ، والشغر الإخراج وبعد ، وشغر البلد بعد من الناصر ، وارض شاغرة ، لا تمنع من غارة أحد لخلوها والتفرقة فيها ، وشغرت الناس برجلي علوت الناس.

(٤) الخطام كخطاب موضع الزمام من أنف البعير ام ماذا.

(٥) سفينة البحار ٢ : ٧٠٢ عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر (عليه السلام) عن آبائه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولات النعم في غيته يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فمن ثبت منهم .

لَكُمُ الْكُرَّةُ عَلَيْهِمْ ... ﴿٢﴾ والذى فلق الحبة وبرىء النسمة ليعيش إذ ذاك ملوك ناعمين ، ولا يخرج الرجل منهم في الدنيا حتى يولد لصلبه الف ذكر ، آمنين من كل بدعة وآفة والتنزيل ، عاملين بكتاب الله وسنة رسوله ، وقد اضمحلت عليهم الآفات والشبهات».

الفتنة الشرقية

: علها او انها الفتنة الصهيونية الشرقية او سطية البدائة من إسرائيل في احتلال فلسطين والقدس ، المتعلقة بحمل من الناس التنسناس شرقياً وغربياً .
ومن أدناها العملاء الفتنة الصدامية العفلقية من بغداد وما حولها ، كما نعيشها الآن .
تشعر برجلها . تطاً في خطامها .

. على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة امامه فهو معى في درجتي يوم القيمة». وفيه عن أبي خالد الكابلي قال قال لي علي بن الحسين (عليه السلام) يا أبا خالد! ليأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه أولئك مصابيح المدى وينابيع العلم ينجبهم الله من كل فتنة مظلمة كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثة وبضعة عشر رجلاً جباراً عن يمينه وميكائيل عن شماله وإسرافيل امامه معه راية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد نشرها لا يهوي بها إلى قوم إلا هلك لهم الله عز وجل».

وفي نفس المصدر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) عن أبيه قال قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني حتى يقول أكثر الناس : ما الله في آل محمد من حاجة ويشك آخرهن في ولادته ، فمن أدرك زمانه فليتمسك بيديه ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً بشكه فيزيله عن مليء ويخرجه من ديني فقد اخرج أبويكم من الجنة من قبل وان الله عز وجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون».

فتنة شاغرة بأرض شاغرة من مفتنتين شاغرين ، وكأن أصلها إنسانة محبوكة تختبط في مشيتها ، حيث تمشي مكبة على وجهها ، إذ ترفع هذه الإنسانة الحيوانة برجلها ، وبدل أن تطأ في أرضها تطأ في عرضها . في خطامها : أنفها الذي هو موضع زمامها ، فلا تتمكن من غارة أحد لأرضها لخلوها من يحميها والتفرقة فيها.

ترفع برجلها لتحتل أرضا او أراضي أخرى ، فإذا هي بوطئها خطامها تثبت في موضعها وتحتل أرضها ويهتك عرضها ، ولأنها رفعت رجلها الى غير حقها ، متخططة في وطنتهها ، ماشية مكبة على وجهها ، فلا تطأ وتذل إلا أنفها ، فتبتلى بخمسية لعنتها : ملعون ناعقها وموليها وقادتها وسائقها والمحرز فيها.

كأن «ناعقها» الذي ينعق ويعربد لهذه الفتنة هو صدامها الصهيوني البعشى حيث أخذ يعربد لحرب وحشية شعواء عشواء على الجمهورية الإسلامية لصالح الصهيونية العالمية ، كأنه ذنب عملي من أذنابها ، يرعد ويريق ولا يحرق إلا نفسه ، و «موليها» الذي يوليها ويتولاها كأصل لها هي نفس الصهيونية في إسرائيل ثم سواها ، حيث تتولى هذه الحرب بأرذل وأطول أذنابها في البداية ، ثم إلى أذنابها الشرقية والغربية الأخرى.

وعلى «قادتها» هو الامبرالية الأمريكية حيث تقود هذه الفتنة لصالح الصهيونية ، وهي هي من عمالها الأقوباء ، ومن ثم الإمبرالية السوكية أم ماذا؟ . و «سائقها» الذي يسوقها هو العمالة البعشية العفلقية بناعقها «صدام» حيث تسوق هذه الفتنة الشاغرة العارمة في جنة وتحبط

ثم «المتحرز فيها» تحرز الحفاظ على كيانه من بأس الثورة الإسلامية وتحرز الفرار عن بأس البعث الصدامي ، علىها عديد من دويالات الخليج وأضرابها التي هي ويلات على الإسلام ، والمحرزين فيها من شيوخ الخليج وملوكها إلا شدرا حيث يقدمون بالعدّة والعدّة ، تقوية لمطلق الكفر أمام مطلق الإسلام.

«فَكُمْ عِنْدَهَا مِنْ رَافِعَةِ ذِيلِهَا» فتن جزئية هامشية عند الفتنة الأم ، ترفع ذيلها فرارا دون قرار لتجروا من بأسها وبؤسها ولات حين فرار إذ : «يَدْعُو بِوَيْلِهَا» : الفتنة الأم وذرياتها «دجلة أو حوالها» فدجلة «بغداد» عاصمة الفتنة الزوراء «أو حوالها» من بلاد عراقية ثم دويالات من الخليج «يَدْعُو بِوَيْلِهَا» إذ ينادي بكافة وسائل النداء الإعلام مستصرخة مستغيبة قوات الكفر اجمع ف «لَا مَأْوَى يَكْتُبُهَا وَلَا أَحَدٌ يَرْجُمُهَا» حتى لا يبقى كن ولا راحم من جنود الشيطان لهذه الفتنة الا مخدولة مرذولة ، حيث **﴿عِبَادًا لَنَا أُولَى بِأَنْ يَأْتِي سَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾** فلا تبقى لهم باقية ، فهنا لك تتم الدولة الإسلامية مسيطرة على دويالات الكفر في ويلات لها وويلات.

ثم يستدير الفلك برد الكثرة عليهم فاستضعف هذه الدولة الكريمة ردحا من الزمن ، فيجيء وعد الآخرة ليسوعوا وجوههم :

«فَإِذَا اسْتَدَارَ الْفَلَكُ» وأصبح الياس بالشدة جارفا لحد : «قلم مات» صاحب الأمر «أو هلك باي واد سلك» وإذا هو موجود هنا و قريب منا فكيف لا ينصرنا «فَعندَ ذلِك توقعوا الفرج» : النهائي الدائب ، بعد الفرج البدائي الذاهب ... ^(١).

(١) أقول : قد رویت هذه الخطبة بصورة أخرى كما في البحار ٥٢ : ٢٧٢ ج ١٦٧ . وباستناده عن إسحاق يرفعه إلى الأصبع بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول للناس : سلوني قبل أن تفقدوني لأنني بطرق السماء أعلم من العلماء وبطرق .

ويروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) ما . عله . يشير الى هذه الفتنة «ولا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل ولية وبطانة وذلك بعد فقدان الشيعة الثالث من ولدي»^(١) والفتنة الصدامية . كذنب للفتنة الصهيونية . هي أصم فتن طول تاريخ الفتن حيث لا اذن لها يسمع الحق او يستمع اليه ، صماء عن كل قائل إلا قوله الصهيونية عمالة مجنونة لصالحها ، والصيلم : المستأصل الشديد ، هي الفتنة التي تنحو منحي

. الأرض اعلم من العالم ، انا يعسوب الدين ، أنا يعسوب المؤمنين وامام المتقين ، وديان الناس يوم الدين . الى قوله الا ايها الناس سلوك قبل ان تفقدوني فان بين جوانحني علماء جما فاسلوبي قبل ان تشغف برجلها فتنه شرقية وتطا في خطامها بعد موتها وحياتها وتشب نار بالخطب الجزل من غربى الأرض . رافعة ذيلها تدعوا يا ويلها لرحله ومثلها فإذا استدار الفلك قتلتم مات او هلك باي واد سلك فيومئذ تاوبل هذه الآية ﴿مَرَدَنَا لَكُمُ الْكَوَافِرَ ...﴾ هنا تصاف شب نار بالخطب الجزل من غربى الأرض ، مساعدات حربية غربية تؤجج نيران الحرب في هذه الفتنة الشرقية تجنيدا مطلق الكفر من شرق الأرض وغرتها ضد مطلق الإسلام . والخطب الجزل هو اليابس الغليظ العظيم منه والكثير وكأنه الاسلحة الفتاكه التي يؤتى من العرب تقوية لهذه الفتنة الشرقية .

و «رافعة ذيلها» علىها الطائرات الحربية ، وهي تدعو يا ويلها من مدعيات جباره من الجمهورية الاسلامية الإيرانية . وفي سير الاعلام ٢٩٧ : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : اما أول الشراط الساعه فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ورواه مثله عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في مختصر التذكرة ١٣٢ ومستدرک الحاکم ٤٥٨ وفي الأخير : تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض الى مغاربها» أقول : ونرى صدق هذه الإنباتات حيث ظهرت نار وفتنة شرقية صهيونية صدامية .

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٧٠٣ باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في ذلك يع . يع ٣٨ ك عن احمد بن زكريا قال قال لي الرضا (عليه السلام) اين منزلك بيعداد قلت : الكرخ . قال اما انه اسلم موضع ولا بد من فتنه

...

استئصال الحق عن بكرته. ورغم أنها «صماء صيلم» يسقط فيها كل من لها من «وليجة» هو «المتحرز فيها» و «بطانة» هو «ناعقها وموليها وقادتها وسائقها» ثم لا تبقى إلا «عبادا لنا» في دولتهم الإسلامية المباركة!.

ويروى عنه (عليه السلام) أيضاً في قائد الدولة المظفرة الإسلامية قبل المهدوية العالمية.

نائب الإمام الخميني نصره الله : «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق ، تجتمع معه قوم كثیر الحدید ، لا تزلم الرياح العواصف ولا يملون من الحرب ، ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين» ^(١).

«رجل» تبنيه كافة البطولات والرجولات الإسلامية «من أهل قم» تبنيه هذه الحوزة المباركة حيث الأهلية هنا هي اهلية تلكم الرجلة لا الولادة «يدعو الناس إلى الحق» إذ خذله مخالفوه وحملته . لا فحسب لفظاً باللسان ، وإنما بالأأنفس والنفاس وبسيول الدماء «تجتمع معه قوم كثیر الحدید» وهم علّهم «عبادا لنا» المعوثون لاستئصال الفساد العالمي الصهيوني الأول : «لهم ربِّ الْأَطْوَافِ الْجَبَارَةَ : ۖ ۖ ۖ لَا تزلم الرياح العواصف» التي تعصف شرقاً وغرباً حيث هم مؤمنون حقاً والمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ۲ . «ولا يملون من الحرب» حيالها بلغت بهم نائرتها ۳ . «ولا يجبنون» من استشهاد ام ماذا؟ ۴ . **وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** دون سواعد شرقية او غربية او مساعدات من هنا وهناك :

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ : الدولة العاقبة لدولتهم . الاخيرة في دول التاريخ

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤٦ .

. للمرتدين^(١) وهم أولاء بتأسيسهم دولة الحق بزعامة نائب المهدي (عليه السلام) الخميني يعبدون الطريق لدولته المباركة العالمية التي تبقى مع الزمن حتى القيمة الكبرى.

وقد تعنى معناه خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول فيها :

«لا بد من رحى تطحن فإذا قامت على قطبهما ، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدا عسفا : (عنيفا) خاملا أصله ، يكون النصر معه ، أصحابه الطويلة شعورهم ، واصحاب السبال ، سود ثيابهم ، اصحاب رايات سود ، ويل من نواهم يقتلونهم هرجا ، والله لكي انظر إليهم والى أفعالهم ، وما يلقى من الفجار منهم والاعراب الجفاة ، يسلطهم الله عليهم بلا رحمة ، فيقتلونهم هر جا على مدینتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلم للعييد»^(٢).

والعبد العسف : العنيف ضد الظلم الخامل أصله عليه هو نائب الإمام الخميني حيث كان خاملا طول عمره ، وبدا اشتهره وبدء منذ قيامه ، وأصحابه الطويلة شعورهم اصحاب السبال كما نرى الكثير من الانقلابيين معه كذلك ... ولعل الرایات السود هي التي ترتفع عند موته او استشهاده حيث يرفعها أصحابه ويتصرون في حربهم ضد الكفر حتى يتحققوا امر الله ﴿فَجَاهُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾ !

وقد يعنيه ما يروى عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ... انا اهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطریدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون

(١) العاقبة في هذه الآية صفة لمحذوف هي الحياة او الدولة ، تعني الحياة او الدولة الاخيرة في عالم التكليف للمرتدين ، وليس الحياة الآخرة فحسب وان كانت منها :

(٢) البحار ٥٢ : ٢٣٢ .

الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيته فيملؤها قسطا كما ملؤوها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الشلح»^(١).

قيام البهلوi من قروين من علامي ظهر المهدى (عليه السلام) :
من الملاحم المروية عن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) في تفصيل علامات ظهر المهدى (عليه السلام) «... فعندـها يتكلـم الروبيـضـةـ . فـقـالـ سـلـمـانـ :ـ وـمـاـ الرـوـبـيـضـةـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) ،ـ فـدـاـكـ أـيـ وـأـمـيـ؟ـ قـالـ :ـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) يـتـكـلـمـ فـيـ اـمـرـ الـعـامـةـ مـنـ لـمـ يـكـنـ يـتـكـلـمـ فـلـمـ يـلـبـشـواـ إـلـاـ قـلـيـلاـ حـتـىـ تـخـورـ الـأـرـضـ خـوـرـةـ فـلـاـ يـظـنـ كـلـ قـوـمـ إـلـاـ أـهـاـ خـارـتـ فـيـ نـاحـيـتـهـمـ فـيـمـكـثـونـ مـاـ شـاءـ اللهـ ثـمـ يـنـكـثـونـ فـيـ مـكـثـهـمـ فـتـلـقـىـ هـمـ الـأـرـضـ أـفـلـاذـ كـبـدـهـاـ ...ـ فـهـذـاـ مـعـنـيـ قـوـلـهـ :ـ **فـقـدـ جـاءـ أـشـرـاطـهـ**^(٢).

(١) سنن المصطفى ص ١٧٥ حديث عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علامة عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذا أقبل فتية من بني هاشم فلما رأهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اغروقت عيناه وتغير لونه قال : ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال ...

أقول : وهذا الحديث يواطئ ما مر عن الامام الباقر (عليه السلام) في نقل غيبة النعماني ص ١٤٠ مع بعض الزوائد هناك ، ولعل الرایات السود هي رایات عزاء الحسين (عليه السلام) في ١٢ محرم ١٥ خرداد ٤١ حيث قاموا لأخذ حق الإسلام من الشاه المدعوم واسترجاع المرجع الديني الأعلى من السجن فلم يكن الا قتلا ذريعاً فيهم .

(٢) تفسير القمي بسانده عن عبد الله بن عباس ، قال حججنا مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل إلينا بوجهه فقال : الا أخبرك بأشراط الساعة وكان ادنى الناس منه يومئذ سلمان فقال : يله يا رسول الله .

والرويضة عليها لا معنى لها في لغة ولذلك لم يفسرها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هنا الا بعنوان مشير : «يتكلم ...» وهي هي «رضَا بَهْلُوِي» باختلاف ترتيب حروفها ، ولا ينافي ما فسره هو (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في رواية اخرى بـ «الرجل التافه»^(١) فانه حقاً تافه.

وعن محمد بن الحنفية قال قلت له : . الإمام علي (عليه السلام). قد طال هذا الأمر حتى متى . الى ان قال . : اني يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك سورها ، ويُكفر صدورها ، ويغير سورها ، ويذهب بيهجتها من فر منه أدركه ومن حاربه قتلها ، ومن اعتزله افتقر ، ومن تابعه كفر حتى يقوم باكيان : باك يبكي على دينه وباك يبكي على دنياه^(٢) والزنديق هو البهلوi^(٣) وقد كان قيامه من قزوين وصدقت عليه الافعالات.

. فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). من أشراط الساعة ... الى ن قال ...».

(١) كما في البحار ٥٢ ح ٢٤٥ في باسناده عن ابن نباته قال سمعت علياً (عليه السلام) يقول : ان بين يدي القائم سنتين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويقرب فيها الماحل (وفي حديث) وينطق فيها الرويضة» قال الجزي في حدث أشراط الساعة «وان ينطق الرويضة في امر العامة . قيل وما الرويضة ما رسول الله؟ فقال : الرجل التافه ينطق في امر العامة.

أقول : فالرويضة إذا تصغير الرابضة العاجز الذي ريض عن معالي الأمور وقعد عن لبها وزيادة التاء للعبالفة.

ثم أقول : ما أجمل الجمع بين المعنى من الرويضة : التافه . ورضا بهلوi حسب تأليف حروفها!

(٢) بحار الأنوار الطبعة الجديدة ج ٥٢ ص ٣١٢ ح ٦١ غط الفضل عن ابن أبي نجران عن محمد بن سنان عن أبي الحارود عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية.

(٣) في مجمع البحرين : الزنديق هو البهلوi :

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يخرج بقزوين رجل اسمه بنى يسع الناس الى طاعته المشرك والمؤمن يملأ الجبال خوفاً^(١) و «بنى» تصغير «ابن» هو «رضا» بنى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الامام الرضا عليه السلام.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في استعراض علام الظهور «وشمول اهل العراق خوف لا يكون معه قرار»^(٢).

وفي كلام لعلي امير المؤمنين يتحمل الإيحاء الى الحالة الموجودة بيننا وبين البعثية الصدامية الكافرة.

قال (عليه السلام): «لا يقوم القائم حتى تتفقا عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء وتلك دموع حملة العرش على اهل الأرض ، وحتى يظهر فيهم قوم لا خلاق لهم يدعون ولدبي وهم براء من ولدي ، تلك عصابة رديعة لا خلاق لهم ، على الأشرار مسلطة وللجبارة مفتنة ، وللملوك مبيرة ، يظهر في سواد الكوفة ، يقدمهم رجل اسود اللون والقلب ، رث الدين ، لا خلاق له ، مهجن زنيم عتل ، تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل لاسقاها الله المطر في سنة اظهار المتغيب من ولدي

(١) بحار الأنوار ... ص ٢١٣ غط ردي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال ...

(٢) البحار ٥٢ : ج ٨٥ شا. الحسين بن زيد عن منذر الجوزي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول. يزجر الناس قبل قيام القائم ...

صاحب الراية الحمراء والعلم الأخضر ، اي يوم للمخيبين بين الأنبار وهيت .
 ذلك يوم صيلم الأكراد والشراة ، وخراب دار الفراعنة ، ومسكن الجبارية ، ومأوى الولاة الظلمة ، وام البلاء واخت العار ، تلك ورب علي يا عمر بن سعد بغداد ، الا لعنة الله على العصاة منبني امية وبني فلان الخونة الذين يقتلون الطيبين من ولدي ولا يرافقون فيهم ذمي ، ولا يخافون الله فيما يفعلونه بحرمتی ...»^(١).

(١) عن أبي عبد الله (عليه السلام) ٢٢٦ ج ٩٠ في باسناده عن عمر بن سعد عنه (عليه السلام) ...
 ومن الطرييف جدا خطاب الامام (عليه السلام) أخيراً لعمراً بن سعد جد صدام عامل هذه الفتنة وعميلها ، بعد ما يصف عصابة البعث العفلقي التي يقودها صدامها ، ثم يصفه لعنة الله عليه بسواد اللون والقلب . وقد جمعهما . وانه رث الدين مهجن زنيم عتل تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل ، ثم وعدا يوم صيلم الأكراد والشراة وخراب دار الفراعنة مسكن الجبارية ومأوى الولاة الظلمة وام البلاء واخت العار تلك ورب علي يا عمر بن سعد! بغداد!

وفي ج ١٣ ص ٣١٤ ملحقات احقاق الحق عن العلامة المولى على المتقدى الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ٢٦١ طا حيدرآباد الدكن روى عن علي (عليه السلام) في خطبة له «وليكون من يخلفني في اهل بيتي رجل يأمر بأمر الله قوي يحكم الله وذلك بعد زمان مكلاع مفصح يشتد فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه الرشا فعند ذلك يبعث الله رجالاً من شاطئ دجلة لأمر حزبه . يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر وغطاء فيقتل قوماً وهو عليهم غضبان شديد الحقد حران في سنته بختنصر يسومهم خسفاً ويسقفهم سوط عذاب وسيف دمار ثم يكون من بعده هنات وامور مشتبهات الا من شط الفرات الى النجفات بابا القحطانيات في آيات وآفات متواتلات يخدش شكاً بعد يقين يقوم بعد حين يبني المدائن ويفتح الخزائن ويجمع الأمم ينفذها شخص البصر وطبع النظر وعنت الوجوه وكشف البال حتى يرى مقبلاً مدبراً فيها لففي على ما اعلم .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ

. رجب شهر ذكر رمضان تمام السنين شوال يشال فيه امر القوم ذو القعدة يعتقدون فيه ذو الحجة الفتح من اول العشر الا ان العجب كل العجب بعد جمادي ورجب جمع الشتات وبعث أموات وحديثات هونات بينهن موتات رافعة ذيلها داعية عولها معلنة قولها بدجلة او حوطها .

ألا إن منا قائما عفيفة احسابه سادة أصحابه ينادي عند اصطدام اعداء الله باسمه واسم أبيه في شهر رمضان ثلثا بعد هرج وقتل وضنك وخيان وقيام من البلاء على ساق واني لأعلم الى من تخرج الأرض وداعها وتسلّم اليه خزانتها ولو شئت ان اضرب برجلي فأقول : اخرجي من هاهنا بيضا ودروعا كيف أنت يا ابن هنات إذا كانت سيوفكم بأيمانكم مصلنات ثم رملتم رملات ليلة البيات ليستخلفن الله خليفة يثبت على المدى ولا يأخذ على حكمه الرشا إذا دعوا بعيادات المدى دامغات للمنافقين فارجات عن المؤمنين ألا إن ذلك كائن على رغم الراغمين والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين آلله وأصحابه أجمعين بن المنادي :

وأخرجها مثله في كنز العمال المطبوع بخامش المسند ج ٦ ص ٣٥ ط الميمنية بمصر.

**اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبَتَّغُوا فَضْلًا مِنْ رَيْكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ
شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾**

للقرآن زهاء أربعون اسمًا ^(١) هذا أكثرها ذكرًا ^(٢) واستهارا ، وأغزرها معنى وازدهارا إذ يعني جملة ما تعنيه هي تفصيلا ، وهو يعني في مختلف معانيه : الجمع . الطهارة . التطهير . القراءة . الإبلاغ . الرؤية . اقتراب المغيب : معان سبعة كالسموات السبع والأرضين السبع و أيام الأسبوع السبعة ، حيث يشمل بمعانيه جملة وتفصيلا الأزمنة والأمكنة ومن فيهما . فإنه طهارة . فتطهير . وقراءة وإبلاغ . ورؤية مما يمكن أن يرى بصرًا وبصيرة ، وجمع لما لم يجمعه غيره من كتابات واقتراب لاغتراب غيره من

(١) وهي : القرآن . الفرقان . الكتاب . الذكر . الحديث . التنزيل . الموعظة . الشفاء . المدى . الحبل . الرحمة . الصراط المستقيم . الحكم . الحكمة . الحكيم . الحكم . الروح . البيان . التبيان . المبين . الفصل . النجوم . القصص . البصائر . المثاني . النعمة . البرهان . البشير . النذير . القيم . المهيمن . المادي . النور . الحق . العزيز . الكرم . العظيم . المبارك . بلاغ . سبيل . حياة

(٢) نجد (٧٠) مرة اثنتان منها قرآن الفجر : صلاة الفجر . واثنتان : قرآنه : قراءته . والباقي هذا القرآن .

كتابات كما انه من آيات اقتراب الساعة ونبيه نبي الساعة .

وترى لماذا هنا وفي عديد غيرها ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ حيث توحى بان هناك قرآن او قرائين آخرى ، وفي عديد اخرى «القرآن» والقرآن هو القرآن؟

لأن «قرآن» من الله هو جنس الم Schroo بالوحي كتابا على المكلفين ، شامل كتابات الوحي كلها ، وأفضلها هذا القرآن ، فقد يعرف ب «هذا» ليدل على حاضره دون غابره ، و «هذا» في موارده كلها يتضمن ميزة او ميزات له عن سائر القرآن^(١) وقد تدل على عمومه لسائر الوحي :

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءً نَّا أَتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدْلُهُ ...﴾ (١٥ : ١٥) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣٤ : ٣٤).

إذا فلا بد من تعريف به ليميزه عن غيره ب «هذا» او «العظيم» ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ (١٥ : ٨٧) او تعريف اللام عهدا الى حاضره حيث يخاطبهم به : ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ثُبَدْ لَكُمْ ...﴾ (٥ : ١٠١) او بضمير يعرفه : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَشْتُلُوا مِنْ قُرْآنٍ ...﴾ (٦١ : ٦١) او وصف : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ

(١) ك «أُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَغْ» ٦ - ١١٩ «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ» ١٠ : ٣٧ «نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكُمْ أَحْسَنُ الْفَصَصِ إِمَّا أُوحَيْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْقُرْآنَ» ١٢ : ٣ «وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنَ لِيَدْكُرُوا» ١٧ : ٤١ «فُلِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأَنْسَنَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِعِظَلٍ هَذَا الْقُرْآنَ» : ٨٨ «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اخْتَلُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» ٢٥ : ٣٠ «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَعْصُمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ...» ٢٧ : ٧٦ «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» ٣٤ : ٣١ ...

﴿مُبِينٌ﴾ (١٥ : ١) ام ماذا من إشارة تميزه عن سواه ويختص ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ هنا بما يعرفه أنه ﴿يَهْدِي لِلّٰٓيٰ هِيَ أَفْوَمُ﴾ من قوامات الوحي وقيامت صاحب الوحي والمكلفين به . و «قرآن» مع كل ذلك علم لهذا القرآن ، لم يسم به غيره من قرآن وان كان يشمله جنسه ، وهو أفضل وأكثر أسماء القرآن.

ثم هنا هاد ومهدى ومهدى له وبشارة ملن يهتدى وإنذار على من لا يهتدى ، فالمهادى هو القرآن حيث المهدى طبيعته وحالته وصياغته لأعلى قمم المهدى ، دون إبقاء على هدى ممكنة إلا وهو يهدي لها غير قاصر ولا ضئيل .

وملهادى هو على الإطلاق كل مكلف بحاجة الى هدى ، وبامكانه أن يهتدى بلا حدود من زمان أو مكان أو أقوام وأجيال فإنه هدى الله والمهدى الإلهية في القرآن كاملة شامة .

وملهادى له ، وترى لماذا «لَه» دون «إِلَيْهِ» ام دون جار ك ﴿اَهِدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ ... ثم «التي» بحذف الموصوف المتعدد بين عديده ك : الطريقة . الشريعة . الملة . الرسالة . الولاية ام ماذا؟ ولا يحذف الموصوف الا المعلوم لحد لا يحسن ذكره بل ويحسن حذفه؟.

نجد المداية في القرآن في هذا المثلث ، وليس «يهتدى له» إلا هنا لكتاب الله ، وفي أخرى الله : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحُقْقِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١) (٣٥ : ١٠) ثم لا ثالث لهما ، فإنما

(١) ومن الطريق ان «يهتدى إلى الحق» الخاصة بالله تتوسط «يهتدى إلى الحق» لغير الله أولاهـ «شركائكم» سؤال تعنت ، وأخراها لكافة المداة إلى الحق حيث تجمعهم «يهتدى

الله وكتاب الله يهدي له لا سواه ، فلتكن «المهاداة له» خاصة بالله بقرآن المبين.

ثم الله وإن كان يهدي بالقرآن من اتبع رضوانه سبل السلام وبهديهم إلى صراط مستقيم : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥ : ١١٦) هداية إياه وهداية إليه ، إلا أن أيها منهما لا يشمل مطلق المهدى ، والمهاداة له تشمله كله ، فالهداية «إلى» دلالة إلى المهدى الأفاقية البعيدة عن المهدى إذ هي خارج ذاته ، أو الانفسية البعيدة عنها كالآفاقية لمن احتجب عن نفسه بعيداً^(١) ، والمهاداة إياه بإصال إلى المقصود آفاقية وانفسية او يقارب الإيصال لمكان القرب بين المهدى والمهدى له لحد الاتصال^(٢). والمهاداة له تشمل الإيصال والدلالة إلى الانفسية والآفاقية قريبة وبعيدة ، دلالة إلى ما في النفس من هدى العقل والفطرة ام ماذا؟ وإيصالاً إلى حقها وواقعها ، ودلالة إلى ما في الآفاق تكويناً وتشريعاً وإيصالاً إليها فالهداية له . إذا . أتم وأطم من المهاداة إليه وإياه^(٣) فما الطفه التعبير عن المهاداة المطلقة بـ «يهدي إياه» وعن الدلالة المؤثرة وسوها

ـ **إلى الحق**ـ فليس تغيير صيغة المهاداة مجرد تفتّن التعبير وإنما لخصوص المعنى من «له» و «إياه».

(١) لأن «إلى» توحى لفصل بين المهدى والمهدى إليه ، والمهدى الانفسية ليست بعيدة عن المهدى :

(٢) حيث المهاداة إياه توحى إلى وحدة عريقة بين المهدى والمهدى له دون فصل بينهما ، أما حققياً ما الإيصال ويشارفه كالقريب القريب.

(٣) حيث المهاداة له ، واللام للاختصاص أعم من الدلالة الخاصة والإيصال الخاص إلى مادة المهدى آفاقية وأنفسية ، فالهداية إياه هي «له» والمهاداة إليه كذلك «له» كما المهاداة الآفاقية والأنفسية كلاماً «له» وإن كانت «له» مراتب عدة.

ب «يهدي اليه» وعن مجموع المدaiات ب «يهدي له» الشاملة لكافة مراحل المداية
مستغرقة لها كلها !

ولأن هذه الآية هي الفريدة في نوعها للهداية الشاملة فلتشمل المدى كلها ، دلالة
وإصالاً للهداية أنفسية في هداية العقل والفطرة ، وأفقيبة في هداية التكوين والتشريع ،
فالقرآن نسخة كاملة للهداية كلها حيث يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام .
إنه هدى للكافرين كما للمؤمنين دلالة ، وهدى للمتقين في مزيد الدلالة ثم الإيصال
إلى حق المدى ، ثم وهو هدى للإنسان وأضرابه آفاقياً وأنفسياً .

واما «التي» بحذف الموصوف فلا يحيى بإطلاق المهدى له ، دون خصوص الملة او
الطريقة او الرسالة او النبوة او الولاية اماهية؟^(١)

فانه هدى بكل بنودها ومتطلباتها للإنسان وأضرابه كأفضل ما يمكن وأكمله في عالم
الفطرة والعقل ، وفي التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه وبينه وبين ربه في علاقة المعرفة
والعبودية . وبينه وبين الناس في علاقة العشرة ، وفي كافة زوايا المدى ومتطلباتها وتنسيقاتها
ومخلفاتها الحاضرة والمستقبلة .

﴿الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فكتابات الله كلها قوية قيمة لا عوج فيها ولا قصور ، ولكنها
مؤقتة زمننا ، محدودة بالمتطلبات المرسومة لزمنها ، والاستعدادات لطالبيها فيها ، وأما القرآن
 فهو يهدي للتي هي أقوم : قيمة

(١) كالسبيل والآيات الآفقيّة والأنفسية (٣) والأخلق (٤) والحياة (٥) واحكام الفطرة والعقل (٦) والإيمان (٧)
والإسلام (٨) والتقوى (٩) والزهدادة (١٠) والمعرفة والمعجزة (١١) مواد المداية التي تدعو إليها كتابات الوحي ،
فكـل هذه المـوصـفـات تـصلـحـ ان تكونـ للـتيـ هيـ أـقـوـمـ دونـ إـبـقاءـ عـلـىـ مـادـةـ منـ المـدـىـ إـلـاـ وـهـيـ تـشـمـلـهاـ .

وقدامة واستقامة وقياما^(١) منذ بزوغه ما طلعت الشمس وغربت ، فشمسه لا تغرب وما يحتاجه المهددون به لا يعزب ، فلا يقعده عن هدایته ، ولا يفشل عن استقامته ولا ينقص عن قيمته وقوامته لأنّه كتاب الزمن كله.

ف «هي أقوم» من غيرها على الإطلاق قواما وقياما : ﴿قُلْ إِنَّمَا هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا...﴾ (٦ : ١٦١) فيه كافة القوامات والقيامات لحد القيامة الكبرى ، لا أقول لشمسه ولا انقطاع لشرعته ، لا كتاب بعد كتابه ولا رسالة بعد رسالته ، حيث الأقوم يتطلب ختام الوحي بوحيه.

فهذه الآية إجمال عن مثلث الخاتمية : شريعة ورسالة وكتابا ، نجد تفاصيلها في آيات أخرى ، والتي هي أقوم يشمل هذا المثلث وما معها من ملة وطريقة وولاية ، والولاية المطلقة للقرآن ونبيه وأهل بيته هي أقوم الولايات طول الرسالات الالهية ، وهي كلها على هامش الولاية الالهية^(٢).

(١) فالأقوم تتحمل كونها من القوام والقيامة والقيمة ، والقرآن يهدي للتي هي أقوم في مثله دون اختصاص بأحدها.

(٢) في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير الآية قال : يهدي إلى الولاية» أقول : وهي تشمل الولايات كلها ومنها ولاية الأئمة التي هي ثالث مراتبها بعد ولاية الله والرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقد يفسر بولاية الامام بياناً ثالثاً مصاديقها لأنّه مختلف فيها حتى يلحق بولاية الرسول ، ومن ذلك ما في حديث سلسلة الذهب ، يرويه ابن بابويه باسناده عن عياش بن زيد مولى زيد بن علي ، قال حدثني أبي قال حدثني موسى بن جعفر ... وعن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : الامام منا لا يكون الا معصوماً وليس العصمة في ظاهر الخلق فيعرف بها فلنذلك لا يكون الا منصوصاً فقيل له يا بن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)! فما معنى المعصوم؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيمة فالإمام يهدي الى القرآن والقرآن يهدي الامام وذلك قول الله عز .

ثم القرآن ليس ليهدي للتي هي أقوم هداية المعرفة والإيصال إلى الحق إلا لمن اتخذ دليلاً بحق وكما عن الإمام علي (عليه السلام): «إيها الناس انه من استنصر الله وفق ، ومن اتخاذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم» : دليل المعرفة والعمل الصالح ثم يبشره : ومراتب الهدى القرآنية آخرة من العلمية إلى العقائدية إلى العملية التطبيقية . والأخيرة هي المبشر لها ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

ومراحل العلم القرآني «على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولئك والحقائق للأنبياء»^(١).

ومراتب العقيدة اليقين ثلاثة : علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين.

ومراتب العما، ت نحو مراتب العلم واليقين. كلما ازداد ازداد وكلما نقص، نقص :

والدلالة القرآنية ثلثاً : دلالة التعبير في مراتبها ، ثم دلالة الاهتداء ، ثم الإيصال إلى

المطلوب : الصراط المستقيم ... وما توحيه آية الأقوم أن هذا القرآن هو المتن الأعلى للإسلام وما سواه من أحاديث ليست إلا

لإسلام وما سواه من أحاديث ليست إلا

اجمل : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰٓئِيمَةِ﴾ وروي تفسيره بالإمام باسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) ايضاً.

(١) سفينة البحار يرويه الإمام الحسين عن أبيه على أمير المؤمنين (عليه السلام).

على هامشه ان وافقه فليكن متنا مكينا في الحوزات العلمية الإسلامية وفي كافة الحقوق.
ومن التي هي أقوم في هدي القرآن إعجازها ، حيث الآية الرسالية فيه أقوم الآيات إذ
تعيش الزمن ويعيشها الزمن دون حاجة إلى آية أخرى.

ومنها السياسة القرآنية التي تقود دولة عالمية على طول الزمن كما يقودها القائم
المهدي (عليه السلام) في آخر الزمن.

ومنها الحقوق القرآنية التي تخلق على كافة الحقوق طول التاريخ ، وتكتفي معونة الحياة
المتوسعة المتداخلة المتشابكة المتشاكسة.

ومنها الملاحم الغيبية والإنباءات المستقبلة التي توقظ التوم وتبه الناجحين كي يكونوا
على أهبة وحذر لبناء المجيء للدولة الإسلامية.

ومنها الاقتصاد القرآني وقد تكتفي حلا مشكلة الاقتصاد العossal آية وحيدة منه

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

ومنها ومنها وقد تحدى القرآن فيما تحدى الانس والجن **﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا**
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَغْضِبُ ظَهِيرًا﴾ : طول الزمان وعرض المكان.
﴿وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩).

يبشر من آمن بالله واليوم الآخر وما بينهما على ضوء القرآن ، ويعملون الصالحات
التي تصلح نتيجة للإيمان وتصلح الحياة كل الحياة على ضوء القرآن ، يبشرهم قدر ما اهتدوا
به وأمنوا وعملوا الصالحات **﴿أَنَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** : لا ناقصا عما قدموا فانه عجز وبخل ،
ولا مساويا مواتيا له فانه مثل بمثل ، وليس الله مثلا لنا حتى يؤاتينا في ثواب اعمالنا ، وانما

فضلا

وإحسانا : ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أكبر مما قدموا وان كان تسمية الثواب أجرًا فضلا عن «كبيرا» هو ايضا اجر كبير ولطف غزير ، حيث العبد لا يستحق بآيمانه وعمله الصالح اجرا من ربه ، إذ لا يعود نفعه الا اليه لا الى ربه ، إذا فاصل الثواب فضل وتسميته اجرا فضل وصفته كبيرة ، فضل ، مثلث الفضل في قول فضل.

ثم القرآن ملن لم يتخدنه دليلا لا يزيده إلا خسارا ، ولا سيما الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإن كانوا مؤمنين بالله ، حيث الایمان بالله دون الآخرة لا يلزم المؤمن به بما يلتزم به المؤمن بأخرته من عمل الصالحات ، ومجرد الایمان بالله دون عمل لا ينفع حتى إذا كان ايمانا بالآخرة ايضا :

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٠).

لا يؤمنون بالحياة الآخرة ودلائلها في القرآن واضحة وفي الآفاق والأنفس لائحة ! والإعتداد هو التهيئة ، والعقاب الأليم يشمل ذوقه يوم الدنيا في المعيشة الضنك وفي البرزخ بوجه آكد ، ثم في القيمة واقع لأليم العقاب : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَشْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ...﴾ (٢٠ : ١٢٤) : عذابات معتمدة في مثلث الحياة بما قدمته أنفسهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١).

تأنيب بھوي الإنسان العجول الجھول التارک هدي القرآن حيث يدعو بالشر دعاءه بالخير فشتان شتان بين هدي القرآن وهدي الإنسان ، حيث

يهوى بعجلته فيهوي في هوا الضلال جهلا له او جهالة بمصادر الأمور ومصائرها ، فاستعجالا بالشر فيما يأتي خيره باستمهال !.

والدعاة هي الطلب في مقال او حال او فعل ، فقد يدعو رب الشر ^(١) دعاءه بالخير :

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحُقْقَ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيلٍ

(٨) كنضر بن حرث وقد أجبت دعاءه فضرب عنقه ، ولو كانت هذه سنة دائبة لقضي عليهم باستعجالهم : **وَلَوْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرُّ اسْتَعْجَلُهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ** (١٠ : ١١).

او يدعوه روسلا . يكذبه . بالشر لو انه صادق : **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ**

اللَّهُ وَعْدَهُ (٤٧ : ٢٣) **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحُسْنَةِ** (١٣ : ٦) **يَا قَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحُسْنَةِ** (٤٦ : ٢٧).

ف «لا تدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا الله ساعة فيها اجابة فيستجيب لكم» ^(٢). و «اعرف طريق نجاتك وهلاكك كي لا تدعوا الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن ان فيه نجاتك» ^(٣).

وعلى الإنسان الذي يريد خيره أن يتطرق إليه بما يقدمه من خير على إمهال دون

استعجال ، حيث الخير مختلف الخير كما الشر يأتي بالشر ، ولكنما

(١) الباء في هذا الاحتمال للتعدية حيث المفعول به فيه الله او الرسول او غيرهما. ودعائه مفعول مطلق نوعي اي يدعو ... دعاءه بالخير بالشر. مدعوه الذي يحصل بسبب الخير يدعوه بالشر».

(٢) الدر المنشور ١٦٦ . اخرج ابو داود البزار عن جابر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

(٣) نور الثقلين ٣ : ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : ...

الإنسان العجوز الجھول قد يطلب خيره بالشر طلبه بالخير فيما هو حقاً خيراً ، او يطلب ما يظنه خيراً وهو شر بالشر : شراً على شر او يطلب ما يراه شراً بالشر فهو في مثلث الشر^(١). فالمستعجل برزقه الذي لا محالة آتىه بعمله قد يطلب بالشر : سرقة او احتكاراً او بخساً في المكيال ام ماذ؟ رغم أنه لا يصله إلا ما قدر له بعمله ، وإذا ناه زائد عليه بشره فلا يناله فيفائدة له إلا فاسدة كاسدة.

ولكنما الإنسان المهدى بهدى القرآن كل دعاءه خير ويدعوه بخير ، وفيما يجهل خيره يحتاط متربوا مستشيراً عقله وعقلاء غيره ، متوكلاً إلى ربه على كل حال ، في كل حل وتر حال ، وإذ يدعوه ربه فيما يظنه أو يراه خيراً فانما يطلب بتأديب دون إصرار وتأكد.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾

فعجلة الإنسان بطبعه وخلقته ، دون أن يعذر لها فيعدّ لها إلى الأصلح متأنياً ، هو الباعث الأهم لدعائه بالشر دعائه بالخير لحدّ كأن الباعث الأخرى لا موقع لها مع ما لها من مواقعها ، وما هي الصلة بين عجلة الإنسان ودعائه بالشر دعاءه بالخير؟ إنما تسرّع الشر وسهولة الدعاء به ، وتأنّي الخير وصعوبة الدعاء به فبدل أن يطلب مطلوبه الخير بالخير يطلب بالشر استعجالاً.

وفي مربع الطلب : شراً بشر . خيراً بخير . خيراً بشر . شراً بخير نرى العجلة لاتحة في مقدمات الشر إلى خير أم إلى شر^(٢) وأما الخير إلى الخير فلا

(١) الباء هنا للسيبية اي يدعو بسبب الشر وواسطته دعاءه بسبب الخير او بدل دعاءه بالخير ف «دعاءه» هنا منصوب بنزع الخافض وفي الاحتمال الاول مفعول مطلق نوعي.

(٢) فال الأول على كون دعاءه بالخير مفعولاً مطلقاً نوعياً والثاني منصوباً بنزع الخافض كدعائه اي يطلب الشر بالشر كأنه يدعو بالخير.

تأنيب فيه ، والخير الى شر كتظاهر المنافق بالرهادة حتى يكيد كيده ، ففيه أشد تأنيب ولكنه لا تشمله الآية حيث تعكسها ولا استعجال فيه.

و «الإنسان» هنا هو نوعه : من آدم وذرته^(١) «وكان» حالة هذا النوع في كينونته العجل : فقد **﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجْلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾** (٢١ : ٣٧) وعل العجل هنا لآدم «لما خلقه الله نفح فيه من روحه وثبت ليقوم قبل أن يتم خلقه فسقط فقال الله عز وجل : **﴿كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾**^(٢) ثم ولذرته منيهم الذي يعجل حيث يدفق بعجل لحد سمي عجلا ، وهذه العجلة التي تتبع خلق الإنسان ليست إلا لحكمة عجلة سيره في مسيرة كماله ، ولكنه يعكسها في دعاء شره أو دعاءه بالشر دعاءه بالخير.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رِبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّيَنَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَا تَفْصِيلًا﴾ (١٢).

الليل والنهر آيات الله : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ...﴾** (٤١ : ٣٧) حيث يدلان بتناقضهما واختلافهما تلو بعض دائبا دون تخلف ، يدلان على أن خلقهما مدبر باختيار وحكمة قاصدة ، كما وأن الليل في تحوله

(١) فلو كان المقصود هنا آدم لقال آدم فإنه علم له ، ولو كان ذريته لقال بنو آدم ، وأما الإنسان أو البشر فهو يشمل هذا الجنس من آدم أبي البشر ومن سائر البشر.

(٢) نور الثقلين ٢ : ١٤٢ عن تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) ... وفي الدر المنشور : ١٦٦ . أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن عساكر عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال : أول ما خلق الله من آدم (عليه السلام) رأسه فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال : يا رب ! اعجل قبل الليل فذلك قوله **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾** وأخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد مثله.

الى نهار آية للحياة بعد الموت : ﴿وَآيَةُ هُمُ الْلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٦) : (٣٧) فان سلخ النهار من الليل يواطي سلخ الروح من البدن ، ثم رجع النهار خلفه كرجع الروح الى البدن حذوا النعل بالنعل ، إذا فالليل والنهار آيتان تدلان على المبدأ والمعاد ، وفي كل حكمة تقتضيه الحياة سكنا وابتعاء من فضل الله فالليل للراحة والسكن الجمام ، والنهار للسعي والكسب والقيام (١).

وترى ان آية الليل الممحوة وآية النهار المبصرة هما الشمس والقمر ، فإنهما آيتان في هاتين الآيتين : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ...﴾ (٤١ : ٣٧) كما وأن اضافة الآية إليهما تقتضي اختلافها عنهما وأنهما آيتان فيهما؟ فالمذكور هنا كالمذكور هناك آيات أربع!

ام ترى انهما الليل والنهار أنفسهما ، فان آية الليل القمر ليست ممحوة دائبا ، وإنما عند الخسوف المطلق وآخر الشهر ، وآية النهار الشمس هي مبصرة يجعلها شمسا لأن الشمس جعلت مبصرة : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنِازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ...﴾ (١٠ : ٥) على أن الشمس ايضا تكسف كما القمر يخسف ، فلا يختصه الحو ويختصها الأ بصار ، وان المذكور في الآية : ﴿الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ آيَتَيْنِ﴾ آية الليل هي الليل وآية النهار النهار!.

او يقال إن آية الليل كلا القمر والليل ، وآية النهار كلا الشمس والنهار (٢) فالليل ممحو مظلم ، وقمره لا يكفي نورا وان كان نورا ، على أن

(١) راجع ج ٣٠ : ١٨ من الفرقان تفسير الآية ١١٠ . ٩ من سورة النبأ.

(٢) فالمراد . إذا . من الآية جنسها ليلا ونهارا حتى تشمل الآيتين في كل منهما ، او ان آية الليل تعني كلا على حدة واستعمال اللفظ في اكثر من معنى واحد سائع في القرآن حيث المشكلة الفعلية فيه ليس الله الذي له مقام جمع الجمع في العلم والقدرة.

نوره ليس نورا إلا زهاء ثلث الشهور مع ما يمحوه خسفا مطلقا.

ولكن آية النهار بشمسها ونفس النهار مبصرة وإن أظلته السحاب فانمحى قرصها ، فالنهار لا ينمحى ، إلا إذا كسفت وما أقله كما الحسف للقمر فليعن . إذا . من كل آية مجموع الآيتين : الليل والقمر . الشمس والنهر.

او يقال : لأن الآية هي العلامة فالمراد بمحو آية الليل جعل ظلمتها مشكلة لا يفهم معناها ولا يعلم فحوها لما استأثر الله تعالى بعلمه عن المصلحة المستسرة في ذلك ، وحقيقة المحو طمس اثر الشيء من قوله : محوت الكتاب إذا طمست سطوره حتى يشكل على القارئ ويختفي على الرائي .

ثم وإيصال آية النهار أن جعلها مكسوفة القناع مبينة الأ بصار على خلاف آية الليل إذ جعلها مشرحة الغلاف بهيمة الأطراف .

وقد يعني الجميع بتأويل ان القمر جعل ممحوا بالنسبة للشمس لا مطلقا ، فالشمس تبصر وهي ايضا تبصر بضوئها ، والقمر يبصر ولا يبصر فانه نور وليس ضوء وقد يعنيه ما تظافر في الاخبار ^(١) ثم الليل ممحوا بظلامه

(١) تفسير البرهان ٤٠ : ٣ . العلل ابن بابويه بإسناد متصل الى يزيد بن سلام انه سئل رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) ... فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال : لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئا فامر الله عز وجل جبريل ان يمحو القمر فمحاه فأثار الحو في القمر خطوطا سوداء ولو ان القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح ولما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا علم الصائم كم يصوم ولا عرف الناس عدد السنين والمحاسب وذلك قول الله عز وجل **«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ...»** . وفي تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) فمحونا آية الليل قال .

وعدم ضوء الشمس ، والنهار مبصر بضوئها : «وجعل شمسها آية مبصرة

هو السواد الذي في جوف القمر رواه مثله عن أبي الطفيلي عن الامام علي (عليه السلام) فقال له ابن الكوا فما هذا السواد في القمر؟ قال : أعمى سأله عن عمياء أما سمعت الله يقول ﴿فَخَلَقْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً﴾ فذلك محوها.

وفي الاحتجاج للطبرسي رواه مثل الأصبغ بن نباتة قال قال ابن الكوا لأمير المؤمنين :

وفي الدر المنشور ٣ : ١٦٦ . اخرج ابن حاتم وابن مردوهه بسنده واه عن ابن عباس (رضي الله عنه) عن النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ) في حديث فأرسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس ثلاث مرات فطمـسـ عنه الضـوءـ وبـقـيـ فيهـ النـورـ فـذـلـكـ قـولـهـ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ أقول : نتفهم هذا الحديث الا . وهو يومئذ شمس ثلاث مرات . وفيه اخرج البيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر عن سعيد المقبري ان عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) سأله رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ) عن السواد الذي في القمر فقال : كانا شمسين فقال : قال الله ﴿... فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ...﴾ فالسواد الذي رأيت هو الحـوـ واخرج مثله ابن أبي شيبة وابن حـرـيرـ وابـنـ المـنـدرـ وابـنـ أـبـيـ بـحـاتـمـ وابـنـ الأـبـنـيـاريـ في المصـاحـفـ عنـ عـلـيـ (عليـهـ السـلـامـ)ـ فيـ الآـيـةـ :ـ قـالـ :ـ هـوـ السـوـادــ الـذـيــ فـعـلـهــ مـظـلـمـةــ وـتـرـكــ آـيـةــ الـنـهـارــ كـمـاــ هـيــ وـاـخـرــ اـبـنـ عـسـاـكـرــ عـنـ عـلـيــ بـنـ زـيـدــ (رضـيـ اللهـ عنـهـ)ـ قـالـ :ـ سـأـلــ اـبـنـ الـكـواــ عـلـيــ (رضـيـ اللهـ عنـهـ)ـ عـنـ السـوـادــ الـذـيــ فـقـولـهـ ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ـ .ـ

أقول : حاصل ما قد يصدق من هذه المجموعة ان الشمس والقمر في بادية خلقهما كانوا تزيين بعض مع اختلافهما في الحجم . حيث الحـوـ هو محـورـ النـورـ لاـ الجـرمـ . فـمحـيـ اللهـ القـمـرـ منـ ضـوءـ حتىـ أـصـبـعـ نـورـاـ وـجـعـلـ الشـمـسـ ضـيـاءـ :ـ ﴿هـوـ الـذـيـ جـعـلـ الشـمـسـ ضـيـاءـ وـالـقـمـرـ نـورـاـ﴾ـ (١٠ : ٥)ـ فقدـ كانتـ شـمـساـ دونـ هـذـهـ الضـيـاءـ وـكـانـ قـمـراـ دونـ هـذـاـ النـورـ ،ـ فـضـيـاءـ الشـمـسـ وـنـورـ القـمـرـ مـجـمـولاـنـ .ـ

وقدـ يـنـافـيـ مـحـوـ القـمـرـ هـكـذـاـ انـ نـورـهـ مـكـتبـ منـ ضـوءـ الشـمـسـ وـلـاـ نـورـ لـهـ منـ نـفـسـهـ كـمـاـ .ـ

لنهاها وقمرها آية ممحوّة من ليلها وأجرهاها في مناكل مجرهاها وقدر مسيرهاها في مدارج درجهما
ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما^(١).

﴿... لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.

كأن ابتغاء فضل من الله ، ومعرفة عدد السنين والحساب كلامها من مخلفات آية الليل والنهار وان كان فضل الله يبتغى في الأكثـر نهارا ، ولكنـه لا يخص المادي منه حتى يختص النهـار ، فالمـعني منه أـهم وأـكثـر بالليل ، وان كان اللـيل حـسب الأـصل وأـكثـرـيا للـسكن والـنهار للـنشرـور ولكن : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاوُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٣٠ : ٢٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٨ : ٧٣) وهذا جعل ثان ينوب الأول شيئاً ما عند الحاجة وفيما لزم عكس الأمر وان كان الالتزام بالأول أحرى وأصلاح لراحة الإنسان ، اللهم إلا في تحجد الليل فضلاً روحيا.

. يقول العلم ، الا ان جعل القمر نوراً منيراً ينافيه : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُبِيرًا﴾ (٢٥ : ٦١) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (٧٢١ : ١٦) ولم يثبت اكتساب نور القمر من ضوء الشمس علمياً قانونياً لا يتختلف ولغير ثبات كان معنى محو القمر هو الأكثـر من نوره الآن اكتسابـا منـ الشـمسـ إذـ كانـ بالإـمـكـانـ انـ يجعلـهـ اللهـ بـحيـثـ يـكتـسبـ منـ الشـمسـ نـورـاـ تـواطـيـ نـورـ الشـمـسـ ، الاـ انـ هـذـاـ لاـ يـسمـيـ مـحوـ اللـهمـ الاـ إـذـ كانـ القـمرـ بـحيـثـ يـكتـسبـ نـورـاـ مـنـ الشـمسـ تـواطـيـهاـ ثـمـ اللـهـ مـحـاهـ ، اللـهمـ لاـ عـلـمـ لـنـاـ إـلاـ مـاـ عـلـمـتـنـاـ ، وـقـدـ يـكـونـ كـيـانـ نـورـ القـمرـ مـاـ سـكـتـ اللـهـ عـنـهـ حـيثـ اـحـتمـالـ هـكـذاـ مـحـوـ فيـ آيـةـ الـحـوـ لاـ يـعـدـ وـالـاحـتمـالـ حـيثـ الـظـاهـرـ انـ آيـةـ الـلـيلـ هيـ الـلـيلـ وـآيـةـ الـنـهـارـ النـهـارـ ، وـكـونـ القـمرـ نـورـاـ لـاـ يـنـافـيـ فيـ انهـ يـكـسـبـهـ مـنـ الشـمـسـ اـمـ مـاـذاـ؟ـ.

(١) في نجـحـ الـبـلـاغـةـ عنـ عـلـيـ اـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) ...

كذلك ومعرفة السنين والحساب من مخلفات آية الليل والنهار ، لا إحداها ولا النهار فحسب ، بل قد يكون الليل بآيته أخرى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٍ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحُقْقِ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤ : ١٠) ﴿فَالْقُلُوبُ أَصْبَاحٌ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ (٦ : ٩٦) ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٌ﴾ (٥٥ : ٥) أترى بعد ان الليل بآيته لا حساب له ولا حسبان ، وهما زميلان متضاعنان في الحسبان؟!

فلو كان الليل والنهار بآيتها سرمدين لم يعلم عدد السنين والحساب ، ولكن خلفة الليل والنهار علم لها ولليوم ، وسبعة اليوم للأسبوع ، ومنازل القمر ل أيام الشهر ، واثني عشر الشهر للسنة ، فمحوا آية الليل تدريجيا حيث قدره منازل هلالا وبدرها ومحاقا ، وابصار آية النهار ، انهم متعاونان في معرفة عدد السنين والحساب ، كما ان محى القمر حيث لا يضيء كالشمس يميز الليل عن النهار.

وترى ما هو الفارق بين علم عدد السنين والحساب ، وعدد السنين من الحساب؟
على الفرق بالعموم المطلق فان عدد السنين حساب وليس كل حساب عدد السنين ، فانه هنا عدد في السنة شهورا وفصولا وأسابيع وأياما وساعات ، فالحساب لما دون السنة فعلم عدد السنين . وطبعا القمرية . والحساب في أجزاءها من مخلفات محى آية الليل وإبصار آية النهار.

فالليل والنهار بآيتها كونيتان تشيان بدقة الناموس الذي لا يصييه خلل بأية علل فهما دائبيان حتى القيامة الكبرى ﴿لَتَبَتَّغُوا فَصُلًّا مِنْ رَيْكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ في كتابي التكوين والتدوين ، دون إجمال او تعطيل .
 وكل شيء هو من خلق الله فهو من آيات الله ، والله ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءَ رِبِّكُمْ ثُوقُونَ﴾ (١٣ : ٢) ﴿وَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦ : ٥٥) ... وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٤ : ٧) ﴿فَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٠ : ٢٤) ... لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٠ : ٢٨) ... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠ : ٥) .

والشيء في ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ هو كل شيء تكوينا او تشريعا ومن الأشياء المفصلة
 أعمال الإنسان وأقواله وعقائده ونياته ، حيث هي مفصلة في عنقه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرًا﴾ ولا
 كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضرًا﴾ (٤٨ : ١٨) .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ الْأَرْضَ مِنْهُ طَابِرٌ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) اقرأً
 كتابك كفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْنَدَى فِيمَا يَهْنَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فِيمَا
 يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ
 هُنْكِلَ قَرِيبًا أَمْرَنَا مُتْرِفِيهَا

فَقَسَّوْا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَلَدَمَنَا هَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُبِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلًاً نُدْهُولَهُ وَهُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخرةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا (٢١)

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ ...﴾

«الطائر» هو كل ما يطير أي كان من شخص او شيء او عمل او تفكير ام ماذا؟ ثم الطائر البخت والحظ والنصيب ، والجاهلية كانت ولحد الآن تحرف بما لا تعرف أن الذي قدر لكل انسان هو تقديره وبخته الذي قدره الله له يطير إليه دون رباط له بعمله ، او يستطيع إليه خير او شر من عمل غيره ، او انه يشارك في حظه عمله وعمل غيره ، ام ماذا مما يلحق الإنسان

نصيبا من خير او شر يطير اليه من غيره ، ربه او خلقه ، او وأخيرا ، إذا كان عمل كل إنسان له خيرا وعليه شرا ، فعمله أيا كان يطير عنه الى الفناء فلا حجة تبقى عليه حتى تلجمه يوم القيمة.

والقرآن يطارد في طيات آيات هذه الغلطة الماردة ويلزم عمل كل انسان في عنقه كما هنا ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

يحصر الطائر مبدئيا بما مع الإنسان : ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمْسِنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) : تفألنا بكم شرا يطير منكم إلينا فأنتم شؤمنا وبؤسنا! ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ إِنْ دُكْرُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (٣٦ : ١٩).

ومن ثم يحصره جزء بما عند الله : ﴿قَالُوا أطَيَّرْنَا بِكَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٤٧ : ٢٧) ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ١٣١) ثم لا حالة ثالثة للطائر رغم ما يزعم!

فالعمل أيا كان ومن اي انسان إنما طائره معه وعند الله ، لا يجاوزه الى من سواه ولا اليه من سواه ولا انه مقدر مسير عليه ، ولا انه يطير عنه الى الفناء دون ان يبقى حجة له او عليه ، فاما طائره في عنقه ثم عند الله .

إذا فتسميته العمل طائرا ليست الا مسايرة التعبير عن العمل ^(١) بما يطير الى غير العامل ، او استطارة من تقدير مسير من الله! او استطارة عن

(١) وكان العرب يتيمون بطيران الطائر الى اليمين ويتشاؤون بطيرانه الى اليسار ، ولذلك جعل الطائر اسم مطلق ما يتمنى به ويتشاءم ثم استعمل في مطلق سبب الخير والشر من الأفعال والأقوال والعقائد.

العامل الى الفناء!

اللهم الا استطارة الى الآفاق من ارضها واعماق فضائهما ، حيث الأمواج الصوتية والصورية طائرة عن الإنسان الى الآفاق وهي على ما هي عليه ملزمة في عنقه ، نسختان عينيتان من مربع الأعمال يستنسخها الله في الآفاق وفي الأنفس ، وسيريهما الله يوم يقوم الاشهاد : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ أَنَّهُ كَذَبٌ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤١ : ٥٣) فمن هذه الآيات العينية من الأعمال المسجلة في الأنفس والآفاق وشره علّه هو الشر المستطير : ﴿يُوْفُونَ بِالنَّدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧٦ : ٧) فان شر الآخرة المستقبل هو استمرار لشر الدنيا المستطير الماضي ، فشر الآخرة ثابت حيث ينبع عن شر الأولى المستطير . وحقيقة الاستطارة من صفات ذات الأجنحة : البعنة على الطيران ، فشر الدنيا منبعث من قبل الله للطيران الى مسجلات الكون آفاقية ونفسية ، تيارات الشر وطياراته يوم الدinya وإلى اعمق البرزخ والقيمة . فالقرآن يصدق من صيغة الطائر هذه السائعة التي صاغها الله ، ويكتذب ذلك الثالث الخاطئ من استطارة الأعمال : من الله تقدير التسيير الى العمل ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ او منه إطاراً منك الى سواك ، او منه إليك بنفسه او انتاجه ، او من الإنسان ككل الى الفناء ، كلاماً إلا إلزاماً للعمل وعهده في عنقه (١) ثم اطارة الى كتاب الآفاق ، فآية الطائر تصرح بما بعدها أن الأعمال ملزمة في ذوات العمل وعهدهم : «في عنقه» ايجاء ثنائياً يكسح خرافات الأوهام ، ثانيةهما أن كل

(١) فان قال : في ذاته . لم يدل على عهده . وان قال : في عهده لم يدل على تسجيله في ذاته بصوريته .

عمل فإنما هو على عهدة عامله بخирه وشره في عاجله وأجله ، كما وأنه مسجل بصورته الصوتية والصورية في ذاته ، فالعنق عبارة عن الذات حيث الكيان الحيوي للإنسان به أكثر مما سواه ، وعبارة عن العهدة ، إلزام طائر الإنسان في عنقه إيجاء بحثاً جمياً ، فالعمل الزائن في العنق كالقلائد والأطواق ، كما العمل الشائن كالاغلال والأوهاق هما لزام عنقه مهما كانا خفيفين يوم الدنيا ، فان الله يخرجهما يوم الآخرة كتاباً يلقاه منشورة.

ثم والطائر تلوحة باستطارة نسخة عينية من الأعمال الى كتاب الآفاق ثم نجد تصرحيتها في آيات تحدث الأرض اخبارها.

﴿الْزَّمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ﴾ وعل إلزامه طائره يوحى بكون طائره لزام ذاته ككل ، و**﴿فِي عُنْقِهِ﴾** بان ما يلزم ذاته هو على عهده ، فهو لازمه لا يفارقه ، لا يمكنه ان يتخلص عنه او يتملص منه ، لا نفس العمل ولا مخلفاته ، فهو كالطوق في عنقه بالزامه إيه والحكم عليه به.

فلعن اختص هذا الإلزام بعهدة العمل دون نفسه لكان التعبير «الزمنا طائره» دون «الزمناه» ولو اختص بإلزام العمل دون عهده لقال : «في ذاته» دون «في عنقه» فثنائية الإلزام لا محيد عنها في هذا الإجمال ، وكما تفصلاها : **﴿وَنَخْرُجُ لَهُ ... اقْرُأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ ...﴾** **﴿وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزِرَّ أُخْرَى﴾** حيث الأولى لزام عمله ، والأختيرة لزام عهدهما يجمعهما : «خирه وشره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطي كتابه يوم القيمة بما عمل»^(١) ف «يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٤ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني وأبي عبد الله (عليهم السلام).

الساعة»^(١) فـ«اعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في أجلهم»^(٢). وفي القرآن آيات مفصلات في بقاء العمل وعهده^(٣) وفي الحديث تفسيرات وتأويلات للطائر^(٤). فلا تعني «طائره» سعادته وشقاوته ، فإنما ليستا بمقدرتين إلا حسب سعيه ، تقدير اختيار دون اجبارا^(٥) كما لا تعنى انعدام عمله ولا سواه مما

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٤ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الثاني وأبي عبد الله (عليه السلام) في الآية : الى ان قال : فلذلك ﴿يَا وَيَأْتِنَا مَا هِدَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ :

(٢) نجح البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) من كلماته القصار (٦) :

(٣) فالآيات في ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ لا لزام العهدة ، والآيات في انعكاس الأعمال في نفس الإنسان وفي الآفاق لا لزام نفس العمل في الآفاق والأنفس (راجع سورة الزمر والقارعة من الفرقان) :

(٤) نور الثقلين ٣ : ١١٤ في تفسير العياشي عن زرارة وحرمان ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) عن قوله : ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ﴾ قال : قدره الذي قدر عليه أقول : يعني قدر الاختيار حسب ما اختار من اعمال لا قدر الإجبار حتى يسير على قدره :

(٥) في الدر المثور ٤ : ١٦٧ . اخرج ابن مردويه عن حذيفة بن الصيد (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول في حديث تفصيل خلق الإنسان في الرحم :: ثم يقول الملك يا رب أشقي ام سعيد فان كان سعيدا نفح فيه بالسعادة في آخر اجله وان كان شقيا نفح فيه بالشقاوة في آخر اجله ثم يقول : اكتب انها ورزقها ومصيتها وعملها بالطاعة والمعصية فيكتب من ذلك ما يأمره الله به ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول : علقة في عنقه الى قضائي عليه فلذلك قوله ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ﴾ .

أقول : «أشقي : : وان كان شقيا» يوحى بالشقاوة الآجلة بعد التكليف بالاختيار كما في السعادة ، وكتابة الشقاوة والسعادة هي كتابة التقدير لما يتقدره المكلف ، وكتابة عمل الطاعة والمعصية تعني تقديرهما كذلك ، وانما سيلزمان في عنقه إبقاء طما وعهدة عليه :

خرفوا له او هرفوه ، اللهم إلا ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾!

وما يروى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان طائره هو سعادته او شقاوته باعمالهما ليس يعني إلا ما تعنيه الآية من إلزام العمل الملزِم بالاختيار دون إلزام الإجبار ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَالٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فلا قضاء أزليا يحتم على الإنسان سعادة او شقاء الا بما يحتمه الإنسان على نفسه كما يحتمه اختيارا دون إجبار.

وترى ان «طائره» يختص عمله بجواره؟ ام قوله فانه من عمله الطائر ، ام وعقيدته ونيته فإنها من اعمال الجوانح كما تلکما من الجوارح؟ وهما ايضا طائرتان؟

إن الطائر كطائر يعمها كلها^(١) فانه يحاسب بها كلها ولا سيما طائر العقيدة فانها تحصل يوم يقوم الاشهاد كما يحصل غيرها : ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠٠ : ١٠).
ولا يعني التحصيل هنا إلا تكريس ما في الصدور كتابا يقرأ تفهمها دون سماع او إبصار ، تحصيلا لعقائد او أفكار ونيات هي من طائر الصدور : ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدِّلُوهُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، يَوْمَ تَحْدُدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأً بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠ : ٣) : فيها للإنسان من نفسه مسجلة تسجل مثلث القول والفعل والسريرة كما قال او فعل او أسر ، ومهما غفل . لطول الأمد . عما نوى او اعتقاد او قال او اعتمل كشف عنه غطاءه يومئذ

(١) فالعمل إذا قورن بالقول والعقيدة دلت قرينته على ان العمل بالأركان فقط ، وإذا اطلق دون قرينته مثل قرينه ، واما الطائر الموحي الى كيان العمل اثباتا مصدقا ، او نفيا في مثلكه ، فهو طائر اللسان والجوارح ، والفكر والعقيدة دون إبقاء :

(٥٠ : ٢٢) : بصر العين للمعاينة ، وبصر السمع للاستماع ، وبصر البصيرة لدرك ما نوى او اعتقد! .

فإنسان القرآن شاشة تلفزيونية ومسجلة للصوت والصورة والسيرة وكتاب للصور والأصوات والسريرات :

﴿... وَخُرُجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ .

ولماذا «خرج له» لا «خرجه»؟ إن «له» هنا توحى بأن هذا الإخراج ليس إلا لعامله شهادة عينيه فجزء وليس الله فانه يعلمه قبل الإخراج وهو الذي الزمه في عنقه! ولماذا «خرج ... كتابا» دون «خرجه كتابا» عله كيلا يتوهם ان الطائر يجعل كتابا يوم القيمة ولم يكن (١) فاما الكتاب هو الطائر والفرق بين نشأته انه في الأولى خفية مغفول عنها ، وفي الأخرى ظاهرة محتج بها : ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُوكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٥٠ : ٢٢) .

خرج ما أزمناه من طائره في عنقه ، خرجه عنه يوم القيمة كتابا ... لم يكن ليحمى بما اندرست أوراقه حيث بلت ورمدت أعضاء الإنسان وهي أوراق هذا الكتاب! حيث استنسخه العلي القدير : ﴿هَذَا كِتَابًا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسَخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٥ : ٢٩) كتاب يحير عقول المجرمين : ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هِذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (١٨ : ٤٨) وهو من أظهر

(١) فان الإخراج المركب يوحى بأن الحالة الثانية تختلف عن الاولى ، والإخراج غير المركب دليل الوحدة الحقيقة بين الطائر والكتاب .

الصحف المنشورة ﴿إِذَا الصُّحْفُ تُشَرَّتْ﴾ (٨١ : ١٠) الصحيفة الذاتية المسجلة فيها اعماله!.

ان مثلث كتاب الأعمال هو كتاب الله بما استنسخه وسجله ﴿هذا كِتَابُنَا ...﴾ وهو كتاب الإنسان نفسه بما عمله : ﴿أَفَرَاكِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ :
 هذا كتاب نفسه إذ سجله الله في نفس عامله ، يقرئه كما هو حيث ينشر كما صدر حالا او مقالا او افعالا ، قراءة تفهم الحال فكريا وعقيديا كأنه فكره او اعتقاده في الحال ، وقراءة سماع المقال كأنه قاله في الحال ، وقراءة رؤية الأعمال كأنه عملها في الحال ^(١) وأوراق الكتاب هي نفسه في مثلث الأسطر التي استنسخها الله ، وكفته نفسه حسيبا عليه حيث تكتبها بحاجتها العينية الحاذرة الحاضرة : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضرًا﴾ كما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فلو كان هذا الكتاب ما يخبر بقلم ام ماذا؟ لم يكن نفس العامل ، فلم يكن نفسه فيه حسيبا ، ولا يكفي الكتاب المجر بقلم يحكي عن طائره حكاية وضعية ، لا يكفي عليه حسيبا إذ له نكرانه حيث لا يشهد شهادة عينية كافية وليس ليقرؤه إلا من تعلم القراءة قبلها.

وان كتاب النفس المنشور بما ينشره الله يقرأ بنفس اللغة التي صدرت لغة الحال والمقال والأفعال ، دون حاجة الى ثقافة اخرى سوى التفهم والسمع والبصر ، ثم هناك كتاب آخر يؤتى به الأرض بفضائلها ^(٢) وكتاب

(١) ف «نفسك» هنا مجموع الروح والجسم حيث هما يشهادان الشهادة العينية في مثلث المذكور.

(٢) كما تدل عليه آيات الزلزال «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ...» راجع ج ٣ من الفرقان تفسير الزلزال.

ثالث هو ما يكتبه الكرام الكاتبون ^(١) ورابع هو ما يتلقاه الشهود ^(٢) اشهاد اربعة ومتواقة
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ وان كان **﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾**^(٣) : دون حاجة الى
 الثلاثة الآخرين ولكن لتحيط بك الشهود نفسيا وافقيا فلا تبقى لك أية عازرة!.

في كتاب النفس نجد لسان المقال وجوارح الأفعال كما الجوانح تشهد بما كانوا يعملون
 إلقاء يوم يقوم الاشهاد كما شهدت تلقيا : **﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ**
إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ يُوَفَّيهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحُقُّ الْمُبِينُ﴾ (٤) :
﴿الْيَوْمَ خَتَمْتُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهَّدُ أَرْجُلُهُمْ إِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥) :
 (٦) ختما على الأفواه صدا عن تكلم الألسن اختيارا كما تشاء نكرانا لما قالته او عملته
 الجوارح وفتتحا لأقوال الألسن المخرجة عنها يوم القيمة كتابا يلقاه منشروا ، فالألسن
 المنفصلة عن ألسن القائلين تتكلم بما تكلمت طوال التكليف ، فشهادة الألسن على
 أصحابها قد تكون اختيارا ، ولا يختار الجرم كلاما على نفسه ، او اجبارا وهو بعيد غاية
 بعد عن الشهادة الحق من

(١) عله يدل عليه مثل قوله تعالى : **«وَإِنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ : كِرَاماً كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»** راجع نفس المصدر
 ويعني الكتاب هنا أيضا ما سجله الله بعماله الكرام الكاتبين في انفس المكلفين والجو الذي يعيشون فيه ، او ان
 كتابهم عننا علمهم بأعمالنا بما علمهم الله كما قد يوحى به **«يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ»**.

(٢) تدل عليه آيات شهادة الشهود المعوثين يوم يقوم الاشهاد كقوله تعالى : **«يَوْمَ تَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**
عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئُنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هُؤُلَاءِ﴾ (٩٢ : ١٦) **«وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بُنُورَ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَيَءَ**
بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بِنَفْسِهِمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ : وَوَقَيْتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ إِمَّا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٩) :
 (٧١).

(٣) قد تكون الباء في «بنفسك» زائدة للزينة كما يقال ، وقد تكون للتعددية السبيبية ان نفسك سبب الشهادة
 والحساب عليك.

القدير الرحيم ، على ان الأفواه مختوم عليهما فلا كلام أيا كان من الألسن في الأفواه ، واما الشاهد عليه هو لسانه المنفصل المخرج ، ان تنقل الألفاظ عن اللسان الى غير اللسان فيشهد بما قال : كمسجلات سجلت فيها ما قالت شهادة عليهم كما تشهد الايدي والأرجل شهادات عينية عادلة : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدُهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَإِنَّهُ تُرْجَعُونَ ... وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا إِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُوكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرِبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤١ : ٢٣).

فالجلود تعم جوارح الإنسان بما فيها سمع الأذن وبصر العين ، كما وقد تشمل كل جسم الإنسان حيث هو جلد لروحه ، والسمع هو سمع القلب كما البصر بصره وإن كانا يشتملان سمع الأذن وبصر العين ، ومن الجلود الألسن كما هما منها ، فالإنسان بكله ، بروحه وجسمه كتاب لثلث الأعمال ، شاهدة عليه يوم يقوم الاشهاد.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضْلِلُ عَلَيْهَا وَلَا تَرُزُّ وَارِزَةٌ وَرُزْ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥).

ضوابط ثلاث تضبطها هذه الآية لا محيد عنها ولا مناص :

- 1 . إن الاهتداء والضلالة تنحصران نفعا وضرا بأصحابهما وتنحصران عن سواهما ، ف ﴿كُلُّ نَفْسٍ إِمَّا كَسَبَتْ رَهِيْنَةً﴾ (٧٤ : ٣٨) دون رهانة بما لم تكسب او كسبت غيرها ، فالعمل الطائر . رغم زعم الجاهلية . كما لا يطير عن عامله الى الفناء ، كذلك لا يطير عنه بتبعته الى سواه ، وإنما التبعية الفردية تربط كل انسان بنفسه : ﴿فَلَنْ يَأْتِهَا النَّاسُ قَدْ جَاءُكُمْ

الْحُقُّ

مِنْ رِبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوْكِيلٌ ﴿١٠٨﴾ .

ترى إذا اختصت الضلالة والهدى بمن ضل واهتدى ، فكيف يؤمر المهددون أن يهدوا ، وينهى الضالون ان يضلوا؟

الجواب : أن الحصر هنا نسي يعني . فقط . نفي انتقال الهدى والضلالة بأثارهما إلى غير أصحابهما ، كما تعني آية الطائر ، ولا يعني عدم بث الهدى أم ماذا؟

٢ - ﴿وَلَا تَنْرُّ وَازْرَةً وَزِرْ أُخْرَى﴾ إن الهدى والضلالة هما لزام أصحابهما ، ما من أحد يحمل او يتحمل حمل احد ولا يحمله ولو كان ذا قري : ﴿وَلَا تَنْرُّ وَازْرَةً وَزِرْ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُشْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (٣٥ : ١٨) وإن وزرت كمثلها او تزيد إذا أضلت غيرها ، ولكنها ليست لتخفف في حمله حمل التي ضلت بإضلالها : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَبْغُونَا سَبِيلًا وَلَنَحْمِلْنَ حَطَابًا كُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ حَطَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْتَلِّنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٩ : ١٣) فهولاء المضللون يحملون وزري ضلالهم وإضلالهم : أثقلهم وأنقالا مع أثقلهم دون ان ينقص من أوزار من ضلوا بهم شيء : ﴿لَيَحْمِلُوا أُوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أُوزَارِ الَّذِينَ يُضْلُلُوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥ : ١٦) ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ...﴾ (٤ : ٨٥)^(١)

تعني هذه الضابطة فيما تعني أن أولاد الكفار . الصغار . لا يعذبون

(١) حديث متظاهر وراجع تفسير آية الوزر في ج ٢٧ ص ٤٥٠ . ٤٥٧ . سورة النجم من الفرقان ، ترى فيه حوارين حول آية السعي والوزر جوابا عمار بما يسأل حولها.

بِكَفْرِ آبَائِهِمْ^(١) كَمَا أَنَّ أُولَادَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَثابُونَ بِإِيمَانِهِمْ ، وَانْ كَانُوا جَمِيعاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَطْفَا بِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَذْنِبُوا ، وَعَطْفَا زَائِدًا بِآبَاءِ مُؤْمِنِينَ . حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ لَهُمْ بِأَوْلَادِهِمُ الصَّغَارُ حَظْوَةٌ لَهُمْ وَرَحْمَةٌ^(٢) وَمُخْتَلِفُ الْحَدِيثُ حَوْلُ الْعَذَابِ^(٣) وَالْلَّاعِذَابِ مَعْرُوضٌ عَلَى الْآيَاتِ النَّاكِرَةِ لِعَذَابِهِمْ ، حَيْثُ

(١) الدر المنشور ٤ : ١٦٨ . اخرج قاسم بن اصبع وابن عبد البر عن انس (رضي الله عنه) قال : سأله رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن أُولَادِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ : هُمْ خَدَّامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ . أَقُولُ : مَلَّا ذَهَبُوكُمْ كَمَا هُمْ ؟ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِمَالِهِمْ فَلَيَسُوا فِي درَجَاتِهِمْ وَخَدَّمُوكُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ لَا تَكْلُفُ فِيهَا وَهِيَ رَحْمَةُ لَهُمْ وَأَوْلَاءِ .

وَفِيهِ وَأَخْرَجَ أَبْنَ سَعْدَ وَاحْمَدَ وَقَاسِمَ بْنَ اصْبَحِ وَابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ الْضَّمَرِيَّةَ عَنْ عَمِّهَا قَالَ : سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ وَالْوَئِيدُ فِي الْجَنَّةِ .

(٢) راجع ج ٢٧ من الفرقان تفسير الآية (الحقنا بهم ذريتهم) تجده فيه بحثاً فصلاً حول الموضوع.

(٣) في الدر المنشور ٤ : ١٦٨ باسناده إلى الصعب بن جثامة (رضي الله عنه) قال قلت يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أين قضيت في البنات من ذراري المشركين؟ قال : هم منهم . أقول تطرده آية الوزر وأمثالها ، ولا يصلحه المروي عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيما أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت سألت حديجة (رضي الله عنها) رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن أُولَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَأَلْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ ثُمَّ سَأَلْتَهُ بَعْدَ مَا اسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامُ فَنَزَّلَتْ **﴿وَلَا تَنْزُرُ وَازْرَةً وَرَزْ أَخْرَى﴾** فَقَالَ : هُمْ عَلَى الْفَطَرَةِ أَوْ قَالَ : فِي الْجَنَّةِ .

أَقُولُ : وَهَذِهِ فَرِيَةٌ وَقَحَّةٌ عَلَى الرَّسُولِ أَنَّهُ حَكَمَ عَلَى خَلَافَ الْعُقْلِ وَالْعَدْلِ أَنَّ أُولَادَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهُمْ ، دُونَ سَنَادٍ إِلَى وَحْيٍ ، وَلَمْ يَكُنْ الرَّسُولُ يَحْكُمُ إِلَّا بِوَحْيٍ ، وَلَا حَقَّ بِعَقْلِهِ الْمُنْبَرُ الَّذِي فَاقَ الْعُقُولَ فَكَيْفَ يَحْكُمُ بِمَا يَخْالِفُ الْعُقْلَ وَالْوَحْيَ مَعًا وَحْتَ إِذَا كَانَ السُّؤَالُ قَبْلَ نَزْوَلِ آيَةِ الْوَزَرِ فَلَيَصِيرَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ، أَوْ يَحْكُمَ بِمَا نَزَّلَتْ قَبْلَ مِنْ آيَاتِ تَنْصُصٍ بِعَدْلِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ أَمْ عَلَى أَقْلَلِ تَقْدِيرٍ يَحْكُمُ بِعَقْلِهِ !

﴿لَا تَرُ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ثم وبالملوت ينقطع التكليف فلا يكلفون بشيء في الآخرى^(١). وترى القاعدة الفقهية (الديمة على العاقلة) هل تعرقل قطعية هذه الضابطة ، وهي من العمومات الآبية عن التخصيص؟.

الجواب ان لا ذنب للقاصر حتى يؤخذ به عاقلته ، ثم وغض النظر عن الديمة إيجحاف على صاحب الحق ، والقاصر لا يملك الديمة ، وإن ملكها فالعاقلة أخرى بتأدبة الديمة ، إذ كان عليه تربية القاصر والحفظ عليه كيلا يعني جنائيه ، فإذا وقعت الجنائية كان أقل ما يؤخذ عليه العاقلة . الديمة ، فالعاقلة إذا وازرة وزر نفسها!

أو أن الديمة ليست وزر الجنائية ، إنما هي بحكم الله على العاقلة . كما عليه نفقة القاصر ، حفاظا على حق المجنى عليه ، ولا أحق هنا من العاقلة ولاية له على القاصر او ان الديمة جامعة الأمرين دون أن يكون هناك وزر على القاصر ، اللهم إلا وزرا على العاقلة بما له ولاية ، وهذا الجمع أجمل.

ثم ترى ان مواصفة النفس بالوازرة حيث لا تزر وزر اخرى هلا تخرج نفسها غير وازرة وهي العادلة المعصومة عن الوزر وإذا لا فلما ذا «وازرة» وإذا بلى فلتكن غير الوازرة وازرة وزر اخرى او آهلة ان تتحمل حملها!

على الوازرة هي التي تحاول ان تزر وزر اخرى وان لم تكن وازرة لنفسها ، ثم إن المعصومة كيف تزر ولماذا؟ فهل تزر وزرا اخرى تبرءة لها بتحمل وزرها فتعصي بعصيانها وتعدّب بعذابها؟ وهذا خروج عن العصمة ثم وخروج عن حكم الآيات الناكرة لهذه النيابة

النكرة ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ

(١) فالروايات القائلة انهم يتحدون بما يكلفون يوم القيمة مؤله او مضروبه عرض الحائط.

عَنْ نَعْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾ .

ام تزر إبطالا لعقوبته عن الاخرى وعن نفسها ، وهذا غفران دون سبب وليس

الغفران بسببه ايضا إلا الله «وهل يغفر الذنوب إلا الله» ثم وليس هذا حمل اخرى!

﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ .

ترى ما هو العذاب المنوط ببعث الرسول؟ وهل إن بعثه دون وصول بلاغه كاف في

استحقاق العذاب؟

هل يعني هذا العذاب مطلق العذاب ، حتى المستحق بالتخلف عن وحي الفطرة والعقل ، او عن وحي الشعور لغير ذوي العقول؟ وإن عذاب ربك الواقع في اي تخلف! ف
 ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّكُمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٦) ولا يعني حشرهم الى ربهم إلا جمعهم اجمع الى ربوبية الجزاء التواب او العقاب ، لا سيما في العصيانات الظالمه الفاحشة ، فالله أعدل من ان يترك الظالم ولا يأخذ لا في الدنيا ولا في الآخرة ^(١) : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

(١) نور الثقلين ١ : ٥٩٢ عن الفقيه ان النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ابصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال : اين صاحبها؟ مروءة فليستعد للخصومة.

وفي الجمجم عن أبي ذر قال : بينما انا عند رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) إذا انتطحت عنزان فقال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : أتدرون فيما انتطحا ، فقالوا : لا ندرى قال : ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما.

وعن الكافي باسناده الى الكلبي النسابة قال قلت لجعفر بن محمد (عليه السلام) ما تقول في المسح على الخفين؟ فتبسم ثم قال : إذا كان يوم القيمة ورد الله كل شيء الى شيعه ورد الجلد الى الغنم فربى اصحاب المسح اين يذهب وضوءهم!

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ... ﴿١٤﴾ (٤٢ : ١٤) مهما كان الظلم يشعر بشعور ، ام بفطرة او عقل ، ام بوحي النبوة ، وان كانت تختلف بمختلف مراتب الإدراك.

والقاعدة الاصولية العقلية «قبح العقاب بلا بيان» لا يصح أن تعني خصوص بيان وحبي النبوة ، فإن وحبي الشعور بيان ، ووحبي الفطرة بيان ، ووحبي العقل بيان ، وإن كان بيان الشرع أشمل ، كما وان تكليفه أعضل.

والآيات التي تعذر العذاب لو لا بعث الرسل ، لا تعني إلا العذاب الناتج عن عصيان هؤلاء الرسل ، لا مطلق العذاب المستحق بعصيان سائر الرسل : شعورا وفطرة وعقلا! وإنما **﴿رُسْلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾** (٤ : ١٦٥) حجة أنها كانت لنا هدى فوق ما تحدينا إليها عقولنا بالرسل فلما ذا لم تبعث إلينا رسولا ، ثم وحجة ألا عقاب في عصيان الرسل ولم تبعث الرسل! بل ولا عصيان إذا في خلافهم قبل بعثهم ، بل لا يحصل إذا خلاف.

او تعذر عذاب الاستيصال الناتج عن التخلف الفاحش المتهدم للرسالات.

﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُنَاهُمْ بِعِذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّشَعَّ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَدِلَّ وَنَخْرُى﴾ (٢٠ : ١٣٤).

علّه او انه المقصود هنا فحسب ، او هو القدر المتيقن كما توحّي له «ما كنا» كـ **﴿لَوْ أَنَا أَهْلَكُنَاهُمْ﴾** حيث تعطف الى العذاب الماضي وهو الاستيصال في الدنيا ، ايجاء برحمة رحيمية في سنة دائبة إلهية ألا عذاب في الأولى حتى يبعث رسولا ثم يعصى بما لا تتحملها رسالة ولا حياة انسانية ، وكما توحّي له التالية المقررة لظرف هكذا عذاب : **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ هُلِّكَ قَرْيَةً ... وَكَمْ أَهْلَكْنَا ...﴾** ان إهلاك القرى لا يراد إلا في هكذا عصيانات.

إذا ففي عصيان وحي الشعور . كما للطير والدواب . عذاب قدره يوم الحشر قليلا ، دون الدنيا والبرزخ إلا قليلا ، وفي عصيان وحي الفطرة والعقل كذلك وأكثر قد يكفيه عذاب في البرزخ . وفي عصيان غير فاحش لوحى النبوة عذاب في البرزخ او في الحشر ، ثم وفي عصيان فاحش لوحى النبوة حيث يهدم أركان بنية المجتمع عذاب الاستئصال في الدنيا ثم وفي البرزخ والمحشر عذاب دائب اليم ، فالمعذب في الدنيا للعصيان الطغيان يعذب بالأحرى في البرزخ والأخرى ، وليس كل معذب فيهما يعذب في الأولى .

وقد تشمل «ما كنا» عذابي الأولى والآخرى في نطاق التكاليف الرسالية ، لا مطلق العذاب وإن في نطاق التكاليف الثلاثة الأخرى ^(١) ولا خصوص الأولى ، فكما العذاب الأدنى في التخلف عن وحي الشعور ليس إلا في حاضر الشعور ، ثم أعلى منه في الفطرة ، فأعلى في العقل ، كذلك الأعلى تخلفا عن وحي الشريعة في العصيانات العادية ، ثم التخلف القمة في الأولى قبل الأخرى عذاب الاستئصال والتدمير ، وليس إلا في حاضر الرسالة . للقاعدة العقلية «قبح العقاب بلا بيان» الشاملة له ولما قبله .

فَلَا تَعْنِي ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إِلَّا بِيَانِ الرِّسَالَةِ بِبِلَاغِهَا ، إِنَّ لِلْمُتَرَفِّينَ الطَّاغِيْنَ
فعذاب الاستئصال هنا ام للناس أجمعين فعذاب في الأخرى ، وإن كان القدر المتيقن هو الأولى وفي هامشه الأخرى ،

ثم العصيان في أية رسالة من الرسائلات الخمس مختلف وجوب العقاب إذا كان ظلما وتعديا علىخلق أيها كان ، أو جوازه إذا كان تقاصيرا بحق الخالق دون خلقه ، ولم يكن في تركه تسوية ظالمة بين المطيع والعاصي ، فالسماح عن بعض العاصي هو قضية الفضل والرحمة الواسعة كما في المستضعفين **﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ لَا**

(١) شعورا وفطرت وعقلاء .

يَسْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُورًا

(٤) هذا السماح ليس ظلماً وتسوية ، واما السماح عن اي ظلم بالنسبة للخلق دونما اي مقابل فهو ظلم بعيد عن ساحة العدل الرباني.

و **وَهُنَّ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** تعني الرسالة البالغة الى المكلفين بأحد شطريها ، ثم الثالث الاخر كذلك البالغة الى مكلفيها ،

ففي كل رسالة بالغة على حدتها حجة ، وفي التخلف عنها جواز او وجوب العذاب ، من دنيوي بسيط الى بزرخي بمراتبه ، إلى آخروي كذلك ، والى عذاب الاستئصال في الدنيا اضافة الى الاخرى.

ثم وبعث الرسول يحمل أمرين : بلوغ المرسل إليهم وبلاغ الرسالة ، حيث الرسالة الى غير البالغ قاصرة المفعول ، والرسالة غير البالغة الى البالغين ليست رسالة ، وكما للبلوغ درجات كذلك للرسالة الى البالغين درجات ، والثواب والعقاب يقدران على قدر الدرجات :

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ (٦ : ١٩)

والبلغ يتطلب أمرين : بلوغ المبلغ إليه عقلاً فتكليفاً ، ووصول الرسالة إليه واضحاً وبليغاً ، لذلك فمن الناس من ليس عليه اي تكليف كالمجانين ، ومنهم من يكلفون تكاليف حسية دنيوية كما يعقلون ، كالصغراء العقلاء ، ومنهم من يكلفون كذلك وقساً من الأخروية دون إطلاق كالسفهاء وسائر المستضعفين ، والأخيران عسى الله ان يعفو عنهم إذا لم تكن السفاهة والاستضعفاف بذات أيديهم وتقصير منهم ، حيث التقصير أيا كان يتطلب جزاء على قدره ف **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ يَأْنِسُهُمْ قَالُوا فِيمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَمَّ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَئُهَا جِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُسَاوِيَ وَالْوَلْدَانِ لَا يَسْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا**

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُورًا ﴿٤﴾ (٩٩).

فالرسالة غير البالغة الى المكلفين دون تقصير منهم ، او البالغة الى غير البالغين كالجانين ثم البلة ثم المستضعفين القاصرين ، هذه الرسالة لا تتحم أي عذاب في نطاقها وكما لا تجوزه خلافا لما يروى ^(١).

كما وان البيان الرسالي كلما ازداد إزداد تحتم العقاب وقدره ، كالحاضرين بلاغ الرسالة ، والذين منحوا عقلا او علما زائدا «إنما يداق الله العباد يوم القيمة على قدر عقوتهم» ^(٢) : وعيهم للبلاغ ثم ويعاكسه كلما نقص البيان الرسالي او انتقصه المرسل إليهم قصورا ، كالغائبين البعيدين عن بلاغ الرسالة ، والذين لم يمنحوا عقلا راجحا او علما زائدا ،

(١) في الدر المنشور ٤ : ٦٨ باسناده عن الأسود بن سريع ان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : اربعة يحتاجون يوم القيمة : رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفطرة ، فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما اسمع شيئا واما الأحمق فيقول : رب جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبعر واما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما اعقل شيئا واما الذي مات في الفطرة فيقول : رب ما اتاني لك رسول فياخذ مواطيقهم ليطعنه ويرسل إليهم رسولا ان ادخلوا النار قال : فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا وسلاما ومن لم يدخلها اسحب إليها.

وفيه عن انس قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يؤتى يوم القيمة باربعة بالملوود والمعتوه ومن مات في الفطرة والشيخ الهرم الفاني كلهم يتكلم بمحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعتق من جهنم ابرزي ويقول لهم كنت ابعث عبادي رسلا من أنفسهم واني رسول نفسي إليكم فيقول لهم : ادخلوا هذه ، فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أندخلها ومنها كنا نفر ، قال : واما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الرب قد عانيتموي فعصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار.

(٢) الكافي باب العقل والجهل عن الإمام الصادق (عليه السلام).

فقضية العدل الربابي هو العقاب قدر التخلف وكيانه واثره ، مع ما تقتضيه الرحمة الالهية لانتهاص العذاب او تركه ما لم يخالف العدل ، فالثواب من آثار الفضل والرحمة والعقاب من آثار العدل والرحمة.

والأحاديث المروية عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن المعدورين هنا يكلفون يوم القيمة فيثابون إن أطاعوا ويعذبون إن عصوا ، إنما تحالف الضرورة الإسلامية القائلة : «إن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل» المستفاد من آيات بينات وتواتر الروايات .

ثم لو أعطوا هنا لك عقولاً كافية لم يكونوا ليعصوا الله تعالى وهو رسول نفسه دون حجاب الرسالات الأخرى . وهو يوم تكشف الحقائق وهم يرون مع ما يرون . الجنة والنار ! .

ثم ان «وما كنا»^(١) إنما تنفي عذاب الاستئصال ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ان جواب هكذا عذاب ليس الا في ظرف بعث رسول ، لا أن بعث رسول وعصيائه أيا كان يقتضي هكذا عذاب ، وإنما إذا أمر المترفون ففسقوا ، ف﴿إِذَا أَرْدُنَا أَنْ كُلِّكَ ...﴾ بيان لنطرف عذاب الاستئصال

﴿وَإِذَا أَرْدُنَا أَنْ كُلِّكَ قَرِيئَةً أَمْرُنَا مُتْرِفِيهَا فَقَسَّوْا فِيهَا فَحَقًّا عَلَيْهَا الْقُوْلُ فَدَمْرَنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦).

(١) قد تكون «كنا» هنا منسلخة عن اي زمان؟ وال العذاب واللاعذاب وبعث الرسل زماني! ... او انما منسلخة عن مضيئها فتشمل مثلث الزمان ، فهي إذا تنفي مربع العذاب في مثلث النشآت ، الناتج عن عصيان الرسل؟ وهذا اشمل الاحتمالات وأجملها! ... او انما تعني خصوص الماضي دون نفي للمستقبل ، ان السنة الإلهية مستقرة في اللاعذاب الاستئصال في ماضي الاولى او مستقبلها ، ثم الاخيرة هي القدر المتيقن والمورد للآيتين بعدها ، الا ان بعث الرسل بمجرده والتخلف عنهم أيا كان لا يقتضي عذاب الاستئصال ، اللهم الا ان يعني ظرف الاستئصال انه بلاغ الرسل فصياغهم المتهدّم كما توحّيه آية المترفين.

أسئلة عدة تطرح حول مواضيع من هذه الآية إذ كثرت الأقوال حول الاجابة عنها :

١ - كيف تقدم ارادة الإلحاد على موجبه **﴿فَقَسَّوُا فِيهَا﴾** ووجب الإلحاد ليس إلا قبل إرادته ، فإن كانت متعلقة بعذاب مستحق بغیر هذا الفسق لم تكن لها صلة بهذا الفسق ، وإن كانت به نفسه فكيف تقدمه ، او انما إرادة لإلحاد قرية دون صلة لها بأي فسق؟ ثم كيف يختلف مراد الله عن ارادته . وهي نافذة . بما يقدّمه من تقدير للفسق؟

أقول : إنما إرادة للإلحاد بفسوق القرية عامة ، حيث الآية السالفة بينت مورد استحقاق العذاب انه في ظرف بعث الرسول وعصيائه ، فهنا استحقاق قاطع لعذاب الأخرى ، واستحقاق جائز لعذاب الأولى لا يتطلب إلا ارادة الإلحاد دون إمضاءه فتحقيقه ، وما يوحى بذلك واو العطف في **﴿وَإِذَا أَرْدَنَا﴾** حيث تعطف إرادة العذاب هذه الى بعث الرسول فعصيائه .

وارادة الله منها حتم ومنها دون ذلك ، فحتى لا مرد لها **﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾**

فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ (١٣ : ١١) ودونه فيه مرد وبداء وهي التي لم تكمل بعد معداتها ، ولا مرد في إرادة التكوين حيث هي حتم **﴿إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** (٣٦ : ٨٢)

وقد يكون مرد منه او تصرير حتى يحصل منجزاتها فيما دون هكذا تكوين كإلحاد قرية فاسقة لم تتم منجزات استئصالها كفسوق متوفيتها عمما أمروا به فيها.

فهنا إرادة للإلحاد بعدها تقدير لتحقيقها : **﴿أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا فَقَسَّوُا فِيهَا﴾** فقضاء :

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ﴾ فإمضاء : **﴿فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا﴾** كما وقبلها مشية وعلم ، وقبل هذه المشية ايضا تقدير لها هو عصيان القرية للرسول حيث يتطلب عذابا محظوما في الأخرى وآخر غير محظوم في الأولى .

فقد علم الله ان اهل هذه القرية فسق و من ثم يفسق متوفوها إذا أمروا

فيها ، فشاء أن يهلكهم فأراده ، فقدر ما أراد بما أمر مترفيها ففسقوا فيها ، فقضى ما قدر بما حق عليها القول ، فامضى ما قضى ﴿فَدَمَّنَا هَا تَدْمِيرًا﴾^(١).

وكما سئل الإمام الباقي «عليه السلام» كيف علم الله؟ قال : علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ، فامضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشية ، وبمشيته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء وبقضاءاته كان الإمضاء ، فالعلم متقدم على المشية والمشية ثانية ، والارادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء^(٢).

إن مشيته تعالى هي همه بالشيء وهي ابتداء الفعل ، وإرادته هي إتمامه على المشية والثبتوت عليها ، وتقديره هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ، وكما يروى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)^(٣) فلكل ارادة

(١) فلمشية العذاب وارادته تقدير هو عصيان عامة القرية ، ولتحقق كلمة العذاب. تقدير هو ان يؤمر مترفوها فيفسقوا فيها.

(٢) التوحيد للصدوق رحمه الله.

(٣) محسن البرقي عن أبي الحسن (عليه السلام) ليونس : لا تتكلم بالقدر ، قال : أني لا أتكلم بالقدر ولكن أقول : لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر فقال : ليس هكذا أقول ولكن أقول : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ثم قال : أتدرى ما المشية فقال : لا . فقال : همه بالشيء (ابتداء الفعل) او تدري ما أراد؟ قال : لا قال : إتمامه على المشية (الثبتوت عليه) فقال او تدري ما قدر؟ قال : لا قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ثم قال : إن الله إذا شاء شيئاً اراده وإذا أراد قدره وإذا قدره قضاه وإذا قضاه أمضاه الحديث. ورواه مثله من «ان الله» في محسن البرقي عن أبي عبد الله (عليه السلام).

وفي اصول الكافي ١ : ٤٨ ح ٣ عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن (عليه).

تقدير حتى تنتهي إلى إرادة محتومة فقضاء وإمضاء والقضاء هو حق القول : تختتم الكلمة العذاب ولم تكن قبل هذا التقدير محتومة وإنما جائزة^(١).

ثم الإرادة حتماً ودونه هي صفة فعل حادثة وليس أزلية وكما في حوار الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي قال (عليه السلام) : الا تخبرني عن قول الله عز وجل :

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً ...﴾ يعني بذلك أنه يحدث إرادة؟ قال : نعم . قال : فإذا أحدث إرادة كان قوله : إن الإرادة هي هو او شيء منه باطل ، لأنه لا يكون ان يحدث نفسه ، ولا يتغير عن حاله تعالى الله عن ذلك ! قال سليمان : إنه لم يكن عنى بذلك أنه يحدث إرادة قال (عليه السلام) : فما عنى به؟ قال : عنى فعل الشيء ، قال (عليه السلام) : ويلك كم تردد في هذه المسألة وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشيء محدث ، قال : فليس لها معنى ! قال (عليه السلام) : قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له؟ فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قوله : إن الله عز وجل لم ينزل مريدا ! قال : إنما عنيت أنها فعل من الله تعالى لم ينزل ، قال (عليه السلام) : ألا تعلم أن ما لم ينزل لا يكون مفعولاً وقديناً وحديثاً

. (السلام) أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟ قال فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإن إرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر وهذه الصفات منافية عنه وهي صفات الخلق فارادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له : كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكرا ولا كيف لذلك كما انه لا كيف له.

أقول : يعني (عليه السلام) كما انه لا كيف لذلك لا كيف لفاعليته وان كان مفعوله مكتيفاً بكيف فانه فعله ، فإن إرادته من حيث هي لا كيف له كذااته ولكن مراده مكتيف فافهم .

(١) ان الكلمة العذاب هنا جائزة حين أراد الله إهلاك القرية ولكنها حقت حين فسق متوفوها .

في حالة واحدة؟ فلم يجر جواباً^(١).

٢ - وترى ما هو الأمر هنا؟ وبماذا؟ ولماذا يخص مترفيها؟ : فإن كان هناك شرع عم المترفين وسواهם وإلا فلا أمر شرعاً للمرتفيين؟! الأمر هنا كما في أضرابه تشريعي لا تكويبي كما يهفه من لا يعرف مواضع الكلام^(٢) وهو أمر بالقوى وترك الطفو للمرتفيين **﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾** : خرجو عن الطاعة وخالفوا أمرنا ، فالنص «أمرنا ففسقوا» لا «أمرناهم بالفسق ففسقوا» وفسق الأمر هو عصيانه والتخلص عنه ، و **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ...﴾**^(٣) **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا هَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**^(٤) (٧ : ٢٩) فإنما ذلكم الشيطان **﴿يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**^(٥) (٢ : ١٦٩) وما اقبحه واهرقه فرية على الرحمان بما يأمر به الشيطان^(٦) ! وثم إذا كان أمراً بالفسق . عوزاً بالله . فليكن تطبيقه طاعة تستحق الشواب ، فلما ذا **﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾**^(٧) ؟ إذا فليس إلا فسقاً عن أمر هام يتطلب هكذا تدمير ! .

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٥ في عيون أخبار الرضا في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي بعد كلام طول قال الرضا (عليه السلام) : ...

(٢) في امر التكوير تسبيراً إجبار بالفسق وما أظلمه إذا تعذيب المترفين بفسق اضطربهم الله فيه ، وامره تخبيراً وهو الاذن في حصول الفسق كجزء أخير للعلة الناتمة الحاصل بعد ما قدم المختار كل اختياراته في عملية الفسق ، هذا وإن كان صحيحاً في نفسه ولكنه هنا لا يصح حيث يعم الفساق مترفين وسواهم دون اختصاص بالمترفين.

(٣) وكيف يأمر الله بالفسق ، وثم إذا أطاع في امر الفسق يدمر ، وما ربك بظلم للعبد.

وأما اختصاصه بالمترفين؟ فلان الأوامر تختلف حسب الظروف والقابليات والمتطلبات فردية وجماهيرية ، والمترفون وهم المتوسعون في نعمة حيث يبذلونها نعمة ونقمـة ، في دولة او دولة ، في مال او منـال في أنفس أو أموال أو احوال ، هؤلاء هم البغـاة الطـاغـة في الأغلـبية السـاحـقة ، فالـأوامر المـتجـهة إلـيـهم هي غـيرـ ما يـوجـهـ إلـىـ غـيرـهـم ، إذ لا يـؤـمـرـ بشـيءـ إلـاـ منـ عـنـهـ ذـلـكـ الشـيـءـ وـلـيـسـ لـغـيرـ المـتـرـفـينـ تـرـفـ حتىـ يـؤـمـرـواـ فيـ تـرـفـهـمـ سـلـبـاـ لـطـغـوـيـ التـرـفـ وإـيجـابـاـ لـتـقـواـهـ ، فـفـيـ اـئـمـارـهـمـ اـعـتـمـارـ القـرـىـ وـتـعـمـيرـهـاـ ، وـفـيـ فـسـقـهـمـ اـضـطـرـارـهـاـ وـتـدـمـيرـهـاـ .

فالمترفون هم الذين وسع الله عليهم في نعم امتحانا وامتهانا إذ كذبوا بلقاء الآخرة :

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءَ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢٣ : ٣٣) فلا يترف في نعمة إلا من يتطرف في اللامبالات ثم يزداد عنـوا ونفورـا : **﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** (١١ : ١١٦) كانوا قبل ان يترفوا مجرمين ، مجتدين ثمـاتـ الحياة الىـ الحـيـونـاتـ فاتبعـواـ ماـ أـتـرـفـواـ فـكـانـواـ أـظـلـمـ وـأـطـغـىـ ، فـهـمـ النـاكـرـونـ دـوـمـاـ لـلـرسـالـاتـ : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾** (٣٤ : ٣٤) ... إـلـاـ قـالـ مـتـرـفـوهـاـ إـنـاـ وـجـدـنـاـ آـبـاءـنـاـ عـلـىـ أـمـمـةـ وـإـنـاـ عـلـىـ آـثـارـهـمـ مـفـتـدـونـ ﴿٤٣ : ٤٣﴾ ... حـتـىـ إـذـاـ أـخـذـنـاـ مـتـرـفـيـهـمـ بـالـعـذـابـ إـذـاـ هـمـ يـجـأـرـونـ ﴿٦٤ : ٦٤﴾ فـلـمـاـ أـحـسـنـواـ بـأـسـنـاـ إـذـاـ هـمـ مـنـهـاـ يـرـكـضـونـ.ـ لاـ تـرـكـضـوـاـ وـأـرـجـعـوـاـ إـلـىـ مـاـ أـتـرـفـشـمـ فـيـهـ وـمـسـاـ ﴿كـنـكـمـ لـعـلـكـمـ تـسـئـلـونـ﴾ .ـ قـالـوـاـ يـاـ وـيـلـنـاـ إـنـاـ كـنـاـ طـالـيـنـ فـمـاـ زـالـتـ تـلـكـ دـعـواـهـمـ حـتـىـ جـعـلـنـاهـمـ حـصـيدـاـ خـامـدـيـنـ ﴿٢١ : ٢١﴾ .

٣ - وترى هؤلاء المترفون يستحقون بفسقـهمـ التـدمـيرـ ، فـمـاـ ذـنـبـ سـائـرـ اـهـلـ القرـيـةـ يـشـمـلـهـمـ عـذـابـ التـدمـيرـ ، وهـنـاكـ قـرـىـ يـخـصـ تـدـمـيرـهـاـ بـمـتـرـفـيهـاـ : **﴿... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مـاـ أـتـرـفـواـ فـيـهـ وـكـانـواـ مـجـرـمـيـنـ﴾** (١١ : ١١٦)؟.

إن عذاب التدمير الاستئصال لا يشمل إلا الظالمين ، فإن كانوا مترفين فحق لهم أصليا ، وإن كانوا مستضعفين يفسحون مجالات لفسق المترفين ، متخاذلين أمامهم ، لا يدافعون عن حقوقهم ولا يسكنون على أيديهم ، وبذلك يعم الفسق ، تحللا للقرية الظالمة بمترفيها وسائر من فيها ، وترهلا لها فتأهلا لعذاب شامل ، فليس المسؤول فيها هنا فقط المترفون ، بل والمستضعفون المتخاذلون حيث فسحوا مجالات لهم وتساهموا عمما أترفوا وأفسدوا ... ﴿ذِلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَكُونُ مُغَيِّرًا لِغَمَّةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٨ : ٥٣)

وليس الله ليمنع الجرميين عمما يجرمون والمستضعفون يسمحون لهم ويتسامحون : ﴿وَكُمْ أَهْلُكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتَلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُشْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرْيَ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرْيِ إِلَّا وَأَهْلُهَا طَالِمُونَ﴾ (٢٨ : ٥٩) سواء أكانوا من أصول الظلم الطاغية والأكابر الجرميين ، أم من فروعه المستضعفين ، حيث يتقبلون فيستقبلون الظلم فهم إذا ظلموا أنفسهم وسواهم : ﴿فَأَهْلَكُنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضِيَ مَثَلَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤٣ : ٨) ﴿وَكُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا بَيَانًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ. فَمَا كَانَ دُغْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٧ : ٥) ﴿فَكَيْنُ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ...﴾ (٤٥ : ٢٢) ﴿فَأَهْلَكُنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَانِ آخَرِينَ﴾ (٦ : ٦) ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكُنَا هُمْ بِعِذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَ وَنَخْزِي﴾ (٢٠ : ١٣٤).

والرأس الرئيس في معارك الدمار هو فسق المترفين المبطرين : تكذيبا للرسل :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكُنَا هُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦ : ١٢٩) والإجرام الفاحش المتهدّم : ﴿أَهْلَكُنَا هُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٤٤ : ٣٧) ولا سيما المتمكّنين المسرفين : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنِ مَكَانِهِمْ فِي الْأَرْضِ ...﴾ (٦ : ٦) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَا هُمْ الْوَعْدَ فَأَجْنِيَنَا هُمْ

وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكُنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٢١﴾ (٩ : ٢١).

إذا فعذاب الاستئصال إنما يخص المترفين المبطرين إذا لم يسايرهم المستضعفون حيث يتشاركون أصلاً وهامشاً في التخلف عن مواضيع من أوامر الرسالات الإلهية ، ما تنهدم به بنيات المجتمع وتتفصم به عراه ، فتدمر به قراه.

هذه سنة الله الدائمة السارية لسائر القرى أنها هالكة بما تحلك نفسها بالسبعة أبواب الجحيم التي يفتحها المترفون : استكباراً واستعماراً واستثماراً واستحماراً واستبداداً واستخفاضاً واستضعافاً! ثم المستضعفون المترذلون يدخلون هذه الأبواب تناذلاً وتكتاسلاً فيحنون ظهورهم لهم ليحتنكون فيركبواهم وإلى جهنم وبئس المصير.

هكذا نتمشى في تفسير هذه الآية الغرة واضرابها كما تعنيها ، دونما تحويل عليها ما لا تتحملها من احتمالات : معنوياً أو قراءة تختلف عن هذه المتواترة في كتب القرآن ، لأن يبدل أمرها بتأميرها «أمرنا»^(١) فراراً عن أمره تعالى . في زعمهم . بالفسق إلى تأميره الفساق ، كـ ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوْنَا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُوْنَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ﴾ (٦ : ١٢٣).

ام ان ﴿أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا﴾ هي صفة القرية وصلتها ، لا جواباً لـ ﴿إِذَا

(١) كما في نور الثقلين ٣ : ١٤٥ . العياشي عن حمran عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية : أمرنا مترفيها مشددة منصوبة تفسيرها كثروا وقال : لاقرأها مخففة وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) قال : تفسيرها أمرنا أكابرها ، وفيه عن الجماعة أمرنا بالمد عن علي (عليه السلام) .

أقول : في تعارض الروايتين تساقطهما ، وفي إرجاعهما إلى كتاب الله تصديق للثانية ثم وتکذیب للثالثة ، اضافة إلى ان التأمیر جعل للأمیر وليس التکذیب !

أَرْدَنَا كـما مضى ، فتبقى «إذا» إذن بلا جواب حاضر ، لأنـه ظاهر بنفس الكلام :
فَدَمَّنَاهَا تَدْمِيرًا ^(١).

او ان «أمرنا» تكوبـي بـحيث لا يـنافي الاختـيار ، إذـنا وإـرادـة من الله في فـسـقـ المـتـرفـينـ كـحـزـءـ أـخـيـرـ لـلـعـلـةـ التـامـةـ بـعـدـ توـفـرـ الإـخـتـيـارـ لـمـعـدـاتـ الـفـسـقـ المـخـتـارـ ^(٢).
ـ وـهـذـهـ كـلـهـاـ مـنـ غـثـهـاـ وـسـمـيـنـهـاـ فـيـ نـفـسـهـاـ لـيـسـ الـآـيـةـ لـتـعـنـيـهـاـ ،ـ فـالـقـرـآنـ حـمـالـ ذـوـ وـجـوهـ فـاحـمـلـوـهـاـ إـلـىـ اـحـسـنـ الـوـجـوهـ ،ـ وـأـحـسـنـهـاـ مـاـ يـحـمـلـهـاـ دـوـنـ تـحـمـيلـ كـمـاـ أـحـسـنـاهـ ثـمـ الثـالـثـ ثـمـ الـرـابـعـ ،ـ دـوـنـ الـأـمـرـ الـتـكـوـيـنـ الـذـيـ يـسـيـرـ الـمـتـرـفـينـ إـلـىـ الـفـسـقـ دـوـنـ اـخـتـيـارـ ،ـ وـلـكـنـ الـأـوـلـ هـوـ الـأـوـلـ فـانـهـ اـحـسـنـ الـوـجـوهـ لـفـظـيـاـ وـمـعـنـوـيـاـ.

وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُفِيَ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ^(١٧).
ـ الـقـرـنـ زـمـنـياـ أـجـزـاءـ مـنـ الـزـمـانـ مـقـتـرـنةـ بـعـضـ اـعـتـبارـاـ كـمـائـةـ سـنـةـ ،ـ وـحـقـيقـةـ كـسـائـرـ الـزـمـنـ يومـ الـدـنـيـاـ ثـمـ الـبـرـزـخـ ثـمـ الـاـخـرـةـ ،ـ وـمـنـ حـيـثـ الـأـنـفـسـ :ـ الـقـوـمـ الـمـقـتـنـوـنـ فـيـ زـمـنـ وـاحـدـ ،ـ وـعـلـ وـحدـةـ الـرـمـنـ هـنـاـ تـعـنـيـ الـوـحـدـةـ الـنـوـعـيـةـ ،ـ وـقـرـنـ زـمـنـيـ هـوـ الـأـكـثـرـ لـبـقـاءـ نـسـلـ يـخـلـفـهـ آـخـرـونـ.
ـ وـهـنـاـ قـرـوـنـ هـالـكـةـ بـمـاـ أـهـلـكـتـ حـيـوـيـهـاـ ،ـ وـفـسـحـتـ مـجـالـاتـ الـمـتـرـفـينـ الـمـتـهـلـلـينـ فـيـهـاـ ،ـ هـلـكـةـ عـنـ هـلـكـةـ طـبـقاـ عـنـ طـبـقـ **وَلَا يُظْلَمُونَ نَعِيرًا** ^(٢) !ـ سـنـةـ مـضـتـ فـيـ الـأـوـلـيـنـ مـنـ بـعـدـ نـوـحـ قـرـوـنـاـ تـتـرـىـ ،ـ فـيـ ذـنـوبـ وـتـعـبـاتـ لـتـخـلـفـاـتـهـمـ الـتـيـ

(١) والمعنى إذا : إذا أردنا ان نـخلـكـ قـرـيـةـ مـنـ صـفـتهاـ وـحـالـتـهاـ اـنـاـ اـمـرـنـاـ مـتـرـفـيـهـاـ فـفـسـقـواـ فـيـهـاـ .ـ فـدـمـرـنـاـهـاـ تـدـمـيرـاـ ،ـ وـالـجـوـابـ المـدـلـولـ عـلـيـهـ هـذـهـ دـوـنـ «فـاءـ» :ـ دـمـرـنـاـهـاـ تـدـمـيرـاـ.

(٢) حيثـ الـأـمـرـ ظـاهـرـ فـيـ التـشـريـعـيـ وـهـكـذـاـ تـكـوـبـيـ وـانـ كـانـ فـيـ نـفـسـهـ صـحـيـحاـ وـلـكـنـ يـعـمـ عـمـومـ الـأـفـعـالـ خـيراـ وـشـرـاـ دـوـنـ خـصـوصـ الـأـشـارـ الـمـتـرـفـينـ.

لا تتحملها الحياة الإنسانية فيجب القضاء عليها بقسطاس العدل يوم الدنيا قبل الآخرى ، ولكي تصلح الحياة في تداومها ، وتسمح للأحياء أن يمشوا سويا على صراط مستقيم . وترى لماذا ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ ؟ وقد هلكت البشرية الحاطئة النكدة ز منه ! أو تحملك قرى قبله لكي تختص الملوكات من بعده ؟

﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ حيث تعني من بعد قرن نوح ، توحى ان قرنه هو أول القرون هلاكا ، كما هو أهمها وأعمها للهلاك ملائكة : ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ... فَأَخَذَنَّهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (٤٢) ما تَسْقِيْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلًا تَنْزَلُ كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَبُوهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَآخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٣ : ٤٥) : آيات تترى في عرض قرون هالكة من قرن نوح الى موسى ، تطوي هلكاتها بطياتها طبا ، ثم لا نجد في القرآن آية تتحدث عن قرن هالك منذ آدم حتى نوح ، وعله لأن البعثات الأصلية الرسالية آخذة منذ نوح ، فلم تكن قوة في بعثة قبله حيث ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾ (٢ : ٢١٣) فكانت البشرية في الفترة السابقة ، على سذاجة الفطرة المتأيدة بعقلية الوحي من غير اولى العزم من الرسل كآدم ومن قبل نوح من المرسلين فلم تستحق إذا ما استحقته القرون منذ نوح ، إذ لم تفعل . ولم تكن لتفعل . فعلتهم ، ولم تكن حجتهم كحجتهم .

إن القرون الهالكة من بعد نوح مستعرضة في القرآن بتفاصيلها الأصلية كعاد وثمود وتابع وأصحاب الأيكة وقوم فرعون وأصحاب الرس وقرون بين

ذلك كثير ، وقد تستحق الملائكة قرون بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا عصوا هكذا ولم يستغفروا ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْلَمُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّلَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣ : ٨).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ تُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْخُورًا﴾ (١٨).

العاجلة هنا هي الحياة العاجلة الدنيا وزينتها بمحبوباتها وشهواتها : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ...﴾ (١١ : ١٨) وتقابليها الآجلة الأخرى ، و ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ هو المتداوم في هذه الإرادة البئسية التعيسة حيث يحب العاجلة فيرفض كرها الآجلة : ﴿إِنَّ هُؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تَقِيلًا﴾ (٢٦ : ٧٦) ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١ : ٧٥).

- ١ . فحب العاجلة حيث يتم في القلب فيطمه دون إبقاء لحب الآجلة ، هذا الحب الماحد يختلف إرادة حاصرة للعاجلة ، فلا محاولة إلا لها ، ولا تفكير ولا سعي إلا إليها ، كأن لا حياة إلا فيه ، فله في الآجلة نار حامية : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْخُورًا﴾ !
- ٢ . وهناك مريدون للعاجلة كذرية للأجلة ، وهذه إرادة للأجلة لا العاجلة.
- ٣ . ثم ومريدون للأجلة تاركين للعاجلة حتى كذرية ، والدنيا مزرعة الآخرة ! وكلما توفرت الزراعة خلفت وفرا للنتيجة ، فهذه . إذا . إرادة ناقصة جاهلة للأجلة.
- ٤ . ورابعة لا للعاجلة فقط ولا للأجلة ، مذبذبين بين ذلك في مثلث : من . ٤ . عوان بينهما ، او ترجيح لإحداهما على الأخرى (٥ . ٦).

فرق ست بين العاجلة والآجلة لا سابع لها خلوا عن آية إرادة ، حيث المريد لا يخلو عن آية إرادة ، اللهم إلا ميتا لا حياة له! ومريد عمل الآخرة للدنيا ليس إلا مريد الدنيا^(١).

وآية العاجلة المهددة بصلبي جهنم إنما تعني الأولين حيث يختصون همهم بالحياة العاجلة ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣٠ : ٧) ﴿فَأَغْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (٥٣ : ٣٢) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا التَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١ : ١٨) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُرْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٤٢ : ٢٠).

وترى إن مريد العاجلة يؤتها كما يريد وكيفما يريد ، إن بعمل او دون عمل؟ إذا لفسدت الأرض حيث الارادة الخاطئة هذه لا حد لها ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾؟ كلا! وإنما ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ لا ما يشاء ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ لا من يريد ... و ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ لا «إرادتكم فيها» و ﴿نُرْتِهِ مِنْهَا﴾ لا «نرتها إياها»!

(١) فمن يريد عمل الآخرة للدنيا فهو لا يريد . في الحق . الآخرة وإنما صورة الآخرة في سيرة الدنيا للدنيا ، إذا فهو من كان يريد العاجلة وأصل سبيلا من لا يتظاهر بالآخرة.

وفي نور الثقلين ٣ : ١٤٥ ح ١١٤ مجمع البيان وروى ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قال : معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لا يريد وجه الله والدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك ان الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعقبه الله عليه .

فما كل من يريد العاجلة يؤتاهها ، فقد يريدها ولا يؤتاهما خسراً لالأولى والأخرى
﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٢٢ : ١١).

وما كل من يؤتى يؤتى ما يشاء وإنما «ما نشاء» حسب المساعي لها والمصالح النوعية فيما يؤتاهما : **﴿نُؤْتِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ﴾**.

وترى إن بين آية البخس وآية العاجلة تناقضتا فيمن لا يشاء الله أن يعدل له ما يريد؟ حيث الأولى توفي لمزيد الدنيا أعمالهم فيها دون بخس وآية العاجلة لا تعجل ما يريده منها إلا من يشاء الله كما يشاء؟

أقول كلاماً حيث التوفيق في آية البخس للأعمال فقط لا كل ما يريده أهل الدنيا منها وإن دون عمل ، وآية العاجلة تعجل ما يشاء الله لمن يريد : ولا يشاء هذا التعجيل إلا للمساعي لها قدر سعيه ، ثم لا يتعجل لكل ساع لله إلا من يريد ، فمن الساعين من يحرمه الله بعض سعيه أو كله لأن سعيه إلى الفساد حيث لا يحتمله المجتمع ، وعدم بخسهم أعمالهم فيها محدد شيئاً ما بما إذا لم تكن في توفيق عمل ما بخس على الآخرين ، فآية البخس تحديد التوفيق بما يسعى ، وآية العاجلة تعجل قدر السعي كما يقتضيه العدل ، إذا فها متباون.

فطالب الدنيا يؤتاهما بسعيه وقد ينقص او يزيد عدلاً وحكمة ، دون فرق بين ناكر الله ومصدقه : **﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَلَاقٍ. وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ هُمْ نَصِيبُهُمْ كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** (٢ : ١٩٩).

فالطالب حسنة الدنيا طالب للآخرة ، وطالب الدنيا ومريدها للدنيا ما له في الآخرة من خلاق ، كما وان طالب الدنيا بعمل الآخرة ماله من خلاق.

﴿مَنْ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾

هنا لك في النار من يصلها خالدين فيها ابدا وهناك من يصطلي بها دون أبد ، وسوف يفني من يصلها بفناء النار فلا تبقى إذا لا نار ولا أهل نار ، ومن يصطلي بها خلودا دون أبد يخرج عنها بعد ما ذاق وبالأمره جزاء وفaca.

فصلي النار إنما هو إيقادها من هم حصب جهنم ووقود النار ^(١) ، لا كل داخل فيها خلودا مؤبدا أم ماذا؟

ومصلى النار قد يكون ألد الكفار كما هنا ، وقد يكون **﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾** (٦٦ : ٦) يصلون النار بخطبها ووقودها الكفار ، فالأول يصلها مذموما مدحورا ، والثاني يصلها مدمدا محبورا!

لا نجد في سائر القرآن من يصلى النار إلا ألد الكفار : **﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشَقَى. الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَأَّلَ﴾** (٩٢ : ١٥) **﴿وَيَتَجَبَّهَا أَلَّا شَقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾** (٨٨ : ٢٢) **﴿سَيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾** (١١١ : ٣) اجل إنهم صلي الجحيم وحصبتها : **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ ...﴾** (٢١ : ٩١) وخطبها : **﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَاطِبًا﴾** (٧٢ : ١٥) ووقودها : **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾** (٣ : ١٠).

(١) لسان العرب الصلاء والصلى اسم للوقود تقول : صلي النار ، واصطلي بالنار استدفأ.

هؤلاء هم أسس النار ثم سائر أهل النار يصطلون بصلاتهم وبئس المصير كما أراد موسى أن يصطلني أهله بقبس مما ظنه نارا ونعم المصير : ﴿أَوْ آتِيْكُمْ بِشَهَابٍ فَبَسِّ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿الْعَلَىٰ آتِيْكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢٨) . (٢٩)

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩).
ترى ما هو الفارق بين ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ . ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ ولماذا تقيد إرادة الآخرة ب ﴿سَعْيَ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ دون ارادة العاجلة؟.
إن ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ توحى باستمرار كينونة الإرادة ، وهؤلاء هم صالوا النار مدحورين ، وأما «من أراد العاجلة» فقد ينجو بما يتوب قبل الموت ، او إذا لم يتتب فإرادة العاجلة دونها استمرار تجمع إرادة الآجلة ﴿وَآخْرُونَ اغْتَرُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخْرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ...﴾ (٩ : ١٠٢).

واما ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ فهي وإن كانت لا توحى باستمرار هنا ، إلا ان ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تصریحاتان بهذا الاستمرار ، وكما توحى له ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حِرْثَ الْآخِرَةِ نَرِدْ لَهُ فِي حِرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حِرْثَ الدُّنْيَا نُرْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٤٢) . (٢٠)

وقد تعني ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ...﴾ شمولها لمن أرادها آخر حياته أن يريدها ويسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فهو ايضا مشكور سعيه قدر سعيه وإيمانه . فالسعي المشكور في الأخرى تبنيه إرادة الآخرة في الأولى وأن يسعى

لها سعيها وهو مؤمن ، فمن أرادها دون أن يسعى لها سعيها وإن كان مؤمنا ، أو أرادها ساعيا هكذا دون إيمان ، أم أيًا كان دون هذه الدعائم الثلاث ، لم يكن سعيه مشكورا إذا كان له سعي دون شروط ، فكيف إذا لم يكن له سعي .

وقد يجمع هذه الثلاث قول الصادق (عليه السلام) «لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بالنية ولا عمل ولا قول إلا باصابة السنة» ^(١) .

ثم الشاكر لهذا السعي المشكور هو الله تعالى شأنه العزيز ، ولا يعني شكره لساعي الآخرة جزاء عما قدم لصالح الربوبية : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ عَنِّيْ كَرِيمٌ ﴾ (٢٧ : ٤٠) وَأَنَّمَا نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْزِيَ مَنْ شَكَرَ ﴿ ٥٤ : ٣٥ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَرَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ (٢٢ : ٧٦) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا ﴾ (٤ : ٤٧) ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أَجْوَاهُمْ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٥ : ٣٥) يعاملهم معاملة المستأجر الشكور ولا يرجع الشاكر بشكره إلى صالحه .

فقد يريد مرید الآخرة دون ایمان صالح ، أن يسعى لها سعيها في تقديره المتختلف عن تقدير الایمان ، او هو مؤمن صالح في عقيدة الایمان ولكنه لا يسعى للآخرة سعيها صالح لها حيث يتختلف عمل عن ایمان ، او أنه مؤمن يسعى لها سعيها كقالب يخاطئ ارادة الآخرة حيث يريد الدنيا كلها او بعضا بسعي الایمان ، او إنه يخاطئ او يتعمد ترك او تكميل قاعدة واحدة او ماذا من هذه الثلاث ، فأولئك لم يكن سعيهم مشكورا ، وإن كانوا . أحيانا . لا يحرمون عن شكور على غرار ما سعوا وما كان عطاء ربك محظوظا .

(١) اصول الكافي باب العلم.

ف ﴿مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ إرادة خالصة صادقة فعليه أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن ، حيث الإرادة دون سعي ، أو سعي لا يناسبها ، إنما ليست إرادة ، فاما هو تمّ دون أسباب صالحة تتحققه ، فالإرادة الصادقة تحمل من يحملها على أداء تكاليفها والنهوض ببعاتها وإقامة سعيها كما تطلبها ، دون ان تحرمه من لذائذ الدنيا اللهم إلا من هزاهزها ، فاما تمده إرادته الصادقة للأخرة الى آفاق أعلى وأغوار من يم الكون تتم وتطم في استخلاصه عن هزاهز الدنيا وكما عن الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : «جزناها وهي خامدة»! . «ومن أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدنيا»^(١).

﴿كُلًاً غُدُّ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠).

«غمد» من الإمداد وأغلبه في المحبوب : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٢) : (٢٢) والمد في المكرود : ﴿وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٣ : ١٥) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُدُوهُمْ فِي الغَيْرِ مُّمَّا لَا يُفْصِرُونَ﴾ (٧ : ١٠٢) فقد تكون «غمد» هنا جمعا بينهما بتغليب الإمداد ، او انه الإمداد فقط مع اختلاف المحبوب ، فحب الدنيا ظرف للمد واقعيا وللإمداد كما يريدها أهلوها ، وحب الآخرة ظرف للإمداد واقعيا وكما يريدها أهلوها.

«كلا» من مرید العاجلة والأجلة «غمد» : نعنيه ونزید له كما يريد وي عمل لعاجلة ام آجلة زيادة على ما ي عمل ويأمل سواء «هؤلاء» المریدين للعاجلة ام «هؤلاء» المریدين المؤمنين الساعين للأجلة ، وهذا الإمداد ليس استحقاقا مطلوبا لأهله ، وإنما ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّك﴾ فنعمـة الدنيا هي عطيـته كما نعمـات الآخرة هي عطيـته وain عطيـة من عطيـة!

(١) نور الثقلين ٣ : ١٤٦ ح ١١٥ .

ولماذا يمد أهل العاجلة؟ لأنه ﴿نَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ومريد العاجلة يؤتاهما وافية كما يسعها ، وليس الله بمانع يحظر اهل الشر تكوينها عما يريدونه من الشر ، كما لا يخطر . وباحرى . اهل الخير فهذه سنته الدائمة : ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾!

عطاء هي محظوظة أيا كان ، ولكنها الجزاء هي في العصيان عدل جزاء الوفاق ، إذا فالعذاب محدود بحدود العصيان ، وهي في الطاعة لا مقطوعة ولا منوعة عطاء غير مجنوذ ، إذا فالثواب غير محدود قدرًا و زمنًا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

ليس ان الله يمنع أهل الآخرة من عطاء الدنيا أن يخصها أهل الدنيا ، وإنما يعطي هؤلاء وهؤلاء وإن اختلفا في ابتغائها لعاجلة فالى نار ، أم لآجلة فالى جنة ، ولكنه لا يعطي أهل الآخرة في الأكثر كثيراً من نعم الدنيا كيلا ينغمسموا فيها غافلين .

﴿اَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١).

فضلنا مريدي الآخرة على مريدي الدنيا ، دون فوضى ، وإنما كلا حسب ما أراد وسعى ، فطالب الفضيلة فضلناه على طالب الرذيلة ، ومهما كانت للدنيا درجات الشهوات والحيوانات ف ﴿اللَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ بل ليست درجات الدنيا بمنتب الأخرى إلا دركات تختلف في الأخرى دركات : ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَشْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّي لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَشَكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (٢٠ : ١٢٦)

مشكلة الخلود : ^(١)

إن الخلود أو الأبدى منه من يصلى النار الكبرى قد يفسر بالبقاء الالهائى الحقيقى في النار ، فترت عليه مشاكل عقلية ومن حيث العدالة الإلهية ، وانه يسبق رحمته غضبه أى ماذا.

فالمشكلة العقلية هي أن ماله بداية لا بد له من نهاية ، والخلود أيا كان هو امتداد تركيبي من أجزاء الزمان ، وكما الأجزاء هذه محدودة فالخلود المركب من المحدود لا محالة محدود ، ثم وإذا لم تكن لهذا الخلود نهاية فتلن الزيادة او النقصان من بدايته لا تزيد ولا تنقص من الخلود لأنه لا محدود ، واللامحدود لا يقبل لا زيادة ولا نقصان ، فلا خلود . إذا . لا نهائيا ، لا في الجنة ولا في النار !

والجواب الحاسم لهذه المشكلة هو أن الذي لا يقبل زيادة ولا نقصان هو اللامحدود المطلق وليس إلا الله تعالى شأنه ، فلا أول له ولا آخر حتى يحد بأول او آخر ، ولا يقبل كيانه لا زيادة الزمان ولا نقاصته لأنه خارج عن محور الزمان.

واللامحدودية المطلقة هي لزام الأزلية التي لزامها الأبدية حيث الأزلية ليست إلا ذاتية فإذا فهي تلازم الأبدية الذاتية ، وأما الأبدية فهي بين ذاتية هي استمرار ذاتي للأزلية وغيرية هي استمرار بإرادة الأزلي.

هنا محدودية مطلقة كالاعمار في الدنيا والبرزخ فان لها بداية ونهاية ، وهنا لك لا محدودية مطلقة كما هو لله تعالى شأنه لا سواه وبينهما لا محدودية نهائية في حد بدائي ، أم بدائية في حد نهائي . في امتداد فعلى حاصل ، او

(١) لقد فصلنا البحث عن الخلود في هذا التفسير ج ٣٠ ص ٤١ . ١٥ . ٣٢٢ .

امتداد شانی تحصل أجزاءه تلو بعض.

والمستحيل من هذه الأربع ثلاث : هي الامتداد الفعلى الحالى بدأية او نهاية للمشكلة الماضية ، وكذلك في الامتداد الشأنى بدأية ، دون الشأنى نهاية ، والخلود اللانهائي في الجنة او النار شأني يتدرج دون نهاية ، فهو محدود بدأية ولا محدود نهاية ، فالبداءة بفعل الله ، واللانهائي ايضا بفعل الله ، وليس هنا ما يمنع عقليا هذه اللانهائيه لا فاعلا ولا قابلا ، فالله تعالى هو المعطي عطاوه غير مجنوذ ولا راد لفضله ، ولا نهاية لعطائه ، والأزمنة الآتية الى غير النهاية هي كالسالفة كلها بإرادة الله ، ولا مانع في هذا البين من هذه العطاء غير المجنوذ لا فاعلا ولا قابلا .

إنه لا مشكلة عقلياً في مثل هذه الالاهية ولكنها مستحيلة في العذاب بميزان العدل والنقل القرآني ومن ثم بمقتضى الرحمة الإلهية.

إن الجزاء الوفاق لا تتوافق اللامنافية في العذاب لعصيان محدود في زمن محدود من عاص
محدود وفي أثر محدود ، ولبث الأحقيات حيث اعتبر الجزاء الوفاق للطاغين برهان لا مرد له
على حد العذاب ، وكما الآيات في أن الجزاء هي العمل ^(١) أو بالعمل ^(٢) تحدد العذاب
بقدر العمل ، لا أكثر من العمل وإن كانت آيات الشواب تربى الجزاء على العمل تتخطاه إلى
نية الخير أيضا.

وقد تزعم دلالة الآيات التالية على الالهامية الحقيقة في العذاب : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيِي﴾ (٨٧ : ١٣)؟ ولكنها لا تنفي موت الخالدين إلا في النار وهنا لك موت مع النار أو بعد النار لا ينفيان. والآية تدل على

(١) «إِنَّمَا يُبَغْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥٢ : ١٦).

(٢) «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» (٤ : ١٢٣).

المساوات بين حياة النار والآبدين في النار ! فكما أنها تلائم الابدية اللانهائية كذلك تلائم المحدودة ان تفني النار بمن في النار مع النار ، لا سابقا عليها حتى تنافي ﴿لَا يَمْوُتُ فِيهَا﴾.

٢ . وكذلك ﴿لَا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (٣٥ : ٣٦)

ف «لا يقضى» إنما تنفي الموت في النار الا يعذبو بأن يموتونا مع بقاء النار ! «ولا يخفف» تنفي تحفيف العذاب ما داموا ودامت النار ، ولا تنفي موتهم مع خmod النار.

٣ . كذلك ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (٤ : ١٢١) اي : محيدا ومفررا ، ولا فرار عن

النار إلا مع بقاءها ، وأما ان يموتون أهل النار مع خmod النار فليس محيسا عن النار ، وإنما هو مع بقاءهم وبقاء النار ونجاتهم حينذاك عن النار.

٤ . كذلك ﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍ أَعْيَدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ﴾

(٢٢ : ٢٢) والخروج عن النار حيث يعني بقاءه خارج النار مع بقاء النار ، انه غير الموت مع خmod النار.

٥ . كذلك ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ

... وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيُقْضِي عَلَيْنَا رِئَكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ﴾ (٤٣ : ٧٧) حيث الإblas هو الحزن المعترض من شدة البأس إذ لا يفتر عنهم العذاب والمكث هو المقام قدر الاستحقاق ، وتفتر العذاب منفي ما دام العذاب دون دلالة على الاستمرارية اللانهائية للعذاب.

٦ . وكذلك : ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٢ : ١٦٧) إذ لا ينافيه موتهم في النار

مع خmod النار ، فلا هم خارجون إذا عن النار ولا أحيا بعد خmod النار.

ثم هنالك احتمالان : ١ - فناء من في النار مع النار فلا نار إذا ولا أهل نار . ٢ - فناء النار وبقاء من فيها دون رحمة ولا عذاب وان في فترة قصيرة ، وإذا تصرح آيات أنه لا يفتر عنهم العذاب فبآخرى لا ينفي عنهم سواء مع بقاء النار أم فناءها ، فلا نحتمل إذا إلا فناء النار بمن فيها على سواء ، يثبته لزوم انتهاء العذاب وعدم خروجهم عن النار ألا عذابها عنهم.

٧ . وكذلك : ﴿ كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا لَيُذْوَقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٤ : ٥٦) ف « كلما ، لا تدل على استمرارية العذاب اللانهائية ، وإنما التبدل هو ما دام النضج ، وأما حتى متى يدوم النضج فلا دلالة فيها على أمنه من أبدية حقيقة اما هيء .

٨ . وكذلك : ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذْرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ (٧٤ : ٢٨) فإنما ما تبقى ويبقى فيها من يصلى . طبعا . لا تبقى من يصلها حيا مرتاحا حيث تظلم عليه حياته ولا تدرك ، فلا يموت فيها ولا يحيى .

٩ . وكذلك ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً فُلَّ أَخْدُمُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَثُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢ : ٨٠) حيث الأيام المعدودة المكذوبة هنا ليست هي مطلق المحدودة ، وإنما القليلة التي يعودونها شهرا أو سنة او مادا ، فليست أيام عذابهم معدودة كما يزعمون وإنما هم مع أحرازهم فيها خالدون : ﴿ بِلِي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢ : ٨١) ثم وعدم مسيس النار إلا أيام معدودة يوحى ببقاء النار . في زعمهم . وهي لا تمسهم بعد أيام معدودة بأن يخرجوا عنها ، أو لا يعودوا بعد وان ظلوا هم فيها .

١٠ . وكذلك ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ... ﴾ (١١ : ١٦) حيث الحصر ليس حقيقيا ينفي عنهم كل شيء حتى الموت ،

انه نسيبي بين الجنة والنار فليس لهم في الآخرة الا النار ، فلا ينافيه فناءهم بفناء النار.

١١ . وكذلك ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلُّمَا حَبَّتْ زُدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧ : ١٧) فإن خباء النار

ليس خمودها وإنما هي سكون لها بغضاء الرماد وغشاءه ، وأما أنها لا تحمد مع موت من فيها فلا إشارة لها.

١٢ . وكذلك ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥ : ٢٥) يعني لزاما ولا يعني غرام العذاب

إلا عدم انفكاكه عن أهل النار ، دون دلالة على الابدية اللالهائية. وإنما عدم انفكاكه عنهم وهم أحياها فيها أم خارجون عنها.

هذه تمام الآيات التي قد يظن دلالتها على الابدية اللالهائية في النار ولا دلالة فيها ولا اشارة ، ثم ادلة العقل والعدل والآيات في تسوية العقاب والعصيان وآية الاحقاب ام ماذا؟ كل ذلك تحدد أمد العذاب وتفسر ابد العذاب ، ثم ولا يصفعى الى أحاديث مختلفة هنا تخالف هذه البراهين (١).

(١) البحار ٨ : ٣٤٦ في الصادقي انه بلغنا انه يأتي على جهنم حين يصطفق أبوابها فقال لا والله انه الخلود ،

قلت : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ، فقال : هذه في الذين يخرجون من النار

وفي العلل (١٧٧) عنه (عليه السلام) سئل عن الخلود في الجنة والنار فقال : إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدو فيها ان يعصوا الله ابدا ما بقوا فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى : قل كل يعمل على شاكته قال على نيته. وروى فضاله عن عمر بن ابان قال سمعت عبدا صالحا يقول في الجهنميين انهم يدخلون النار بذنوبهم ويخرجون بعفو الله.

وفي التوحيد للصدوق عن الصادق (عليه السلام) عن آباءه عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : جاء يهودي الى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وسئل عنه يا محمد! ان كان ربكم لا يظلم فكيف يخلد في النار ابدا الآبدية من لم يعصه الا أياما معدودة؟ قال : يخلده على نيته فمن علم ان نيته إنه لو بقي في الدنيا الى انقضاءها كان يعصي الله عز .

ولو ان الخلود يعني البقاء دون زوال ، فلان آيات الخلود انا تدل على الخلود في النار
لا خلود النار ، فلا دلالة فيها الا على الخلود فيها ما دامت

. وجل خلده في ناره على نيته ونيته في ذلك شر من عمله الى ان قال : والله عز وجل يقول : قُلْ كُلُّ
يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدِي سَبِيلًا (التوحيد باب الأطفال ص ٣٩١).
أقول : ان النية التي تتبع العقيدة او العمل فالجزاء باعتبارهما لا النية واما النية الحالية عن العمل ففي
خيرها ثواب وليس في شرها عقاب.

هنا نية وعقيدة وعمل ، والعمل مرتبط بالعقيدة والنية ، واما النية بلا عمل فلا عقاب عليها وان كان
فيها ثواب ولا نجد في القرآن سببا للثواب او العقاب الا اليمان والعمل الصالح والكفر والعمل غير الصالح ، ومحال
النية انا هو العمل لا غير.

وفي ج ٢ علم اليقين للفيض الكاشاني ص ١٠٨٢ عن البخاري تفسير سورة مرمر ج ٦ ص ١١٨
والمسند ج ٣ ص ٩ عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبِشَ أَمْلَحَ فَيُنَادَى فِيهِ
يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرَفُونَ الْمَوْتَ فَيُنَظِّرُوهُ فَيُعْرَفُونَهُ فَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ : تَعْرَفُونَ الْمَوْتَ فَيُنَظِّرُوهُ وَيُعْرَفُونَهُ فَيُذَيْحَ بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَمْ
يَوْمَ الْحُسْنَةِ إِذْ فُطِنَى الْأَمْفَأَ﴾ ، وعن الباقر (عليه السلام) ما يقرب منه (البحار ج ٨ باب ذكر الموت).
قال الفيض : لا خلاف بين اهل العلم ان الكفار مخلدون في النار الى ما لا نهاية له كما هو ظاهر
الكتاب والسنة.

وفيه ما رواه العامة عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال : سَيَأْتِي عَلَى جَهَنَّمْ زَمَانٍ يَنْبَتُ فِي قُرْبِهَا
الْجَرْجِيرُ وَفِي الْمَحَاسِنِ (٥١٨) نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْجَرْجِيرِ فَقَالَ : كَأَنِّي انْظَرَ إِلَيْهِ فِي
النَّارِ .

وفي التوحيد (٤٠٦) عن الصادق (عليه السلام) من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن أوعده
على عمل عقابا فهو فيه بالخيار.

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة فجعل في
الأرض منها رحمة بما تعطف الوالدة على ولدتها والبهائم بعضها على بعض والطير وأخر تسعة وتسعين الى يوم
القيمة فإذا كان يوم القيمة أكملها بهذه الرحمة مائة (ابن ماجة كتاب الزهد الباب ٣٥ ج ٢ ص ١٤٣٥).

موجودة فلا تنافي فنائهم بفناء النار ! .

وقد يقال إن العصيان من حيث المعصي اللامحدود في العظمة والكمال لا حد له

فجزاءه الوفاق ايضا لا حد له !

ولكنما العصيان له وجهات ثلاث : من حيث العاصي ، ظرفا ومحضا عائقا ودافعا أم ماذا ومن حيث نفسه أثرا سيئا ، ومن حيث المعصي ، والمقياس في العقوبة إنما هو موقف العاصي بأثر عصيانه ، فإنه قضية العدل أن يعدل العصيان بالعصي المتناهي لا المعصي غير المتناهي ، فان رعاية الضعيف فيما له مقاييس اولى من رعاية القوي ، على ان درجة المعصي ليست باختيار العاصي ولا انه يلاحظ ويواجه هذه الدرجة لكي تزيد في عقابه . ثم لو كان المقياس هو المعصي لا صحت جميع المعاصي كبيرة دون أية صغيرة ، ولبطلت الحدود والديات والتعزيزات المقررة لحدود الجنایات ومواقف الجنات ، وأصبح كافة العصاة مخلدين في النار أبدا على سواء .

ثم إذا شككنا في المقياس فلا لنا أن نأخذ بالأشد عقوبة والقرآن يحدد العقوبات على قدر السيات : ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (٤٢ : ٤٠) مماثلة بين نفس السيئة وجزاءها ، لا بين المعصي فيها وجزاءها ، وهذه المماثلة مستحبة فان الله تعالى سرمدي وسرمدية العذاب مستحبة وإن أمكنت أبديتها الالهائية .

كلا ! وإنما مماثلة بين السيئة والعقوبة : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦ : ١٦٠) وما أظلمه من يقيس عصيانه بنفسه وهو أعلى دون العاصي وهو أدنى !

ثم الآيات في أن الجزاء هو العمل او بما يعمل يحدد موقف العقوبة أنها على حد العمل لا المعصي : ﴿إِنَّمَا تُحْبَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٦ : ٧) ﴿هَلْ تُحْبَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٠ : ٢٧) ﴿هَلْ تُحْبَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ

تَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٢) : (٥٤) ومما يدل على المحدود عاماً وأثراً ليس إلا محدوداً ، وإنما ماثلة إذا كان المعصي هو المقياس ! بل وجاء سائلاً ببعضها أو نصفها ! ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرُوكُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَأُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَتَغْنَمَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجْلَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُواكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٦) (١٣٨) والاستثناء بالمشية هنا ليس كما في آية البرزخ : ﴿فَآمَّا الَّذِينَ شَفُوا فِي النَّارِ ... خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ حتى يقال إن خلودها بذاته منقطع ! وعلى هذه المشية هي مشية الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء حيث تشمل المخلدين في النار تحفيضاً عن عذابهم أجمع والآيات النافية للتخفيف إنما تنفيه بعد هذا التخفيف ! .

فناء النار بمن في النار :

وما يؤيد فناء النار أنها من موجبات غضب الله وقد «سبقت رحمته غضبه» «ولذلك» : الرحمة «خلقهم» لا للعقاب ، فالرحمة هي المقصودة في الأصل ، والعذاب ليس إلا تطبيقاً للعدل ، فلو لا أن ترك العذاب للعاصي ترك للعدل بين العباد لما كان العذاب صواباً ، فإذا فالرحمة لا محدودة والعذاب محدود .

ثم من الرحمة ما هي مكتوبة وما هي راجحة غير مكتوبة : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (٧) (١٥٦) فلتشمل أهل النار فضلاً منه حيث وسعت رحمته كل شيء حتى ولو كانت اللاحقة في العذاب حقاً عليهم عدلاً ، كيف لا وهي ظلم ! وقد يكفي فرقاً بين فريق المسلمين وال مجرمين قليل من العذاب ثم الإناء ، فهلا يكفي أبد النار كما يستحقونها دون زيادة ولا نقصان :

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٦٨ : ٣٥) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فاسقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾ (٣٢ : ١٨) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما بِاطِّلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْيَلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ﴾ (٣٨ : ٢٨) فللعذاب موجبان : ١ . عدم التسوية بين المحسن والمسيء ولا سيما الانتقام من الظالم للمظلوم فان تركه الى تركه بدون ثواب ولا عقاب عذاب روحي للمظلوم والأصل العقلي في لزوم العاد هو الانتقام من الظالمين . ٢ . لو لم يكن عذاب لازداد العصيان حيث الاكشية من تاركي العصيان انا يتكونه خوف العقاب ووعد العذاب دون واقعه كذب وإغراء !

ثم الله ليس يعامل خلقه الا بفضلة دون عدل ، لذلك يقرر جزاء الحسنة عشر أمثالها ، ويدخل المطاعين جنة بفضلة ، فليشمل فضلته اهل النار ان يعذبهم دون استحقاقهم ، ام ولا اقل بعدله ان يجازيهم جزاء وفاقا واما اللامحایة في العذاب فهي نائية عن العدل الى أقبح الظلم ﴿وَمَا رِئُكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ﴾!

ومن ثم إذا يأمرنا بالغفو بدل الانتقام ﴿وَإِنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٢ : ٢٣٧) فهل يعامل هو عبده الضعفاء بأكثر من الانتقام الذي لا مثيل له بين الظالمين من عباده؟! . كل ذلك يفرض أخيرا فناء النار من يصلونها . فلا نار إذا ولا أهل نار !
وخلاصة القول حول الحالدين في النار أن حد الخلود هو قضية ١ . عدل الله ، ٢ . ورحمته التي وسعت كل شيء وقد سبقت رحمته غضبه ٣ . وجاء سائحة سيئة مثلها ولا ماثلة بين المحدود واللامحدود . ٤ . وان الجزاء انا هو

بِالْأَعْمَالِ وَهِيَ مَحْدُودَةُ فَالْجُزْءُ مَحْدُودٌ ٥ . وَأَنْهُمْ لَا يَشْتَهِيَا حَقًا بِالْجُزْءِ وَفَاقَا ، وَأَقْلَى الْحَقْبَ سَنَةً وَأَكْثَرَهُ ثَمَانَوْنَ ٦ . وَنَفْسُ الْخَلُودِ تَقْيِيدٌ فِي : ﴿النَّارُ مَثْوَاتُهُ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ﴾ (٦ : ١٣٨) ثُمَّ وَلَا دَلَالَةٌ وَلَا إِشَارَةٌ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ أَبْدَ الْخَلُودِ لَا نَهايَةٌ لَهُ إِطْلَاقًا.

وَامَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْجَنَّةِ فَأَبْدُهَا لَا نَهايَةٌ لَهُ فَانَّهَا قَضِيَّةُ الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ فَلَا تَحْدُدُ ، وَإِنَّهَا عَطَاءُ غَيْرِ مَجْدُوزٍ ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنِ .

وَقَدْ يُقَالُ أَوْ مَا يَكْفِيُ الْعَصَاهُ أَنْ لَا ثَوَابٌ لَهُمْ وَلَا عَذَابٌ ، وَالجَوابُ : إِذَا انْقَطَعَ الْإِنْذَارُ ، وَفِي تَرْكِ جَزَاءِ الظَّالِمِ ظُلْمٌ عَلَى الْمُظْلُومِينَ فَلَيَكُنْ عَذَابًا .

وَالْقَوْلُ أَنَّ الْآَبِدِينَ فِي النَّارِ ذَاتِهِمْ هُمْ إِنَّ النَّارَ فِيهِمْ إِذَا لَزَمَ النَّارَ دُونَ فَكَاكٍ ، مَرْدُودٌ أَوْلًا اَنَّ الذَّاتِيَّةَ النَّارِيَّةَ لَا تَحْكُمُ بِاللَّامِنَاهَايَةِ فِيهَا وَأَنَّمَا تَحْكُمُ بِأَنَّهَا تَحْرُقُ مَا دَامَتْ مُوْجَودَةً ، وَلَكِنَّ الْعَدْلَ الْإِلهِيَّ يَحْكُمُ بِلَزْوَمِ إِفَنَاءِ الذَّاتِيَّاتِ النَّارِيَّةِ بَعْدَ مَا ذَاقَتْ وَبَالْأَمْرِهَا ، وَلَا تَتَصَوَّرُ اللامِنَاهَايَةُ فِي الذَّاتِ الْمَحْدُودَةِ .

فَخَرْجُوهُنَّ هَذِهِ الذَّاتِ النَّارِيَّةِ عَنِ النَّارِ اَوْ خَرْجُ النَّارِ عَنْهُنَّ . صَدَقَنَا أَنَّهُ تَنَافِي هَذِهِ الذَّاتِيَّةَ ، وَامَّا فَنَاءُ الذَّاتِ فَهُنَّ لَا تَنَافِي هَذِهِ الذَّاتِيَّةَ وَأَنَّمَا تَنَافِي الْأَبِدِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ وَهِيَ السَّرْمَدِيَّةُ .

وَالْقَوْلُ إِنَّ الْكِتَابَ نَصٌّ فِي الْخَلُودِ وَارِدٌ ، وَلَكِنَّ الْخَلُودَ لَيْسَ نَصًا فِيمَا يَعْنُونَهُ مِنَ الْخَلُودِ وَهُوَ الْعَذَابُ اللامِنَاهَايِيُّ ، وَادْعَاءُ كَوْنِ ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ نَصًا فِي هَكُذا خَلُودٍ نَصٌّ فِي عَدْمِ التَّفَكُّرِ فِي الْآيَةِ ، وَأَمَّا اَنْ سَنَةَ

أهل البيت (عليهم السلام) مستفيضة فيه فلا نرى إلا حديثاً أو حديثين تخالف الكتاب. واما ان الهيآت التي رسخت في النفس حتى صارت صوراً أو كالصور الجديدة تعطى للشيء نوعية جديدة ، هي مجردة في نفسها دائمة الوجود من غير زوال مثل المبتلى بالجنون فإنه مستمر له لا يزول؟ فلا مجرد في الكون إلا الله ، والذاتية المجردة . على صحتها . لا تستدعي الالهائية.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا خَنْدُولًا﴾ (٢٢) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَبْعُدُوا إِلَّا إِيَاهُ
 وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقْلِنْ لَهُمَا أَفِّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا
 وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَيْمًا﴾ (٢٣) وَاحْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْجُمُهُمَا كَمَا رَأَيْتِي
 صَغِيرًا﴾ (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥)
 وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا ثُبَّدِرْ تَبْدِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
 الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَافُورًا﴾ (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ

رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ هُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبُسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاُكُمْ إِنَّ قَاتَلَهُمْ
كَانَ حِطَّا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرِبُوا التَّرْبَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحُقْقِ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَالِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقُتْلِ إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْخُولًا (٣٩)

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَّا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَحْذُولًا﴾ (٢٢).

قاحل يخالف اللّوم والحسر.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرَ أَحْدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقْلِنْ لَهُمَا أَفِّ وَلَا تَنْهَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْجُمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا* رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلَيْنَ غَفُورًا﴾ (٢٥)

آيات تجمع بين الوالدين في احكام أكثرها الإحسان بهما وكثير منها تجمع إليهما غيرهما ، وهذه مما تخصهما بالاحترام بعد الله لا تحريما للاحترام فقط وإنما الإحسان وأي احسان^(١) ولا تجد تفصيلا في غيرها كما فيها ، وقد تختص بالقضاء دون غيرها حكماً ومحكماً له. محتوماً مقتضايا لا حول منه ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقد نرى ردد الوالدين بالرب فيما يوصي او يقضي للوالدين الا قليلا يرد فان فيها بالله تدليلا على ان حق الوالدية كحق الربوية وبعدها لأنها استمرارية للتربية الالهية ، فكما الرب الله لا يعبد إلا إيه ولا يساوى او يسامي به سواه ، كذلك الرب الوالدان لا يساوى بهما سواهما في الإحسان ، اللهم إلا رسول الله حيث يحملون من التربية الإلهية ما لا يحمله الوالدان اللهم إلا في الولادة الجسمية وتربيتها وقد يشمل «الوالدين» كلتا الوالادتين الروحية والبدنية فهما على درجات : الوالد الروحي الأول وهو المجرى الأول للولادة الروحية : أهل بيت الرسالة الخمية ، ثم من يحذوا حذوهم في التربية الإلهية ، ثم الأدنى الوالد الجسمي الذي لا يعني التربية الروحية ، ثم بينهما أوساط ، فكلما ارتفعت درجة الوالدية ارتفعت ميزانية الإحسان ، ثم

(١) راجع ج ٢٦ الفرقان ص ٣٠٩ - ٢٩ تفسير الآية «وَوَصَّيْنَا إِلِيْسَانَ بِوَالَّدِيْهِ إِحْسَانًا ... وَالذِّي قَالَ لِوَالَّدِيْهِ أَفِّ لَكُمَا ... تَجِدُ تَفْصِيلَ الْبَحْثِ فِي حَقَوْقِهِمَا هَنَاكَ.

الإحسان بالوالد الروحي يختلف عما للوالد الجسمي ، ويجتمعها المواجهة بالحسنى في عشرة روحية اماهيه وفي الحديث عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «أَنَا وَعَلَيْهِ أَبُو هَذِهِ الْأُمَّةِ» وعن الإمام علي (عليه السلام) «ولدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)».

هذه القضاء حكم تشرعى صارم وفصل قاطع حاكم تحمل سلبيات وابجاتيات ، ترى أنهما تختصان بـ «ربك» أم و «الوالدين»؟ أم تشمل كافة الابجاتيات والسلبيات التالية الثانية عشر : أمرین ونواھی عشرة قد تتحملها الآية ، أو ان الشمول أقرب فإن ﴿ذلِكَ مَمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رِبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ...﴾ أو أن الأوجه هنا اختصاصها بالرب والوالدين ^(١) ثم الشمول ، وجوه تحملها الآية تلو بعض.

والحكمة هي القضاء بما يربط بين المنفصلات.

فإن القضاء هذه تبدأ بـ ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وتنتهي بمثلها ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِهْمَا آخَرَ﴾ حيث تجمعهما ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فسلبيات هذه القضاء بادئة من «لا اله» وإيجابياتها من «إلا الله» كما وأن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ تختل المحور الاساسي والمركز الرئيسي في كافة القضية التكوينية والتشريعية سواء ، فقصاري شرعة الإسلام وكل شرعة الهية هي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ !

(١) قد توحى : أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ دون وأن بالوالدين ام ماذا . باختصاص هذه القضاء بتوحيد الله ، ثم يتلوه «بِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا» ثم سائر الأحكام ، وقد تؤيده الآية السالفة لها «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِهْمَا آخَرَ ...» او ان القضاء لها مراحل ثلاثة : الله . للوالدين . ولسائر الأوامر والنواهي التالية ، او يقال ان القضاء هنا قضى به لا فيه او عليه اوله او قضاه ، فان قضى به حكم تشرعى ، فلا تشمل إذا الا «أَلَا تَعْبُدُوا ...» اي «بان لا تعبدوا ...» ثم «بِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا» اي قضى بإحسان الوالدين «بان أحسنوا بالوالدين إحسانا ثم لا موقع لسائر الأوامر والنواهي ولا سيما أن الأمر تقدير للباء ، فان «آت ...» لا تتحمل الباء ، اللهم الا «بان آت ذا القرى حقه كما في «بان أحسنوا ...».

«وَقَضَى»^(١) امر و حكم^(٢) في صيغة القضاء تخلع على الأمر معنى التوكيد انه بث جزم لا ينسخ ، تمام لا ينقطع. الى جانب الحصر المستفاد من الاستثناء «إلا إيه» فصيغة التعبير تصوغ توحيدا سائغا لكيان الربوبية الوحيدة ، وهي أولى الأقضية وأولاهما كما وهي عقباها وأخراها.

ولماذا « قضى» هنا «ربك» لا : رب العالمين ولا : الله؟ لأنه يعني في هذه الأقضية الجوانب التربوية ، لتكن منوطه مربوطة بجانب الربوبية ، فربوبيته هي الحاكمة ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ﴾ . ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ام ماذا؟

(١) ومن الأقوال هنا في قضى ما رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : كان الأصل «ووصى ربك» فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئ «وَقَضَى رَبُّكَ» ثم قال : ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لأن خلاف قضاء الله ممتنع! أخرجه في الدر المنشور ٣ : ١٧٠ عن ابن عباس بعدة طرق وعن ابن مسعود والضحاك بن مزاحم واخرج ضده مجاهد وقد جاء القضاء بمعنى الحكم الشرعي الثابت في آيات أخرى : «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (٣٣ : ٣٦) «لَمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٤ : ٦٥).

أقول : وهذه من الأقوال الحمقاء التي تفتح باب التحريف في القرآن الحكيم ، ولم يدر المختلق المسكين ان القضاء لا تختص بالتوكين فقد تكون تشريعيا كما هنا ، ولو ان القاف تتشبه بالواو لكن مثله وادن منه كثيرا في القرآن فلا اعتماد إذا في كتب القرآن.

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٤٨ عن التوحيد باسناده الى ابن عباس عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل وفيه فقال الشيخ : يا امير المؤمنين! فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بجمما؟ فقال (عليه السلام) : الأمر من الله والحكم ثم تلا هذه الآية ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ...﴾ أقول : يعني هنا خصوص الأمر التشريعي او ما يشتمله ثم يمثل بهذه الآية التي تحمل هذا الأمر.

ومن ثم «ربك» توحى بهذه التربية العالية التي تفوق العالمين أجمعين ، فعلى ضوء التربية الحمدية : ﴿قَضَى رَبُّكَ﴾ بهذه الأقضية ولكن تربوا ربوا عالية على كافة التربيات ولأنها قضاء في الأمة المرحومة في شرعة تجمع الشرائع وزيادة : ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ نحي كأول مورد للقضاء او تفسير لها^(١).

وقضاء التوحيد هي القاعدة والأساس ، تتبناها سائر التكاليف العقلية وسواها ، فردية وسواها ، فلها في نفس الموحد ركيزة التوحيد ، توحد البواعث والاهداف في كافة الجنبات الحيوية ان يصبح ككل توحيدا في عبادة الله. وكذلك يتمثل ككل : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ان أحسنوا بالوالدين إحسانا^(٢) في حال ومال. في حل وتر حال ، في كل حال على أية حال ، لا فقط أن الإساءة إليهما محمرة ، بل وترك الإحسان بهما محمر ، فالإحسان يشمل كل ظاهرة في العشرة حتى وفي المشي والقعود والتسمية وعلى حد المروي عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)^(٣).

يفرض هنا وهناك إحسان الأولاد بالوالدين ولا يفرض العكس ، لأن البنوة والنائمة المتغافلة الجديدة هي المحتاجة إلى استجاشة وجدان البر والرحمة ، حيث الوالدان مندفعان بالفطرة إلى الإحسان بالأولاد ، لا ينسونهم او يتناسون حتى وإذا نسوا أنفسهم. ولكنما النائمة فسرعان ما

(١) فعلى الأول تقدر الباء «بَانْ لَا تَعْبُدُوا» وان ناصبة ولا تعبدوا نفي يعني الأمر وعلى الثاني دون تقدير وان مفسرة ولا تعبدوا نحي.

(٢) وان هنا مفسرة دون تقدير للباء إذ لا تدخل الناصبة على غير المضارع اللهم إلّا على تقدير ان تحنو.

(٣) الدر المنشور ٣ : ١٧١ . اخرج ابن مارون عن عائشة قالت أتى رجل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومعه شيخ فقال من هذا معك؟ قال أبي قال : لا تمثين امامه ولا تتفعد قبله ولا تدعنه باسمه ولا تستسب له.

ينسون او يتناسون عطف الوالدين ، ملتهين بشؤونهم أنفسهم في تبني الحياة الجديدة ، لا سيما إذا شاخ الوالدان وساقت أخلاقهما وصعبت حياطهما وثقلت عليهم حمل أعباءهما ، لذلك فالجيل الناشئ هو المحتاج لقضاء الله ووصيته ، استجاشة لدفائن وجدانهم ليذكروا واجبهم وجاه الجيل الذي أنفق رحique كله في انتشائهم حتى أدركه الجفاف .
ولكن هل الوالدان كلهم يعملون واجبات الوالدية التربوية وجاه الأولاد لكي لا يحتاجوا الى استجاشة كما الأولاد ؟

قد يقال ان المقام هنا لك مقام الإحسان لا واجب التربية ، وإن كان الإحسان يشمل الجانب التربوي إذا كان الولد أقوى تربية وأرقى من الوالدين فالرعاية التربوية واجبة على كل راع وكلكم مسئول عن رعيته الوالدان او الأولاد ام من ذا ، والأقربون اولى ثم من دونهم وكما يستطيع في الشعاع التربوي ولا تعني تلك القضاء وتلك الوصيات بحق الوالدين إلا الحنان والإحسان في العشرة ، مهما شملت أحيانا التربية .

ولكي يراعي الوالدان ايضا أولادهم فلا يضاروهم ف ﴿لَا تُضَارَّ وَالَّذِي بِوَلْدِهَا وَلَا مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدِهِ ...﴾ (٢ : ٢٣٣) إن في رضاعة ام ماذا ، ومن المضارة التقصير في الحبة والتربية ، فالوالدان . إذا . يؤمران بترك المضارة بأولادهما ، ولكنهما يفوقان الأولاد في واجب الإحسان حنانا واحتراما ، فواجب الإحسان أمر ، وواجب التربية أمر آخر قد يختلطان وقد يفترقان .

يقضي الله تعالى هنا بالإحسان إليهما ، ومن أفضل الإحسان وأوجبه هديهما الى الحق ان خالفاه فسقا ام ضلالا ام ماذا ، فالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة عامة ، ثم وقاية الأهلين خاصة . ثم هي بالنسبة للوالدين أخص ، إذا فهي واجبة بالنسبة لهم في أبعاد ثلاثة .

ومن ثم يرکز قضاة الإحسان بحما على أضيق حالاتهما ، حيث يضاف سوء الخلق الى اعباء الكبير ونظراتهما الطائلة من الناشئة ، أن من واجب الأولاد تحمل مثلث الأعباء أم ماذا؟ دون تلقت عنها او تفلت منها ولا تعنت حتى في أدنى لفظه من قول «أف» : ﴿... إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحْدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْنُلْهُمَا أَفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاحْفِظْهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْتَحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا﴾ (٢٤).

كما بلغت عندهما من الطفولة الى الحلم ، والى الكهولة ام ماذا! ولم تر منهمما إلا الإحسان ، إما يبلغن ... (١) ترى وما هي الملائمة بين «إن» الشرطية ونون التأكيد القاطعة؟ علها التأكيد على تحصيل هذا الشرط ان يجدّ الأولاد لكي تستجده عيشتهما عندهم باستمرار ما هما حيان لأن ينفصلوا عنهمما أو يفصلوهما عنهم إذا كبر أحدهما أو كلاهما ، بل ويستمروا في العيشة الراضية معهما ، ويهتموا رقابة على صحتهما إن يكيرا عندهم ، تقديمها لكافة الإمكانيات في كافة الجهات للحفاظ على سلامتهما وعلى كونهما عندهم.

أنت كنت عندهما لحد الآن. فليكونا عندك من الآن ، ف «عندك» توحى بحالة الالتجاء فالإجلاء ، التجاء بالتجاء وإجلاء بإجلاء وهو بعد لن تكون جزاء وفاقا حيث الجأك في طفولتك ولا ملجاً لك إلا والدراك ، وأنت تلتجئهما في شبابك وهما في كهولة او زاد «فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما

(١) اما هي ان الشرطية وما المؤكدة حيث تسمح لدخول نون التأكيد. ف «ان» ضرورة لبيان ظرف الشك إذ لا يعلم انما يكيران عندك ام لا ، ثم «ما» المؤكدة وتقدم «عند» ونون التأكيد الثقيلة ، هذه كلها تأكيدات تفرض على الأولاد ان يقدموا كل امكانياتهم لبقاء هما عندهم وان يكيرا عندهم.

يَجْبَانَ بِقَاءَكَ وَأَنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا^(١)

وَطَبِيعَةُ الْحَالِ فِي الْوَالِدِينَ لَا سِيمَا إِذَا كَبَراً ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَحْصِيلِ بَلْغَةِ الْمَعَاشِ مَادِيَا
أَمْ مَاذَا؟ وَهُمَا عَنْدَكَ أَهْلُ وَالْوَلَادِ ، وَهُمَا يَنْتَظِرُوكَ أَنْ تَعْطُهُمَا كُلَّ عَطْفٍ ، فَهُمَا
هُذَا وَذَا قَدْ يَغْيِظُوكَ وَيُسْيِئُونَ أَخْلَاقَهُمَا إِلَيْكَ ، فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الصُّعُوبَةِ الْمُتَوْبِيةِ مَاذَا
عَلَيْكَ؟

عَلَيْكَ التَّصْبِيرُ وَالاحْتِرَامُ ، دُونَ أَيِّ تَضْجِرٍ وَاحْتِرَامٍ ، لَا يُسْمِحُ لَكَ حَتَّى فِي أَقْلَى لَفْظَةِ
تَحْمِلُ أَدْنَى تَضْجِرٍ : «أَفْ» : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفِ﴾ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَنْهَرَهُمَا : ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾
حَتَّى وَانْ خَرَاكَ أَوْ ضَرَبَاكَ! فَلَا فَحْسَبْ عَلَيْكَ سُلْبِيَّةُ أَفِ أَوْ خَرَأَ مَاذَا مِنْ إِسَاعَةٍ ، بَلْ
وَعَلَيْكَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا وَايْ احْسَانٌ؟ فِي قَوْلٍ : ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وَمِنْ ثُمَّ فَعْلٍ
﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وَلَكِنْكَ لَحْدَ الْآنِ مَا أَدَيْتَ حَقَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا ،
فَعَلَيْكَ الْالْتِمَاسُ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يَكْفِيَ هُوَ هَذَا الْإِحْسَانُ ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرِاً﴾ .

قَوْلُ «أَفِ» لَهُمَا مُحْرَمٌ ، ثُمَّ خَرَهُمَا مُحْرَمٌ ، وَتَرْكُ قَوْلِ كَرِيمٍ لَهُمَا مُحْرَمٌ ، وَتَرْكُ خَفْضِ
الْجَنَاحِ لَهُمَا مِنَ الدُّلُّ مُحْرَمٌ ، وَتَرْكُ القَوْلِ ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا ...﴾ مُحْرَمٌ وَأَيْنَ خَمَاسِيَّةُ التَّحْرِيمِ هَذِهِ؟
فِيمَا إِذَا اجْتَمَعْتَ لَهُمَا عَلَيْكَ شُرُوطُ تَضْجِرَكَ ، أَنْ بَلَّغَا عَنْدَكَ الْكَبِيرُ! فَمَا هِيَ الْوَاجِبَاتُ
وَالْمُحْرَمَاتُ عَلَيْكَ وَجَاهُهُمْ ، إِذَا لَمْ يَبْلُغاُ الْكَبِيرُ وَلَمْ يَكُونَا عَنْدَكَ وَلَمْ يَضْجُرَاكَ؟.

(١) الكسا ام للزمخشري ٢ : ٥١٤ روى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله
(صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ان ابوي بلغا من الكبر إِنِّي مِنْهُمَا مَا وَلِيَا مِنِّي فِي الصَّغْرِ فَهَلْ قَضَيْتَهَا؟ قال : لا
فَإِنَّهُمَا ...

قد تشمل ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إحساناً في هذه الخمس وما بعدها ، ابتداء بترك أدنى إساءة «أف أو نحر» فسائرها أولى بالترك ، ثم القول الكريم ، ثم الفعل الكريم ﴿وَاحْفَظْهُمَا﴾ ومن ثم دعاء كريم ﴿رَبِّ ارْجُوهُمَا ...﴾ وهذه في تضيق أخلاقهما إن كبراً عندك ، فما ذا بعدهما في حالة الاستغفاء عنك والحنان عليك؟.

﴿فَلَا تَقْلِنْ لَهُمَا أَفِ﴾ ... وهو ادنى العقوق^(١) .. وفي «أف» وجوه لفظية عشرة^(٢)

هذا أوجهها قضية كتبها في تواتر القرآن فلا يصغى إلى صيغ أخرى ، كما لها وجوه معنوية ست^(٣) يجمعها اظهار التضجر وكما في

(١) الدر المنشور ٣ : ١٧١ عن عائشة قالت قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ... وفي نور الثقلين ٣ : ٤٩ عن اصول الكافي بسانده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ادنى العقوق أَفْ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ شَيْئاً أَهُونَ مِنْهُ عَنْهُ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ (عليه السلام) ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر إليهما.

وفيه عن أبي المؤمن الحارثي قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال : من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره . الى ان قال . : وإذا قال له أَفْ فليس بينهما ولایة.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٨٨ . قال الزجاج فيه سبع لغات : كسر الفاء وضمها وفتحها ، متونا وسواء ، والسابعة «أَفِي» وذكر ابن الباري نقلًا عن الزجاج ثلاثة وجوه أخرى (إِيْ) بكسر الالف وفتح الفاء و (أَفَهُ) بضم الالف وإدخال الهاء و (أَفْ) بضم الالف وتسكين الفاء .

قرء ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين ، ونافع وحفص بكسر الفاء والتنوين ، والباقيون بكسر الفاء من غير تنوين ، وكلها لغات وعلى هذا الخلاف في الأنبياء (أَفْ لَكُمْ) وفي الأحقاف (أَفْ لَكُمَا).

أقول بهذه عشة كاملة هي : «إِفْ أَفْ . أَفِ . إِفْ . أَفِي . أَفْة . أَفْ» وقد ذكرها ابن منظور الافريقي في

لسان العرب ج ١ ص ٧٣ .

(٣) وهي : الوسخ الذي حول الظفر والتف الذي في الظفر . وسخ الاذن والتف وسخ .

الفارسية (أو) الحق أنها لا تعني إلا ما تعنيه صيغة اللفظ وأصله نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد ، وللمكان تزيد إماتة الأذى عنه .

ثم الاف منها لفظي ومنها نظرة بغضاء أو حركة او كتابة ام ماذ؟ وكما يروي عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «ما أباه من حد اليه الطرف» ^(١) .

فالألف وهي أدنى العقوق تشير الى أدناه في لفظة او لحمة ام ماذ من مظاهر التضجر دون اختصاص .

وإذا يحرم ان تقول لهما «أف» فباحترا ان تنهرهما او تسبهما او تضرهما ، ولأن الاف قد ينتهي الى النهر يشتهي ب :

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ زجرا بالصياح ورفع الصوت عليهم والإغلاط في القول حيث يشي بالإهانة وسوء ادب ... لا . و . لا ! وإنما :

﴿وَقُلْنَاهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ : قوله لا يحمل إكرامهما وان ضرباك او أهاناك ، وكم القول هو التوسيع في عطفته وليته ، ومن العطف بما أن تأمرهما بمعرفة تركاه وتنهاها عن منكر اقترفاه ، كأن يسيا إليك أم سواك ظلما ، وتراعي في كل ذلك أن «لا **﴿تَقْلُنَاهُمَا أَفِ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾** **﴿وَقُلْنَاهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾** .

. الإطفاء . الاف : الضجر والقلة . كلمة تضجر . جعل يتائفف من ريح وجدها ومعناه يقول : أف أف . ذكرها في لسان العرب والتفسير الكبير للفخر الرازي .

(١) الدر المثور ٣ : ١٧١ . اخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ...

وفيه ٣ : ١٧٢ عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة . قالوا : وان نظر كل يوم مائة مرة؟ قال : نعم الله اكبر وأطيب .

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ : اخفض لها ... كما خفضا لك وain خفض من خفض؟ اخفض لها جناح الذل ، لا جناح العزو الكبriاء أن ترعاها تحت جناحك امتنانا وامتهانا ، حتى ولو كانت رعاية كاملة كافية ، فانه جناح فيه جناح ، واما جناح الذل الخافض من الرحمة مثلث من الرعاية يحمل ارمها وأتمها.

فليكن كلk لها جناحا ، من فكرة او قوله او فعلة ، من مال او حال او منال ، وليلمسا أحـما عندك في جناح أيـا كان وأـيـان ، ومن ثم ذـلـ في كل جـناـجـ ، ولـيـكـ جـناـجـ الذـلـ ثـابـتـاـ من أـصـوـلـ الرـحـمـةـ ، جـانـحاـ طـاقـاتـ الـعـطـوفـةـ ، فـتـرـكـ بـسـطـ الجـناـجـ لهاـ جـناـجـ ، وجـناـجـ العـزـ جـناـجـ ، وجـناـجـ الذـلـ من دون رـحـمـةـ جـناـجـ ، واما جـناـجـ الذـلـ من الرـحـمـةـ^(١) فـرـغـمـ انـ الجـناـجـ لاـ يـعـنيـ لـصـاحـبـهـ إـلاـ انـ يـطـيرـ بـهـ ، فـهـوـ وـجـاهـ الـوـالـدـيـنـ فـرـشـ لهاـ يـعـيشـانـ عـلـيـهـ ، اوـ يـطـيرـ بـهـ الـوـالـدـيـنـ إـلـىـ مـآـرـبـهـماـ ، كـمـاـ الطـائـرـ إـذـاـ يـطـيرـ يـرـفـعـ جـناـحـهـ وـإـذـاـ يـرـعـيـ فـرـخـهـ يـخـفـضـهـ منـ الرـحـمـةـ ، وـخـلـاصـةـ المـعـنـيـ منـ خـفـضـ الجـناـجـ الإـخـبـاتـ

(١) اصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في آية الوالدين سئل ما هذا الإحسان؟ فقال : الإحسان ان تحسن صحبتهما وان لا تكلفهمما ان يسألاك ما يحتاجان إليك وان كانوا مستعينين أليس الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ثم قال (عليه السلام) واما قول الله عز وجل ﴿إِمَّا يَنْلَفِعُ عَنْدَكُمْ...﴾ ان أضجرك فلا تقل لهاـ أـفـ ولاـ تـنـهـرـهاـ انـ ضـرـبـاكـ **﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾** انـ ضـرـبـاكـ فـقـلـ لهاـ غـفـرـ اللهـ لـكـماـ فـذـكـ قولـ كـرـيمـ **﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾** لاـ تـمـلـ عـيـنـيكـ فيـ النـظـرـ إـلـيـهـماـ الاـ بـرـحـمـةـ وـرـقـةـ وـلـاـ تـرـفـعـ صـوتـكـ فوقـ أـصـواتـهـماـ وـلـاـ يـدـكـ فـوـقـ أـيـديـهـماـ وـلـاـ تـقـمـ قـدـامـهـماـ.

وفي الدر المنشور ٣ : ١٧٤ . اخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـهـ وـسـلـمـ) من أـصـبـعـ مـطـيـعاـ للـهـ فيـ والـدـيـهـ أـصـبـعـ لهـ بـاـبـاـنـ مـفـتوـحـانـ منـ الجـنـةـ وـانـ كـانـ وـاحـداـ فـوـاحـدـ وـمـنـ اـمـسـيـ عـاـصـيـاـ للـهـ فيـ والـدـيـهـ أـصـبـعـ لهـ بـاـبـاـنـ مـفـتوـحـانـ منـ النـارـ وـانـ كـانـ وـاحـداـ فـوـاحـدـةـ قالـ رـجـلـ : وـانـ ظـلـمـاهـ؟ـ قالـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) :ـ وـانـ ظـلـمـاهـ وـانـ ظـلـمـاهـ وـانـ ظـلـمـاهـ.

للوالدين وإلإنة القول لهم والرفق واللطف بهما.

في كل ذلك يشترك الوالدان. مسلمين كانوا او كافرين ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ (٢١ : ١٥) معروفهم وهو هكذا إحسان إليهما.

ثم يختص الوالدان المسلمين بمزيد الإحسان حين كانوا او ميتين ان تدعوا لهم بخیر

وستغفر ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا﴾.

ف «ارحمهما» من الرحمة والرحمة بالنسبة للدنيا ولآخرة ، ام وللدنيا فقط كما للمشركين فان الاستغفار لهم منوع : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَكْثَمُ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ...﴾ (٩ : ١١٣)^(١) فإذا تبين أن الوالدين او أحدهما من اصحاب الجحيم لا يسمح لهم الاستغفار حياتا وماتا ، اللهم إلا طليا للرحمة الالهية ان تشملهما حالة الحياة بأن يؤمنا او ينففا عن شركهما ، وهذه الآية وان كان بينها وبين آية الوالدين عموم من وجه تتوارد ان في الوالدين المشركين الا ان هذه نص في العموم بدليل الإشراك من بعد ما تبين لهم اكثم اصحاب الجحيم فلتقييد آية الوالدين دون ريب.

(١) الدر المنشور ٣ : ١٢١ . اخرج ابن حزير وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله تعالى : «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ...» ثم انزل الله بعد هذا : «مَا كَانَ لِلَّهِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى». وفيه عن ابن عباس وقتادة قالا : نسختها الآية التي في براءة ﴿مَا كَانَ لِلَّهِي ...﴾ أقول : هذا تقييد لا طلاق آية الاسترحام ولأن القرآن كان ينزل نجوما من عام وخاصة ومن مطلق ومقيد ، لذلك قد لا يعتبر مثل ذلك نسخا ، او يقال : أريد الإطلاق أولا ثم نسخ الإطلاق ، ولكن «ما كان» يضرب الى اعمق الماضي ان هذا الاستغفار كان محظيا منذ البداية ، وعله كان من الضروري عدم جواز الاستغفار للمشركين من بعد ما تبين لهم اكثم اصحاب الجحيم ...» ثم النسخ على خمسة اقسام : نسخ العموم او الإطلاق او الخصوص او التقييد او نسخ مبایین جزئیا.

وقد تلمح ﴿كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ أن الرحمة المطلوبة هنا هي الدنيوية ، ولكنها ليست رحمة إذا لم تتبعه الرحمة الأخروية او منعهما إياها ، إذا فالرحمة المطلوبة هي الملائمة للحياة الآخرة ، منذ الدنيا أم في الآخرة. الا ان رحمة الاستغفار للمشركين مقطوعة ممنوعة عنهم وان كانوا اولى قربى : والدين ام من ذا؟ من بعد ما تبين أنهم أصحاب الجحيم ، واما قبل التبيّن فمسموح لهم الاستغفار وان كانوا مشركين ، لا إن ماتوا مشركين.

وترى إذا كانت قوله «الاف» لهم محرما ، فكيف يقول ابراهيم للمشركين وفيهم أبوه آزر ، ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢١ : ٦٧) ثم وما فوق الألف ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقْوَمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦ : ٧٤).

والجواب عن أفالآن آزر لم يكن والده وإنما عمه ثم هذا الاف موجه الى ضلال الشرك أيًا كان وفي اي كان ، وكذلك ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث الدعوة الرسالية وتفنيد الضلالات واجبة إطلاقا ، وقد تكون بالنسبة للوالدين أوجب رحمة بhemما ان يهتديا الى صراط مستقيم.

ثم إن حمرة الوالدين ليست لمنع عن حمرة الله فلم يجعلهما الله شريكين لنفسه او زاد وإنما فرض الإحسان إليهما وطاعتهما فيما لم يعارض طاعة الله وما افترضه الله . وإنما لذكرى حانية ، الطفولة الهزيلة الضعيفة حيث يرعاها الوالدان.

فلانك لا تستطع مقابلة لهم بالمثل تطلب من ربك ان يرعاهما كما ربياك صغيرا ، حيث هما اليوم في مثل حالة الطفولة من الضعف وال الحاجة

إلى الحنان والرعاية ، وهو القادر على جزائهما عما بذلا وقدموا لك في الطفولة .
 وهو الرحمان الرحيم يجازيهما في الأخرى ، ام في الأولى ، ام فيما ، لما تسترحم ربك
 لهما ، اللهم إلا فيما لا يقبل الرحمة : ان يموتا مشركين ، فرحمتهما إذا يخص الأولى .
 وترى هل من الإحسان إليهما وترك الاتساع لهما ترك الواجب او فعل الحرام؟ قد
 تلمح ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهِمَا ...﴾ ان ما دون
 الشرك من الحرام مسموح إحساناً بالوالدين ، إلا أن ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ تحصر
 طاعتهما في الأمور الدنيوية ، غير المربوطة الآخرة ، ثم القضاء الأول ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
 تحصر الطاعة في الله ، فلا طاعة لخلوق في معصية الله ، اللهم إلا الواجبات غير التعينية
 التي لها مندوحة فضلاً عن المستحبات ، اللهم إلا إذا كان النهي عنها معارضة لشرع الله ،
 وعلى آية حال ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ ما استطعت دون أن ترضيهما بسخط الله ،
 فإذا تجرهما هجرة إلى الله فحاول في أن تضحكهما بعد البكاء ^(١) ولما تريد الجهاد «ففيهما
 فجاهد» ^(٢) إذا لم يكن فرض عين .

(١) الدر المنشور ٢ : ١٧٣ . اخرج الرزاق في المصحف والبخاري في الأدب والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يباعده على المحرمة وترك أبويه يبكيان قال :
 فارجع إليهما واصحوكهما كما ابكيتهما .

(٢) الدر المنشور ٣ : ١٧٢ . اخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر قال : جاء
 رجل إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يريد الجهاد ، فقال : أللهم والدان؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد .
 أقول : لعل المسؤول عنه هو مطلق الجهاد ، أو الجهاد الذي لم يكن فرض عين .
 وفيه اخرج سعيد وابن أبي شيبة واحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي .

ان فرض طاعة الأبوين والإحسان إليهما هو بعد فرض الله تعالى فلا يتعارضان حتى يؤخذ بالأهم ولا أهم إلا فرض الله ، ولا تعارض بين الفرض المخير فيه من الله والفرض القاطع وجاه الأبوين ، اللهم إلا في الكفائي إذا كان تركه ينقص الكفاية ، وإذا كان نهيمما عن المستحب لصالح له أو هما يتتجز الترك ، واما النهي دون صالح فلا ، مهما كان «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»^(١) فإنه فيما لم يناف رضي الله او يستوجب سخط الله !.

ففي الاستئثار العام للجهاد او الدفاع او اي واجب جماعي يجب النفر ولا يمنعه منع الوالدين ، وفيما دونه من الواجبات الكفائية او التخييرية قد

عن معاوية بن حابر عن أبيه قال : أتيت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أستشيره في الجهاد فقال : ألك والدة؟ قلت : نعم . قال : اذهب فألزمها فان الجنة عند رجليها واحرج مثله عبد الرزاق عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأضاف ثم الثانية ثم الثالثة مثل ذلك» أقول : لعله يعني الرجعة اليه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) او الاستشارة اليه ثانية ، وثالثة فقال : كمثل ذلك.

وفيه اخرج ابن مردويه والبيهقي عن انس أتى رجل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : اني اشتهرت بالجهاد ولا اقدر عليه فقال : هل بقي احد من والديك؟ قال : امي قال : فاتق الله فيها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج معتمر ومجاهد ، فإذا دعوك أملك فاتق الله وبرها.

واخرج البيهقي عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لنومك على السرير بين والديك تضحكهما ويضحكانك أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله . واحرج عنه قال مر رجل له جسم يعني خلقا فقالوا : لو كان هذا في سبيل الله فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لعله يكدر على أبوين شقيقين كبيرين فهو في سبيل الله لعله يكدر على صبية صغار فهو في سبيل الله لعله يكدر على نفسه ليغبنها عن الناس فهو في سبيل الله

(١) تفسير الزمخشري ج ٢ ص ٥١٣ وفي هامشه يسنده الى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعدة طرق.

يفرضه أمرهما كما يمنعه منعهما اللهم الا إذا كان عن عناد أم الامبالات بالدين فلا حتى في ترك المستحبات و فعل المكرهات ، و جملة القول في حدود الإحسان بالوالدين ألا يكون فيه إساءة الى الله ام الى سواه دونها استحقاق ، ولا يكون معارضه للشرعية الإلهية ، ففيما أنت بالخيار فعلا او تركا في المباحثات والمستحبات والمكرهات وحتى الواجبات التخييرية او الكفائية غير المنجزة قد ينجز أمرهما او نحيهما فتصبح واحدة من هذه الخمس واجبا عليك معينة او حمرة إذا كان في هذا التنجيز مصلحة لك أو لهم او حنانا عليك منهما ، دون ان يكون عن جهلهما او تجاهلهما او الامبالات منهما ام ماذا؟ ما هو إساءة بأحكام الله.

ثم إن حمرة لفظة الاف او لمحتها او تضجر ظاهر بالنسبة للأبوين لا تمنع حليتها او وجوبها في مقام إقامة البرهان لإثبات حق الله كما ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث كان في مقام الاحتجاج لابطال الشرك وإثبات التوحيد وهو واجب الدعوة الرسالية الأولى والأخيرة ، اضافة الى ان آزر لم يكن والده وانما عممه أو جده لأمه ، وحتى إذا كان والده كان قد ادى واجبه الرسالي.

ولقد اوصى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة من عترته ب مختلف أشكال الإحسان بالوالدين لحد القول في الابن «أنت وما لك لأبيك»^(١)!

(١) الكشاف للزمخشري ٢ : ٥١٤ من رواية سعيد بن المسيب شكا رجل الى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أباه انه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسألته فقال : انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويدخل علي بهاله فبكى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال : ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد : أنت وما لك لأبيك أنت وما لك لأبيك» وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

رِبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُوُسِكُمْ إِنْ^(١) تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غُفْرًا^(٢٥).

قد تعني الآية الإجابة عما ر بما يتقول : أَنَا فِي نَفْوُسِنَا صَالِحُونَ فَمَا ذَا عَلَيْنَا فِي «أَفْ» أو «نَهْر» إِمَّا مَاذَا مِنْ جُوَارِ الْجُوَارِ وَجَاهَ الْوَالِدَيْنِ؟ مَا دَامَتْ نَفْوُسُنَا صَالِحةً لَا تَرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ لِهُمَا؟.

والجواب : **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ مَا فِي نُوُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ** فلان صلاح النفوس

تمثل في صلاح الأعمال فالمسيئ الى الوالدين ليس من الصالحين ، فهي ادعاء خاوية جوفاء أن صلاح النفس والنفس فقط هو المرغوب دون الجوارح في الأعمال!.

ثم واجبة . كما يعني ذيلها . عمن قصر في حقهما وهو صالح دون تقصـد ، وإنما

تلفت دون تفلت وعناد ، وإنما خطأ جاهم دون فساد ناشئ من فساد النفس ، فالجواب

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَمِنَ الصَّالِحِينَ . حِينَ يَخْطُأُ . أَوْابُونَ فَإِنَّهُ

كان لالأوابين غفوراً ثم لا صالح يخطأ وليس من الأوابين ، اللهم إلا صالحًا يدعى الصالح

، وأنه أساء إليهما خطأ ، فلأنه ليس صالحا حتى يكون من الأولين ، لم يكن الله ليغفر له

هذه الإساءة.

والآوابون هم الراجعون الى الله دوماً معتذرين عما قصروا او قصّروا ،

. والله وسلام) : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال : أنها سيئة الخلق قال (صلى الله عليه وآله

وسلم) : لم تكن كذلك حين أسررت لك ليلها واظمأت نهارها؟ قال : لقد جازتها قال (صلى الله عليه وآله

وسلم) : ما فعلت؟ قال : حججت بها على عاتقي قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما جزيتها ولو طلقة.

(١) ان هنا ليست شرطيه حتى تختص علم الله بما في النفوس بما إذا كانت صالحة وإنما هي وصلية.

وقد وصف داود وسلمىن وأيوب بالأواب ، وبطبيعة الحال أو أب حفيظ **﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيظ﴾** (٥٠ : ٣٢) فهم أوابون فيما قصرروا ، دون تقصير ينافي العصمة ، والمقصرون كمن لم يراع حق الوالدين ليسوا من الأواب الحفيظ اللهم إلا في صلاح نفوسهم ، فهناك أواب صالح حفيظ نفسياً وعملياً كأمثال داود وسلمىن ، وهنا لك أواب صالح حفيظ نفسياً يتوب إلى الله إصلاحاً عملياً ، ومن ثم أواب غير صالح ولا حفيظ ، لم يعد الله له غفراناً اللهم إلا إذا آت وتاب صادقاً وain أواب من أواب وغفران من غفران ، غفران يستر القصور ، وآخر فرضه الله على نفسه وثالث قد يكون من فضله ، وقد يشمل الأوابين الطوائف الثلاث مهما تصدرت الآية بالوسطى ، اللهم إلا الأوابين غير الصالحين الذين لا يتوبون إلا كالمستهزئين . إذ لا يرجعون في أوبتهم عمما قصرروا . فـ «الأوابون هم التوابون المتعبدون» ^(١) ومن سنتهم «الورع والاجتهاد وأداء الأمانة وصدق الحديث وحسن الصحبة وطول السجدة» ^(٢) والأوابون قوم خصوص حتى في صلاتهم ^(٣) .

وهذه الآية هي الوحيدة حيث تحمل الأوابين بصورة عامة ، دون أواب حفيظ او أواب نبي ، وإنما «الأوابين» فقط حيث تشملهما وغيرهما إذا كان صادقاً في أوبته وتبته.

(١) نور التقلين ٣ : ١٥٣ عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام). يقول في الآية : هم ...

(٢) المصدر عنه (عليه السلام) قال : يا أبا محمد عليكم بالورع و... وكان ذلك من سنن الأوابين.

(٣) المصدر هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : من صلى أربع ركعات في كل ركعة خمسين مرة

قل هو الله أحد كانت صلاة فاطمة (صلى الله عليه وآلها وسلم) وهي صلاة الأوابين.

(١) ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيرًا (٢٦). إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيَاطِينُ لِرَبِّهِ كُفُورًا (٢٧).﴾

في الأمر بإحسان الوالدين أتى بالجمع ، فلم يخص الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالأمر بل ولم يعمه凡ه فقد والديه قبل الوحي بردح بعيد من الزمن ، ثم هنا يختصه بالأمر وان شمل كافة المكلفين على نحو القضية الحقيقة ، حيث يناسبه من جهات عدة نأتي عليها ، والى ﴿لَا تَجْعَلْ يَدَكَ ... إِنَّ رَبَّكَ ...﴾ ثم يعمم النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق وقرب الزنا وقتل النفس وقرب مال اليتيم ، كما ويعمم الأمر بوفاء العهد والكيل والوزن بالقسطاس المستقيم ، دون أن يخصه او يعممه هذا او ذاك لنزاهة ساحته عن هذه وتلك ، ويرجع أخيرا الى خطابه كما في ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ في ﴿وَلَا تَنْفُضْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ و ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ و ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِهْرَاءَ آخَرَ ...﴾

فقد يشمله او يخصه امر او نهي يناسب امره ونفيه على وجه لا ينافي ساحة نبوته وعصمته ، ام لا يخصه او يشمله فيما لا يناسبه على اي وجه ، كالقتل والزنا ام ماذا؟ وظاهر الخطاب المفرد موجه إليه أولا ثم إلى سواه ، إلا إذا لم يناسبه فعلى نحو القضية الحقيقة لكل مكلف دونه ، وظاهر الخطاب العام يشمله كذلك إلا ...
هنا يؤمر هو أولا بأوامر ثلاثة : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ...﴾
ترى ومن هو «ذا القربى»؟

(١) وأن المقدرة هنا قضية العطف على الا تعبدوا ليست الا مفسرة : ان آت ، حيث الناصبة تختص المستقبل ، ولعلها تصلح قرينة على السابقة لها ايضا مفسرة فلا تقدير . إذا . للباء إطلاقا ، وكافة الموارد المذكورة مصاديق لتفسير القضاء الأول .

انه صاحب القرابة الأدنى ، والأولى والأولى بالرسول نسبيا ورساليا ، ان يؤتي حقه روحيا وماليا ، كما آتى فدكا لأقرب ذوي قرباه فاطمة^(١)

(١) الدر المنشور ٣ : ١٧٧ - اخرج البزار وابو يعلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَآتَيْتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...﴾ ، دعا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاطمة فأعطتها فدكا . وفيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت اقطع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فاطمة فدكا . ورواه مثله في جمع الفوائد عن أبي سعيد وينابيع المودة للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي ص ١١٩ وفي شواهد التنزيل حديث ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ مثله .

وفي نور التقلين ٣ : ١٥٤ ح ١٥٦ عن عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المؤمنون في الفرق بين العترة والامة حديث طويل وفيه في قول الله تعالى ﴿وَآتَيْتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ خصوصية خصمهم الله العزيز الجبار بما واصطفاهم على الامة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : ادعوا لي فاطمة فدعى لها فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يا فاطمة قالت : ليك يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : هذه فدك هي مما لم يوجد عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين فقد جعلتها لك لما امرني الله به فخذ بما لك ولو لولدك . وفيه عن الكافي عن علي بن أسباط قال : لما ورد ابو الحسن موسى على المهدى رأه يرد المظالم فقال : يا امير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له : وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال : ان الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فدك وما والاها لم يوجد عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ﴿وَآتَيْتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ ولم يدر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من هم فراجع في ذلك جبرئيل (عليه السلام) فدعاهما رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال لها : يا فاطمة ان الله امرني ان ادفع إليك فدك قالت : قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك فلم ينزل وكلاءها فيها حياة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلما ول ابوبكر اخرج عنها وكلاءها فأئته فسألته ان يردها فقال لها : ايتبني بأسود او احمر يشهد لك بذلك فجاءت بأمير المؤمنين (عليه السلام) وام ايمان فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض ...».

أقول وروایات أصحابنا فربية الى متواترة في قصة فدك فلا نطيل .

ووصى فيها خيرا : «فاطمة بضعة مني وأنا منها فمن آذها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» مؤنة مالية لكي تستغنى هي وزوجها والأئمة من ولدها ، معونة في بث الرسالة الإسلامية ، ومعونة روحية تعرفها بها الأمة المرحومة.

وانه علي عليه السلام حيث آتى حقه من التربية في حضنه وحضارته لحد قال : ولدي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وزوجه بضعته فاطمة إذ لم يحق لها غيره ولم تتحقق له غيرها ، ثم آتاه حق الوصاية والخلافة ^(١)

كما وآتى عترته المعصومين حقوقهم أن جعلهم خلفائه من بعده تلو بعض ^(٢). إن ذوي القرى المأمور بaitائهم في القرآن كثير حيث يؤمر المكلفوون بaitائهم والإنفاق عليهم ، ولكن ذي القرى المأمور بaitائه في أمر شخصي ليس إلا هنا وفي الروم : ﴿فَاتِّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّيِّلِ ذَلِكَ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٠)

(٣٨) :

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٣ في اصول الكافي يسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ثم قال جل ذكره : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ وكان علي (عليه السلام) وكان حقه الوصية التي جعلت والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة.

وفيه عن أبي الطفيل عن علي (عليه السلام) قال يوم الشورى : أفيكم احد تم نوره من السماء حين قال : وآت ذا القرى حقه والمسكين؟ قالوا : لا.

(٢) الدر المنشور ٣ : ١٧٦ . اخرج ابن حجر عن علي بن الحسين (عليه السلام) انه قال لرجل من اهل الشام : أقرأت القرآن؟ قال : نعم . قال : ألم قرأت فيبني إسرائيل : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ قال : وانكم للقراءة الذي امر الله ان يؤتني حقه؟ قال (عليه السلام) : نعم ورواه مثله الشعبي عن السدي عن ابن الدileyمي قال قال علي بن الحسين (عليه السلام) لرجل من اهل الشام (البرهان ٢ : ٤١٥ . ٣).

وهي محتفظة في ذيلها وما قبلها وبعدها بعموم دون خصوص^(١).

ومكية الآية في السورتين لا تنافي القرابة الخاصة ، حيث أخذ في الإيتاء منذ مكة لعلي وفاطمة تربويا ، وحتى المدينة إيتاء لفديتها وخلافته ، او تكون إحداهم مكية والآخر مدنية! ومكية السورة لا تنافي مدنية آية او آيات منها.

ولا نجد في آيات ذوي القرى . كما اليتامى والمساكين وابن السبيل . حقا خاصا لذى القرى إلا هنا وفي الروم ، في خصوص قري الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فإذا فلهم حق خاص ليس لسائر ذوى القرى أمن ذا ، يعبر عنه هنا بـ «حقه» وفي آيات المودة ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ ما يختصهم بحق لا يشاركون فيه أحد من العالمين ، فليس إذا من الحقوق المالية . فقط . حيث يشاركون غيرهم كما في آيات ذوى القرى ام من ذا؟ ، فاما هو حق من بيت الرسالة الإسلامية هو استمراريتها في خلافتها المجيدة ، مهما شمل بطياته حقا ماليا للصادقة الطاهرة كفده ، هي بلغتها زوجها وأولادها المعصومين ، كمعونة لبيت الرسالة فان دنياهم آخرة.

ثم لا تشترط المسكنة في واجب الإيتاء الا في المسكين أحواليا وإلا في ابن السبيل حاليا ، فيؤتي ذو القرى لقرابته واليتيم ليتمه وابن السبيل لضرورته ، سواء أكانوا فقراء أم من ذا ، ثم وهؤلاء درجات كما وذوا القرى درجات وعلى حد قول الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «ابدا

(١) فذيلها «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ» وقبلها «أَوْلَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» وبعدها «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لَيَرُبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةً ثُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ».

من تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك ^(١).

ثم ولا يخص الإيتاء إيتاء المال بل ومطلق الإحسان كما تتطلبه الظروف وال حاجيات :

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ (٤ : ٣٦) ، فإذا لا تستطع إيتاء ماليا لليتامى والمساكين فاحسن إليهما في مواجهة أو توجيه بإحسان **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهِرْ**. **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهِرْ﴾**.

وترى الإيتاء الإحسان واجب مالي أو حالي كسائر الواجبات ، نفقات أم ماذا؟ قد

يقال : لا . اللهم إلا إحسانا بالوالدين ، إذ لم يفت به الفقهاء ! ولكنه كيف لا؟ والله يأمرنا بها : **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ...﴾** (٩٠ : ١٦) ويأمر بإيتاء من سواهم والإحسان إليهم مهما كان في حق معلوم كما في نفقات أم غير معلوم كما هنا وهناك.

ثم وإيتاء الحق ماليا له حدود واجبة وآخرى راجحة ومن ثم محمرة ليس حقا وهو الإيتاء أم ماذا من صرف المال تبذيرا ، فمهما كان إيتاء حق واجبا أم راجحا فالإيتاء تبذيرا حرم يجعل المبذر من إخوان الشياطين ! **﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينَ﴾**.

وانها آية يتيمة منقطعة النظير في تحريم التبذير تحمل على وحدتها حملة قوية على المبذرين «انهم اخوان الشياطين» اخوة في شیطنة التبذير ، ثم لا نجد في سائر القرآن اخوة للشياطين إلا : **﴿وَالْخَوَاهُمْ يَدْوَهُمْ فِي الْغَيْرِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾** (٧ : ٢٠٢) **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَائِهِمْ﴾**

(١) الدر المنشور ٤ : ١٧٧ . اخرج ابن أبي شيبة عن ثعلبة بن زهد قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو ينطرب : «يد المعطي العليا ويد السائل السفلة وابداً من تعول ...

لِيُجَادِلُوكُمْ ﴿٦ : ١٢١﴾ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤْزِهِمْ أَرَاءً** ﴿١٩﴾ :
هَلْ أَنْبَئْتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . **تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكِ أَثَمِ** . **يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴿٨٣﴾ ﴿٢٢١ : ٢٦﴾ رغم أن الأخوة في الأولى للكافرين ، ثم لا أخوة وأنما ولاية وتنزل ورسالة ، والأخوة تعني المعاونة المساعدة في اصول الشيطنة ، والتبذير اخوة للشياطين ! .

هنا لك إسراف محرم أن تصرف فوق ما تحتاجه ، ولكنما التبذير هو أن تصرف فيما لا تحتاجه أنت ولا غيرك حيث لا ينفع ام ويضر فانه أنسى تبذير .

كلام حول التبذير :

فالإيتاء أيا كان قد يكون بحارة ومبادلة ، أو إنفاقا في سبيل الله دون ابتغاء جزاء ولا شكور إلا وجه الله ، فهو إذا بذر يعني بنفسه ويزداد ، أو إسراف حيث تصرف المال في الخلال فوق الحاجة ، أو تبذير حيث يكون إفقاء للبذر دون مقابل في الأولى ولا الأخرى ، فهو تضييع في بعد واحد إذا لم يضر إلا فناء البذر ، او بعدين إذا أضر زيادة على الإفقاء ، كأن تشغل أرضا سبخة مالحة صالحة لغير الزرع تشغلها بذر حيث تفني البذر فلا تشغليها لصالح غير الزرع .

ثم التبذير لا يختص المال فانه أدناه ، حيث يعم كافة النعم مادية ومعنوية ، من رميك النوى ^(١) حيث تفيد ، ومن تولية إمرة المسلمين لغير

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٧ في تفسير العياشي عن بشر بن مروان قال : دخلنا على أبي عبد الله (ع) فدعى بربط فاقبل بعضهم يرمي النوى ، قال : فأمسك ابو عبد الله (ع) يده فقال : لا تفعل إن هذا من التبذير وان الله لا يحب الفساد .

امير المؤمنين ^(١) ، فتولية الأمر أيا كان ملن يحق عدل ، وملن لا يحق تضييع تبذير ، وان كان فوق ما يحق إسراف وظلم ، وإن كان ملن يحق فعدل ، وإن كان دون ما يحق فنقصير وظلم ، وهذه كلها تجربة في كافة النعم حيث تؤتي من مال أو منال أو منصب أم ماذا؟.

فتبذير المال هو أن تتفقه في غير حقه قليلاً أو كثيراً إذ ليس هو الكثرة في الإنفاق إنما هو وضع الإنفاق وموضعه ، ونية الإنفاق وموقعه ف «من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر» ^(٢) «وما أنفقت رباء وسمعة فذلك حظ الشيطان» ^(٣) ومنه إنفاقك مالك كله **﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾** ^(٤) وهو أدنى الإسراف لحد قد لا تشمله الآية في اخوة الشياطين حيث الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعيد كل البعد عن هكذا تبذير ^(٥) اللهم إلا خير

(١) المصدر في محسن البرقي بسنده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله **﴿وَلَا تُبَذِّر﴾** قال : لا تبذير ولاية على .

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٥٦ في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله : **﴿وَلَا تُبَذِّر﴾** قال : ... ومن أنفق في سبيل الله فهو مقتضى .

(٣) الدر المنشور ٤ : ١٧٧ . اخرج البيهقي في شعب الایمان عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : ما أنفقت على نفسك واهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت فلك وما أنفقت ...

(٤) تفسير البرهان ٣ : ٤١٦ عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) في قوله **﴿لَا تُبَذِّر﴾** قال : بذلك الرجل ماله ويقعد ليس له مال قال : فيكون تبذير في حلال؟ قال : نعم .

(٥) ومن الدليل على الشمول ، ما في الدر المنشور ٦ : ١٧٧ . اخرج احمد والحاكم وصححه عن انس ان رجلا قال : يا رسول الله اني ذو مال كثير ذو اهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف أنفق وكيف اصنع؟ قال : تخراج الزكاة المفروضة فانما طهرة تطهراك وتصل أقاربك وتعرف حق السائل والجاري والمسكين فقال يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)! اقلل لي قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : فآت ذا القربي حقه .

تنزيهيا تعطفا عليه يشمله صدر الآية ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ثم الذيل ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ لا يشمله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ابدا. بل الصدر ايضا حيث التبذير هو ألا تنتفع ولا تنفع بما تدفع وقد تضر او تتضرر ، وليس منه إنفاق مالك كله في سبيل الله فتقعد ملوما محسورا ولا إنفاقك منا أو أذى ، ام ماذا من موارد الإنفاق التي ليست هدرا كله ولا ضرا كله ، وإن كان متنوعا منها عنه.

والنهي عن التبذير مطلق لنفسه ولمكان «تبذيرا» يشمل تبذير النفس والنفيس ، فتبذير النفس حرم أيا كان ، أن يهدى الإنسان نفسه انتحارا ام تعريضا للقتل او الجرح او المرض او أية اصابة بدنية او روحية دون مقابل موازن او هو أرجح.

كذلك وتبذير المال أن تصرفه في غير حلال او تحدره دون صرف ، ام في حلال برئاء او سمعة او من او أذى ، ام في حلال باستعمال المال ان تبسط يدك كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، مهما اختلفت اخوة الشياطين في هذه وتلك.

وباحرى منعا صرف المال فيما يضرك نفسيا ام ماذا ، كالدخان وأخواتها من سائر المخدرات ، التي تضرك ماليا ونفسيا ، وكلما كان عدم الانتفاع في الإيتاء أكثر ، والضرر أكثر ، ومن حيث الشمول أوسع فحرمة التبذير أكثر واخوة الشياطين أوفر.

ولأن ﴿مَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَمَّا يَنْعِمُهُ رِبُّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٩٣ : ١١)

والتحديث بنعمة الله إظهارها وصرفها في مرضات الله ، فتبديلها إذا يخلف شديد العقاب :

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ

. والمسكين وابن السبيل ولا تبذير تبذيرا . قال : حسيبي يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢ : ٢١﴾ تبديلا الى غير نعمة او الى كفر ونقطة : **أَلَمْ تَرِ إِلَيَّ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفُراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلُوْكُمْ وَبِئْسَ الْقُرْبَارُ** ﴿١٤ : ٢٨﴾ . ولأن «الشيطان كان لربه كفورا» فهو لاء المبذرون **كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** في كفراهم بنعم الله هدرا لها او صرفا في غير حلها.».

إذا فالتبذير في دولة او دولة ، في نفس او نفيس ، في علم ام ماذا من نعم الله تعالى كل ذلك كفران بنعمة الرب فإخوة للشياطين فتولية الأمر لمن لا يستحق تبذير ، وتوليته فوق ما يستحق إسراف ، كما أنها دون استحقاقه ظلم ، وكذلك كل امر له مثلث القصور والتقصير والتبذير.

ليس التبذير . بطبيعة الحال . إلا فيما يؤتيه المبذر ، وكما الآية تفتح بالإيتاء ، ولا يخص كما سلف إيتاء المال كما الإيتاء في الآية لا يخصه ، فقد يشمل التبذير نفس الإنسان ونفائه من علم او منصب ام ماذا ، فتعليمك علوم الدين زائدا على استحقاق المتعلم إسراف وإذا هو يصرفه في الضلال او لا ينتفع به ولا ينفع فتبذير.

فمن يحضر خط النار في جهاد الكفار ليس له تبذير نفسه او نفره او سلامه ام اية طاقة من الطاقات الحربية ، ان يعرضها للهدر دونما مقابل ، او مقابل أقل منها وأدنى ، فهذا إسراف وذلك تبذير ، ان تستأصل منك طاقة هدرا في الحرب دون استئصال من عدوك . فجهادك دون استعداد وجاه العدو ، أم في تهاون فيك وذويك أمام العدو ، ام تعرضك لجرح ام قتل دون الزام أم ماذا من حرب غير مكافحة ، إنه لا يخلو عن إسراف أو تبذير .

ولماذا التبذير فقط بين العاصي أخوة للشياطين ، لأنه يجمع كل إتلاف وتخدير يسوء بالضرر إلى الجماعة المسلمة في كل صغير وكبير .

واخوة الشياطين هذه في التبذير إنما هي في أنه كفران بنعيم الله ، وتبديلها نعما :

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢١١ : ٢) ﴿أَمَّا تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفَّرًا وَأَحْلَوْهُ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْهُمْ وَبِئْسَ الْقُرْبَار﴾ (١٤ : ٢٨) ﴿فَإِنَّ الْبَاطِلَ لَيُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكُفِّرُونَ﴾ (٦ : ٧٢) .

عبد الرحمن يحدثون بنعمته ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ﴾ (٩٣ : ١١١) واخوان الشيطان يكفرون بنعمته! .

﴿وَإِمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةِ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨) .

الإعراض «عن» هو ان تولي مبديا عرضك خلاف الإقبال ، فقد يكون غضبا ابتغا

نعمه من ربك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (٤ : ٦٣) ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُمْتَظَرُونَ﴾ (٣٢ : ٣٠) او يكون تركا للإيتاء الإنفاق إذ لم تجد ما تودي به متطلبات ذوي القربي والمساكين وابن السبيل ، وتستحي أن تواجههم فتميل عنهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةِ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لكي تؤتيهم إياها ، فكما أنك ترجوا رحمة ربك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ولكي يرجوك كما ترجو الله .

فمن القول معسور كأن تنهى فلست إذا وجاك الحاج بمعدور ، ومن القول لا معسور

ولا ميسور «ما عندي ما أحملكم عليه»^(١) فأنت هنا

(١) الدر المنشور ٤ : ١٧٧ . اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن عطاء الخراصي قال : جاءنا ناس من مزينة يستحملون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدموع حزنا ظنوا ذلك من غضب رسول .

معدور ، ولكن الأفضل أن تقول لهم القول الميسور : كعده جميلة : سأتيكم ان شاء الله ، وبصيغة اخرى ان تحسن بهم إحسانا ، ان تؤتيمهم خيرا إن كان عندك مع قول ميسور ، دون من او أذى او قول معسور.

فالسکوت عن المخاوب ، إلا إذا كان حياء^(١). أو القول : ما عندي ، إنهم لا يليقان بكرم الأخلاق وإنما قول ميسور فإنه عوض وأمل وتحمل وإن لم يتيسر له الوفاء به. وقد تعني نون التأكيد في «تعرضن» تأكيد الإعراض عند الإعواز إحياء بانه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا يكذب . ان يعد وليس عنده . في

الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فائز الله تعالى ﴿وَإِمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاهُ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ الآية قال : الرحمة الفيء .

وفي نور الثقلين ٣ : ١٥٧ في كتاب المناقب لابن شهر آشوب بعد ذكر فاطمة (عليها السلام) وما تلقى من الطحن . عن كتاب الشيرازي . إنما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : يا فاطمة والذى بعثي بالحق ان في المسجد اربعمائة رجل ما لهم من طعام ولا ثياب ولو لا خشبي خصلة لأعطيتك ما سألت ، يا فاطمة اين لا أريد ان ينفك عنك أجرك الى الجارية واني أخاف ان يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيمة بين يدي الله عز وجل إذا طلب حقه منك ثم علمها صلاة التسبيح فقال امير المؤمنين (عليه السلام) مضيئت تريدين من رسول الله الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة قال ابو هريرة فلما خرج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من عند فاطمة انزل الله على رسوله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاهُ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة ... فقل لهم قوله ميسورا يعني : قوله حسنة فلما نزلت هذه الآية انفذ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إليها جارية للخدمة وبماها فضة .

(١) اخرج ابن حبان والحاكم عن انس قال كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء وفي الطبراني الأوسط عن علي (عليه السلام) كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذا سئل شيئاً فأراد ان يفعله قال : نعم ، وإذا أراد الا يفعل سكت ولم يقل قط لشيء : لا .

مجاملات ، فوجّه هذه الختمية الصادقة الى وجهة اخرى لينة لا تنافيها ، أن يقول لهم كما يرجو رحمة ربّه : إن شاء الله : ابتغاء رحمة الله ، وأما أنا فما عندي ، وما عند الله خير وأبقى.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩)
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

هذه كنایة عن التفتیر ومن ثم التبذير حيث هما مذمومان ، نهيا عن التفريط في الإنفاق وآخر عن الإفراط فيه ، أن يتخد بين ذلك قواماً : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْثُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢٥ : ٦٧) : وقوم المال ما يقوم بالحياة دون إسراف ولا تبذير ولا تكنيز حين يحتاج صاحبه ، فاللّه تعالى في الإنفاق «حسنة بين سعيتين»^(١) ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا ثُلُقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى النَّهْلَكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢ : ١٩٥)
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾ (٢ : ٢١٩).

نصوص اربعة تحمل بطيائهما حملة على البلاء والمبذرین المسرفين ، آمرة بالتوزن الإسلامي السليم في صرف المال سليماً وابحابياً : ان يد المسلّم هي يد الإعطاء مما زاد عن حاجياته ، لا مغلولة الى عنقه ممسكاً لا يعطي ، ولا باسطة كل البسط يعطي ولا يقي ، وإنما قوام بين ذلك وعوان وتوازن هو القاعدة الكبرى في منهج الاقتصاد الإسلامي ، فالبخل غل والتبذير بسط وذل ، هما يقعد انك ملوماً تلوم نفسك ويلومك

(١) نور الثقلین ٣ : ١٥٩ عن تفسير العياشي عن الحلبی عن بعض أصحابه عنه قال : قال ابو جعفر لابي عبد الله (ع) يا بني عليك بالحسنة بين السعيتين تمحوها ، قال : وكيف ذلك يا ابا؟ قال : مثل قوله : **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ...﴾**.

وتحسرا عليها ، وانه كذلك تملأة وتضيق في الحياة لا يدعك ان تتحرك فيها .
 فآية الغل البسط ترسم البخل يدا مغلولة الى العنق لا تعطي شيئاً والإسراف والتبذير
 يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً ، وترسمهما معاً قعوداً كقعدة الملوم المحسور ، كما آية
 التملأة يجعلهما فيها جميعاً .

(١) الدر المنشور ٤ : ١٧٨٠ . اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن يسار بن الحكم قال أتني رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بز من العراق وكان معطاء كريماً فقسمه بين الناس فبلغ ذلك قوماً من العرب فقالوا نأتي النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فسألوه فوجدو قد فرغ منه فأنزل الله هذه الآية .

وفي تفسير البرهان ٢ : ٤ الكافي عن علي بن ابراهيم القمي عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال : عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ اسْمَهُ نَبِيَّهُ كَيْفَ يَنْفَقُ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ عَنْهُ أُوْقِيَّةٌ مِّنَ الْذَّهَبِ فَكَرِهَ أَنْ تَبَيَّنَ عَنْهُ فَتَصَدِّقَ بِمَا فَأَصْبَحَ وَلَيْسَ عَنْهُ شَيْءٌ وَجَاءَ مَنْ يَسْأَلُهُ فَلَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَا يَعْطِيهِ فَلَامَهُ السَّائِلُ وَاغْتَمَهُ حِيثُمَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ شَيْءٌ وَكَانَ رَحِيمًا رَّقِيقًا فَأَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ نَبِيَّهُ بِأَمْرِهِ فَقَالَ :
 ولا تجعل ... يقول : ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال قد كنت حسرت من المال .

(٢) الدر المنشور ٤ : ١٧٨ . اخرج ابن أبي حاتم عن المنهاج بن عمرو قال بعثت امرأة الى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بابنها فقالت له أكسني ثوباً فقل لها أكسني قميصك فرجع اليه فنزع قميصه فأعطاه إياها فنزلت الآية وفيه اخرج ابن جرير عن ابن مسعود وذكر مثله وفي آخره فخلع قميصه فدفعه اليه فجلس في البيت حاسراً فأنزل الله هذه الآية ورواه مثله في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) (نور الثقلين ٣ : ١٥٨) وفي تفسير علي ابن ابراهيم عن الصادق . (عليه السلام) قال : المحسور العريان ، وفي تفسير البرهان ٢ : ٤ يروي مثله عن ابن شهر آشوب باضافة هي «ويقي في داره عرياناً على حصيرة إذ أتاها بلال وقال : يا رسول الله الصلاة فنزلت الآية وأتاه بحلة فردوسية .

فليست التهلكة واللوم والحسنة في بسط اليد فقط ، فانها في غلتها أكثر وأبسط ،
وخير الأمور هو الوسط.

فالبخيل عن الإنفاق لوم وحسر وتهلكة في الدنيا والآخرة ، والإإنفاق في بسط كل
البسط إذا كان في طاعة الله قد لا يحمل حسراً وحسنة ولوماً وتهلكة في الآخرة ، وإنما قعدة
الحياة الدنيا هكذا وقد تتحطى إلى الآخرة إذا أضرت بها ، كمن ينفق بلغته في غير الواجب
، فلا ينفق على واجبي النفقة إذ لم يبق عنده ما ينفق في يعد ملوماً محسراً.

والحسير هو الدابة التي تعجز عن المسير فتقف ضعفاً وعجزاً ، كذلك البخيل يحسره
بخله فيقف ، يوقفه المخوايج عن كل حراك كما نراه منهم وجاه الأغنياء البخلاء ، وهذه
تهلكتهم من الشيوعية التي هي وليدة البخل والإجحاف بحق المخوايج .

كذلك ويhsر المسرف في إنفاقه لحد لا يقوى حاجته الضرورية شيء فيصبح فقيراً^(١)
فتثيراً^(٢).

واما ان تنفق في واجبات معينة ام في مستحبات لحد تبقى لنفسك وذويك بلغة ،
فإنفاقك إذا وسط وعفو ، أن تنفق الزائد عن الضرورة وقد يجب في الحالات الاستثنائية .

لا تفتكر أنيك إذا لم تنفق كل ما عندك فما ذا يصنع من قدر عليه رزقه وقدر ، ف

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْعُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَنْهَا﴾ ثم يأمر من بسط في

(١) نور الثقلين ٣ : ١٥٧ ح ١٧٥ . الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الإحسان الفاقة .

(٢) المصدر ح ١٨١ عن محمد بن يزيد عن أبي عبد الله قال : الإحسان الإنثار .

على غيرك.

انه يبسط ويقدر ، وإنه يأمر بالإإنفاق ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يبسط ويقدر بخيرة وبصيرة ، ويأمر بالإإنفاق الوسط خبرة وبصيرة ، وينهى عن الإسراف والتبذير والتقتير عن خبرة وبصيرة ، فليس على العباد إلا الاتتمار بأمره والانتهاء بنهيه ، لا أن يسبقوه ببسط لم يفعله هو ولم يأمر ، ولا أن يعصوه في تقتير لم يفعله ونهى عنه ، فان الله تعالى : «قدر الأرزاق فكثراها وقللها وقسمها على الضيق والسعفة فعدل فيها ليتلي من أراد بيسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها»^(١).

هنا لك واجبات مالية كضرائب مستقيمة ، وأخرى غير مستقيمة كالإنفاق للمحاويج الذين لا يجدون بلغتهم ، ومن ثم حرام أن تكون أموالا وسبيل الله بحاجة إليها ، ثم لا واجب عليك أن تسوى بينك وبين الفقراء ، فالممنوع عدم الإنفاق أو إنفاق كل ما تملك ، وأما ان تنفق الزائد عن حاجياتك الضرورية فلا يجب إلا في حالات ضرورية.

والعفو في آية العفو هو راجح الإنفاق ، واجبا كان أم راجحا ، إنفاق الزائد عن الحاجة الضرورية وهو وسط الإنفاق ، فإنفاق الزائد كله وسط أعلى ، وإنفاق الزائد بعضه وسط أو سط ، إذ يشمل الضرائب المستقيمة وغير المستقيمة ، وعدم إنفاق الزائد جعل لليد مغلولة على العنق ، وإنفاق الكل حتى الحاجة الضرورية هو بسطها كل البسط ، فتقعد في غلها وبسطها ملوما محسورا ، والإإنفاق الوسط أيا كان يجعلك محمودا محبورا.

لا تحد النبي ولا أحدا من المعصومين يجبرون او يأمرون الأثرياء من

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام).

حلّ ان يسواو بينهم وبين الفقراء بعد أداء واجباتهم المالية ، اللهم إلا تحريضا على نافلة الإنفاق.

إنما المجرر على الإنفاق هو المقصري في أداء واجباته المالية ، او في تحصيل أمواله سرقته او غصبا او بخسا او احتكارا او اجحافا على العمال ام ماذا من أموال هي للشعب او لأشخاص خصوص ، وأما الأموال التي حصلها من حلها وادي واجباتها ، غير الواقفة والمكنوزة ، فلا تحل مصادرها ، ولا يجب إنفاق ما زاد عن ضرورة الحياة اللهم إلا لضرورة إسلامية هي أخرى شخصية أو جماعية.

وإنفاق الكنز في سبيل الله أعم من إنفاق الأصل او الفرع الحاصل بالعمل فيه حسب مختلف الحاجيات ، وإذا لم يوجد مورد لأي إنفاق فلا محظوظ في كنzel المال ولكن موجود على أية حال حيث الحاجيات والمحاويج متوفرة على طول الخط.

ثم قد تشمل آية الغل والبسط تحصيل المال ومصرفه لصاحبها وإنفاقه ، فغل اليد عن كل سعي وحرك في تحصيل الرزق وكذلك بسطها ان يصبح بكل طاقاته سعيا في طلب الرزق من نوع ، كما وان غلتها عن مصرف المال وبسطها من نوع ، نهيا عن التفريط والإفراط في هذا المثلث ، واما بالوسط القوم بين ذلك ، وكان بين ذلك قواما.

هذه الأوامر والنواهي قد تختص او تشمل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كما يناسب ساحته القدسية وكما يروي عن باقر العلوم (عليه السلام) أنها «أدب وعظة وتعليم ونهي خفيف ولم يعد عليه ولم يتواتد على اجترار شيء مما نهى عنه. وأنزل نهيا عن أشياء حذر عليها ولم يغلوظ فيها

ولم يتواتد عليهما»^(١) اللهم الا التبذير ، فانه أخوة للشياطين فلا يشمله إلا بسطا كل البسط ، وليس منها! ام التقتير ولم يكن منه طول حياته المشرفة.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَاتْلَهُمْ كَانَ خِطْبَأً كَبِيرًا﴾ (٣١).

الإملاق هو الإنفاق او كثرته لحد الافتقار و «الإفلاس»^(٢) تستعمل لازما ومتعديا ، وخشية إملاق كما تعني إفلاس الآباء بالإنفاق. كذلك تعني إفلاس الأولاد ، فأية خشية لإملاق الآباء أو الأبناء ام كليهما لا تقتضي قتل الأولاد كما لا يقتضي إملاق الإنسان دون ولد أن يقتل نفسه حيث الكافل للارزاق إنما هو الله.

وترى لماذا هنا خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ... وفي الانعام **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾** (٦ : ١٥١)؟

إملاق الأنعام هو واقعه دون ما هنا فانه خشيته ، فواقع الإملاق هو للأباء فلكي لا يزداد إملاق على إملاق كانوا يقتلون أولادهم تخفيقا لوطعة الإملاق ، والحل هو **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾** ابتداء بكم حيث الولد يأتي برزق والديه ، ثم إياهم ، كما يأتي برزقه ، إذا يزول إملاقكم بأولادكم ثم لا يكونوا أمثالكم في إملاقكم.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٠ في اصول الكافي بسنده متصل عنه (عليه السلام) في حديث طويل يفسر آيات القضاء تفسيرا اجماليا شموليا.

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٦٠ عن تفسير العياشي عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : الحاج لا يملق ابدا قال قلت : وما الاملاق قال : الإفلاس ثم قال : **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾** ورواه مثله عن أبي ابراهيم (عليه السلام) ايضا.

وَالْإِمْلَاقُ هُنَا هُوَ خَشْيَتِهِ أَنْ يَمْلَقُكُمْ^(١) أَوْ لَادِكُمْ بِكُثْرَةِ الإنْفَاقِ فَتَفَلَّسُوا ، وَالْحَلُّ
 نَرْزُقُهُمْ^{﴿﴾} فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى إِنْفَاقِكُمْ ، ثُمَّ «وَإِيَاكُمْ» يَزِيدُكُمْ مَالًا عَلَى مَالٍ وَلَكِيْ لا
 يَكُنَ الْوَلَدُ وَبَالًا.

إِذَا^{﴿﴾} قَاتَلُوكُمْ كَانَ حِطْأً كَبِيرًا^{﴿﴾} خَطْأٌ فِي أَصْلِهِ حِيثُ الْقَتْلُ دُونَ ذَنْبٍ خَطْأً ، ثُمَّ
 خَطْأٌ عَلَى خَطْأٍ هُوَ الْإِمْلَاقُ أَوْ خَشْيَتِهِ إِسَاعَةِ الظُّنُونِ بِاللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ لَا أَنْتُمْ .
 فَكَمَا أَنْكُمْ مِنْ مَجَارِيْ وَأَسْبَابِ ولَادَةِ الْأَوْلَادِ فَلَسْتُمْ لَهُمْ بِخَالِقِينَ ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْ
 اسْبَابِ وَمَجَارِيْ رِزْقِهِمْ فَلَسْتُمْ لَهُمْ بِرَازِقِينَ .

وَتَرَى إِنْ قَاتَلَ الْأَوْلَادُ مِنْ إِمْلَاقِهِمْ أَوْ خَشْيَتِهِ هُوَ هُوَ وَأَدَّ الْبَنَاتَ كَمَا قَدْ يَخْتَلِلُ إِلَى بَعْضِهِمْ؟
 كَأَنَّهُ لَا ، فَهُنَا الْأَوْلَادُ وَهُنَاكَ الْأَنْثَى ، وَهُنَا السَّبِيلُ إِمْلَاقُهُمْ أَوْ خَشْيَتِهِ إِمْلَاقُهُمْ وَهُنَاكَ الْمَهْوَنُ :
 ﴿أَئِمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ﴾ (١٦ : ٥٩) وَإِذَا اجْتَمَعَ السَّبِيلُانِ فِي الْأَنْثَى فَلَا
 يَجْتَمِعُانِ فِي الذِّكْرِ .

﴿وَلَا تَقْرِبُوا الرِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

هُنَا الزِّنَا لَا يَقْرُبُ لَأَنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ، وَفِي الْفَرْقَانِ يَرْدِفُ بِالشَّرْكِ وَقَتْلِ
 النَّفْسِ وَيَوْعِدُ لِلثَّلَاثَةِ مَضَاعِفَ الْعَذَابِ وَخَلُودَ النَّارِ : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا
 يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضَاعِفُ لَهُ
 الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٢٥ : ٦٩) وَفِي الْمُتَحَنَّةِ يَرْدِفُ بِالشَّرْكِ وَالسُّرْقَةِ
 ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَأِغْتَنِكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَرْزُنَ...﴾ (٦٠ :
 ١٢) مَا يَجْعَلُ الزِّنَا كَالشَّرْكِ بِاللَّهِ وَالْقَتْلِ وَالسُّرْقَةِ . كَمَا أَنَّهُ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا .

(١) فَإِمْلَاقُ الْأَنْعَامِ لَازِمٌ وَهُنَا مُتَعَدّدٌ .

فكم الإشراك في ناموس الألوهية ظلم عظيم ، كذلك الإشراك في ناموس الإنسانية ظلم عظيم حيث تمجّه الفطرة وغريزة كل حيوان إلا الخنزير ! .

وكما أن سرقة المال ظلم فسرقة الناموس كذلك بل هي اظلم وأنكى ! .
وكما القتل ظلم كذلك الزنا قتل من جهات شتى ، ولذلك تراه ردوا عطفاً متصلًا في الممتحنة ، وهنا تتوسط آية التنديد به آيتي النهي عن قتل الأولاد خشية إملاق ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وليس هذا التوسيط وذلك الردف إلا لصلة قريبة بينه وبين القتل ، بل وفي الزنا قتلالات وقتلالات من نواحي شتى .

فإنه قتل في البداية لشرف النفس الإنسانية وفطرتها في هكذا تبذل لممارسة الجنس كسفاد الحيوان وأضل سبيلاً ، وقتل ثان حيث يراق ماء الحياة في غير موضعها ، وثالث لبذر النسل حيث يهدى إذا لم ينسل ، ورابع قتل الجنين قبل تخلّقه أو بعده ، قبل الولادة أو بعدها ، ولكن لا يحمل عامل الزنا عبيه وعباه ، وخامس حين يترك الجنين لحياة شريرة شرسة ، مهينة بئيسة تعيسة ، ضاغطة في المجتمع متخللة ، وسادس قتلا للجماعة التي يفشوا فيها فتضييع الأنساب والمواريث والمواد وصلات القرابات ، وسابع أن سهولة قضاء الشهوة وتنوعها بالدعارة قطع لتداوم الانسال والاسرة التي هي محض لصالح الحياة الإنسانية ، مما يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة إليها ، على عبيها وحملها ونفقتها وسائل أثقلها ... أبواب جهنمية سبع يفتحها الزنا على عامليه والمجتمع الذي يحويه أو يحميه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاجِحَةً﴾ .

وقد صدق الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث يقول : «ما

من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له»^(١)
لأنه قتل في جهات قتلات وقتلات.

آتينا هذه تنهى عن قرب الزنا ، لا فحسب الزنا نفسها ، ترى وما هو اقتراب الزنا
قبل اقترافها. ام هما واحد؟

إن قرب الزنا كقرب مال اليتيم والصلة وأنتم سكارى المنهي عنها ، هو اقتراب
معداها ومقدماها الموصلة بطبيعة الحال إليها ، والمعاصي حمى الله فمن حام حول الحمى أو
شك أن يدخل فيها ، وهكذا الفواحش كلها : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
... وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٦ : ١٥٢ - ١٥٣) ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَةَ
وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (٤ : ٤٣) فمن قرب الصلاة دخول المساجد فإنه محرم على السكران
والجنب ، ومن قرب مال اليتيم استدانة ماله دون عائدة اليه ، إلا بعائدة هي احسن ، ومن
قرب الزنا نظرة إلى غير ذات محرم فغمزة فلمسة قبلة ومن ثم العياذ بالله ، فالمقدمات القريبة
إلى الزنا حيث تحسب قريها محرمة ، كما البعيدة مكرهه كالجلوس في مجلس متاثر بحرارة غير
ذات محرم ، ثم لا بجد نهيا عن أي محرم إلا اقترافه دون اقترابه ، اللهم إلا مقدمات موصلة
إليه قطعا ، وأما هذه الثلاث فاقتراها محرم مطلقا حتى ظني الوصول منها لحد يعتبر النظر
المتعمّد إلى غير ذات محرم من الزنا وإن لم يوصل اليه ، مبالغة في التحرز ، لأن الزنا تدفع
إليها شهوة عنيفة فالتحرز عن المقارفة أضمن لمنع المقاربة. ولماذا هذه الحمية الشديدة؟!
﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ فـ«إن» تؤكد و «كان» تضرب تأكيد الحرمة إلى

أبعد أغوار الزمن الغابر منذ بزوغ الرسالات الإلهية.

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٠ . اخرج احمد و ابن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي (ص) ...

﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ والفاحشة هي المعصية والمظلمة والفعلة المتجاوزة الى غير فاعلها
 ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ (٢ : ١٣٥) والتجاوزة قبحا عن
 حد المعاصي وحتى كبیرتها : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَم﴾ (٥٣ : ٣٢)
 ففي منتهى المعاصي ومثلتها ، الفواحش هي «أكبر الكبائر» (١) وأفحشها.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦١ ح ١٨٨ في تفسير علي بن ابراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله :
 ولا تقربوا الزنا إن كان فاحشة يقول معصية وتفتاً فإن الله يمتنعه ويغضبه قال وساء سبيلا وهو أشد الناس عذابا
 والزنا من أكبر الكبائر .

وفي الدر المثور ٤ : ١٧٩ . اخرج ابو يعلي وأبي مردويه عن أبي بن كعب انه قرأ : ولا تقربوا الزنا انه كان
 فاحشة ومقتها وساء سبيلا إلا من تاب فن الله كان غفورا رحيمـا فذكر لعمر فسألـه فقال أخذـها من رسول الله
 (ص) وليس لك عمل الا الصدق بالبـقـيع ، أقول : «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنًا وَسَاءَ سَبِيلًا» مذكورة في آية النساء :
 ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء الا ما قد سلف ... وليسـتـ في الزـنا!

وفيه اخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قال قتادة عن الحسن ان
 رسول الله (ص) كان يقول : لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا يتنهـبـ حين يتنهـبـ وهو مؤمن ولا يسرقـ
 حين يسرقـ وهو مؤمن ولا يشربـ الخمرـ حين يشربـ وهو مؤمن ولا يغـلـ حين يغـلـ وهو مؤمن قـيلـ يا رسول الله
 (ص) والله ان كـنا لنـرىـ أنه يـأتيـ في ذلكـ وهو مؤـمنـ؟ فـقالـ (ص) إـذاـ فعلـ شيئاـ من ذلكـ فقدـ نـزعـ الإـيمـانـ منـ قـلـبهـ
 فإنـ تـابـ تـابـ تـابـ اللهـ عليهـ .

وفي عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا (ع) الى محمد بن سنان في جراب مسائله في العلل :
 وحرمـ الزـناـ لـماـ فـيـهـ مـنـ فـسـادـ مـنـ قـتـلـ الـأـنـفـسـ وـذـهـابـ الـأـنـسـابـ وـتـرـكـ التـرـبـيـةـ لـلـأـطـفـالـ وـفـسـادـ الـمـوـارـيـثـ وـمـاـ أـشـبـهـ
 ذلكـ منـ وـجـوهـ الـفـسـادـ .

في كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) انه
 قال في وصية له : يا علي في الزنا ست خصال ثلاثة منها في الدنيا .

فالفاحشة هي عصيان متجاوز حده ، وظلم متجاوز فاعله الى مفعول به او الى الجماعة والى الناشئة ، وهي تعم القولة الفاحشة والفعلة والعقيدة الفاحشة ، وقد ذكرت في سبعة عشر موضعًا من القرآن ، في مثلث من أبعادها ، مما تختص بالزنا ، ام تشملها وغيرها من لواط وسواء ، وما لا تشملها كالتالي في نساء النبي وقوم لوط.

وعل «كان» الماضية إشارة إلى أن فاحشة الزنا لا تخص هذه الشريعة ، بل هي

فاحشة في عمق التاريخ وحتى بين غير المليين كما تشهد بذلك شرعاً (١).

﴿... إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ حيث الزنا تقطع وتنهى سبيل الإنسانية جماعة

وفرادى ، من سبيل الفطرة الإنسانية المحبولة في جوهر الذات على الإختصاص في الأهل
كلما بل هو أخرى وأسمى ، حيث يرى الذب عن الأهل وصيانتها من اي انتهاك فرضة
كما يصون نفسه بل هو أقوى ، وهذه الغريزة ليست حسداً وشحاً بل هي غيرة نجدها حتى

في

. وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق واما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار.

فيه عن علي (ع) قال : أربعة لا يدخل منها واحدة بيت إلا خرب ولم يعمر : الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا.

(١) في شرعة التورات كان عذاب الزاني القتل وعداب الزانية الرجم وفي القوانين القديمة بين المندوب ، الزاني يحرق والزانية تلقى بين الكلاب لتفترسها وفي قانون (ليكوروس) عقوبة الزاني كالذي قتل أباً وفي قانون الروم يعدم الزانيان وكانت الزانية في انكلترا يساق بها في البلدان فتضرب حتى تموت وفي آشور كان جزاء الزنا الغرق وفي بعض القوانين الصلب وفي القانون القديم المصري القتل وكان المفتون الشهير الاسبارتي (ليكورك) يستباح عملية الزنا لحد يرى أنه لا يطرح اسمها في القانون.

الزانين حيث يغارون على الزانية بعضهم على بعض فكيف بأهليهم الخصوص؟

﴿وَسَاءَ سَبِيلُ﴾ في تداوم الانسال كما وإتيان الرجال قطع لهذه السبيل **﴿إِنْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾** (٢٧ : ٢٩) سبيل التناسل وسبيل الزواج ، حيث النكاح سبيل لتشكيل العائلة والناشرة ، فإتيان الرجال قطع لهذه السبيل ، وكذلك الزنا أو هو من أضل سبيل ، فانقطاع النسل أقل خطرا من نسل الزنا ، حيث الاختلاط في الانسال قطع لسبيل المودات بين الأبوين والأولاد لمكان التشكيل ، وقطع لسبيل التوارث ، وقطع لسبيل النكاح وتبني العائلة حيث الرخصة في قضاء الشهوة بالزنا والتنوع فيها تقطع سبيل تشكيل العائلة على عباء النفقة وتربيه الأولاد ومقاسات المشقات في حراسة الأهل والأولاد ، رغم أن الزواج يزيد في الرزق كما «الزنا يورث الفقر» ^(١). وقد قيل لبعض هؤلاء لم لا تتزوج؟ فقال : وماذا اصنع بالزواج وجماعات من النساء نسائي ^(٢).

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٠ . اخرج الطبراني والحاكم وأبي عدي والبيهقي عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : الزنا يورث الفقر.

(٢) وإليكم طرفا من اشاعة فاحشة الزنا بين الغربيين والمتغيرين وما خلفته من عار ودمار : ففي فرنسا أصبحت امراض المقاربة خلال عشر سنين بين الناشئة الأقل من عشرين سنة ٣٨٠ في المائة ^(١) وفي امريكا وانكلترا يعلن وزارة الصحة ان امراض المقاربة أخذت تسرع في الناشئة أكثر من الزانيات الرسميات ^(٢) وتكتب جريدة (سان لندن) حسب إعلان قسم الجراحة في لندن ، في كل أسبوع خمسون بنتا في أقل من ١٤ سنة تسقط جنينها ^(٣) وفي (زن

(١) زن روز العدد ٤٠٣ .

(٢) مجلة الاطلاعات العدد ١٤٣٨٥ و ٣٠ و ٢ و ١٣٥٣ .

(٣) مجلة جوانان ٣٠ بمن ص ٣٣ .

ففي التناصل بالزنا سبيل التقاطع والتشاجر ، وفي تركه بسقوط الجنين سبيل للقتل وقطع النسل ، وفي منع الولادة سبيل للضغط على الفاعلين ، وفي هذه الشركة النحسية في التواميس قطع لسبيل المودة وفتح لسبيل العناد ولسبيل تفشي الأمراض الخلقية والجسمية وكل فساد.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

لهذه وتلك كما تمنع الآيات عن اقترافه كذلك المنع عن اقترابه ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الرِّزْنِ﴾ وعن مشجعاته كالتناكح بين المؤمنين والزنانيات والزانين والمؤمنات كما في آية النور : ﴿الرَّازِنِيَّةُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَّةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّازِنِيَّةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانِيًّا أَوْ مُشْرِكَّهُ وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِيَّنَ﴾ (٢٤ : ٣).

حيث تقرن الزاني بالمشاركة ، ثم تحرم التناكح بين المؤمن والزنانية كما المشاركة ، وبين المؤمنة والزاني كما المشاركة مما يجعل فاحشة الزنا كفاحشة الإشراك بالله . ومن ثم آية المائدة تحلل المحسنات من الذين أتوا الكتاب على المسلمين كما تحلل المحسنات من المؤمنات ، دون الزانيات وان كن من

روز العدد (١١٠٩) مع توفر الأدوية المختبرعة الجديدة والعلاجات الدقيقة وجود أكثر من ٦٥٠ مستشفى الخاصة بامراض المقاربة نجد ٤٠٠٠ ماتوا بسبب هذه الأمراض وفي (جريدة اطلاعات ٦ . ١١ . ٥٥) من كل سنة ، تحبل مليون بنتا تدرس في امريكا ٣٠٠٦٠٠٠ منها دون ال (١٥) من العمر والباقيه بين ١٦ - ١٩ سنة ، ومن السنة ١٩٦١ لحد الان (١٥) سنة أصبحت المواليد غير المشروعة من البنات بين ١٦ - ١٧ سنة تزيد على ٧٥٪ ، وثلث الأجنبية المسقطة يختص بالناشئات (٤) ونجد في لندن في كل سنة ٥٠٠٠ سقطا جنائيا (٥). وفي امريكا سنويا حوالي مليون عملية إسقاط جنين من الروابط غير المشروعة (٦).

(٤) جريدة اطلاعات ٦ / ١١ / ٥٥ .

(٥) جريدة كيهان العدد ٥٣٥٦ .

(٦) مجلة سبيك وسياه العدد ٣٧٠ .

ال المسلمات : ﴿ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ... ﴾ (٥) :

٥) وهي آخر ما نزلت ، ناسخة غير منسوبة .

ثم آية النساء في تحريم الحارم نسبيات ام سبييات ورضاعيات تحلل ما وراء ذلك على شرط الإحسان : ﴿ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا قَرَأَ ذِلْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ خَيْرٌ مُّسَافِرِينَ ... ﴾ (٤) وهذا التحليل اضافة الى كونه نسبيا لا اطلاق فيه مستقرا ظاهرا ، إنه محدد بالإحسان : إحسان المنكوبة والناكح ، وتقييده باحسنان الناكح مخالف لتصريحة آية النور والمائدة ، فنكاح الزانيات قبل التوبة محرم على المؤمنين كإنكاح الزانين بالمؤمنات ، اللهم إلا إذا تابت او تتوب ام تاب او يتوب فحل ، وقد يجحب نكاح الزانية إذا كان نحيانا عمليا عن الزنا ، او يكره إذا كانت متهمة دون اثبات ، واما الشهير والشهيرة دون توبة او انتهاء عن الزنا فإنكاحها بمؤمنة ونكاحها المؤمن محرم يعتبر ردفا بالزنا ، فانه تشجيع للزنا ، ومسايرة وما شاء فيها ، ولا اقل يكون هذا التماungan نحيانا عمليا عن الزنا ، لكي يرى مقتوف الزنا نفسه في زاوية منعزلة عن الحياة الشريفة الإسلامية ، في جو الدعاارة او الشرك ، ولكي يتنهى عن الزنا إن كان مسلما له بقية او بغية من الإيمان .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٣٣) .

النفس هنا هي الإنسانية دون سائر الحيوان حيث النفس لا تأتي في سائر القرآن إلا للإنسان ، اللهم إلا في يتيمة تعني ذات الله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ وهي غير معرضة لقتل وأمثاله !

فمن النفوس الإنسانية ما حرمها الله تعالى لحد لا يحق قتلها بأي سبب كالصالحين الذين لا يأتون بسبب لقتلهم بالحق ، فلا يقتلون إلا مظلومين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

يُأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ (٣ : ٢١).

ومنها ما حرمها مبدئياً فلا تستحق قتلاً إلا بالحق ، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه ، وليس متوكلاً للأراء وتأثيرات الأهواء ، وهذه هي المعنية بـ ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

ومنها غير المحرمة مبدئياً كمن يعيش صدراً عن سبيل الله ، تكذيباً بآيات الله ، حرباً لدين الله ، فهذه لا حرمة لها عند الله ، وهي المعنية بالنفس التي لم يحرّمها الله.

ولا نرى النهي عن قتل النفس في سائر القرآن إلا موصوفة بـ ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ كما هنا وفي الانعام (١٥١) بصيغة واحدة : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وفي الفرقان : ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٦٨) ولكن في النساء : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) حيث المخاطبون هم المسلمون المحرمة أنفسهم عند الله. وتتميز آية الأسرى بذيلها ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا ...﴾.

فإذا تبين حق على النفس التي حرم الله . يحكم بقتلها . فقتلاً ، وإذا لم يتبيّن فلا تقتلوها حيث الحق غير ثابت ، وإذا تبيّن في ميزان الله أنه لم يحرّمها فقتلاً ، وإذا ترددنا في حرمتها أو حلها في أصلها ، هل هي صادقة عن سبيل الله ، مكذبة بآيات الله أم ماذا؟ فلا يحل قتلها ، وإن كان النهي في آياته لا يشملها ، حيث القتل كسائر التجاوز ماليًا أم عرضياً أم ماذا بحاجة إلى تجويف ، فالأصل في النفوس والأموال والأعراض حرمتها وعدم حل التجاوز عليها إلا بدليل قاطع قاصع لا مرد له ولا حول عنه.

إنه حسب التكوين ودليل العقل حق لكل نفس أن تحب مبدئياً حيث أحياها الله ، فلا يحق القضاء عليها إلا بقضاء الله ، وفيما نشك فيما علينا وما لنا أن نحي ما أحياه الله.

صحيح أن الأصل في كل شيء حله حتى يتبيّن غير حله ، ولكنما الأصل في خصوص التجاوزات عدم الحال كما العقل والشرع يتباينان.

والنفس المشكوك حلها وحرمتها وإن كان محرما قتلها ظاهريا ، ولكنها ليست بالتي قتلت ظلما ل مكان الشك ، فلا يشملها ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا ...﴾ فبدليل تحريم ظاهريا وبدليل تحل واقعيا ، وفيما لا دليل على حل أو حرمة تبقى على أصلية الحرمة ، وإن كانت آيات النهي لا تشمل الأخير ، ولكن الآية : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾ ومعها دليل العقل ودليل الأصل ، تنهى وإن كان ظاهريا.

فالضابطة القرآنية في قتل النفس أنه لا يجوز إلا بحق ثابت كردة عن فطرة أو قتل عمد ام لواط ام زنا محصن ام ماذا من مجوزات او موجبات القتل المحددة شرعا.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا﴾ نفس محرمة محترمة لا حق ثابتتا عليها ، كمؤمن متهم بحق غير ثابت ، ام لا حق عليها وإنما لها كالشمس في رايحة النهار ، مثل النفوس المقدسة الطاهرة المعصومة ، المقتلة المحطمة المظلومة ، علي والحسن والحسين (ع) وسائر العترة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ^(١).

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا﴾ فلو لي الدم سلطة شرعية محددة في ميزان الله ، لا تفرط عليه : ألا يحق له قصاص ام دية ، ولا إفراط له : ان يسرف في القتل ، قتلا لغير القاتل قل او كثر ، او قتلا للقاتل زائدا عما

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٢ ح ١٩٥ في من لا يحضره الفقيه عن أبي عبد الله (ع) قال : الكبار سبع فينا أنزلت ومن استحلت . إلى قوله . : واما قتل النفس التي حرم الله . فقد قتلوا الحسين بن علي وأصحابه والعياشي في تفسيره عنه (ع) بسند آخر في الآية : فقد قتلوا الحسين في أهل بيته .

قتل ، وإنما قتلا بقتل في كمه وكيفه دون إفراط ولا تفريط ، بل هو عوان عادل ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ :

ليس لولي الدم إسراف في القتل ولماذا يسرف؟ أهمية على المقتول؟ فليست لتدفعه إلى إسراف في القتل في ميزان العدل ، ام للأخذ بأثره ويكفيه بسلطانه الشرعي قصاصه ، ام يسرف لكي يحصل على حقه العدل وهو منصور من الله بذلك السلطان ، كما المقتول منصور منذ قتل حتى يقتضى من قاتله في الدنيا ام في الآخرة (١) .

فليس هذا السلطان لولي الدم مستغلا يستغل في الانتقام الإسراف ، تجاوزا إلى غير القاتل إن لم يجده إليه سبيلا ، ام قتله مع القاتل كما كان في التأثر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والأبناء ام من ذا من أقارب وأخصاء القاتل ، من غير ذنب إلا أئم من أسرته ، ام . وأخيرا . قتل القاتل صبرا بمثله ام ماذا (٢) وقد نهى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن المثلة ولو بالكلب العقور (٣) . وقال (ص) «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) نور الثقلين ٣ : ١٦٢ ح ٢٠٠ تفسير العياشي جابر عن أبي جعفر (ع) قال : نزلت هذه الآية في الحسين (ع) ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ... فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ : قاتل الحسين (ع) ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ : قال : الحسين (ع) . وفيه ح ٢٠١ عن سلام بن المستبر عنه (ع) في الآية قال : هو الحسين بن علي (ع) قتل مظلوما ونحن أولياءه والقائم من إذا قام طلب بثأر الحسين (ع) .

(٢) في نور الثقلين ٣ : ١٦٢ عن الكافي بسانده عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي الحسن (ع) ان الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ فما هذا الإسراف الذي نهى الله عنه؟ قال : نهى ان يقتل غير قاتله ، او يمثل بالقاتل ، قلت : فما معنى قوله : إنه كان منصورا؟ قال : وأي نصرة أعظم من ان يدفع القاتل الى اولياء المقتول فيقتله ولا تبعة تلزمه من قتله في دين ولا دنيا .

(٣) الدر المنشور ٤ : ١٨١ . اخرج ابن أبي شيبة عن يعلى بن مرة قال سمعت رسول الله .

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وأدا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ^(١).

إن الفطرة الإنسانية ومعها العقل ومعهما الشرع ، ومع الكل الجماهير الإنسانية . بما جعل الله . تجعل لوليه سلطانا عادلا في الشأر ، وأجهزة القضاء العدل الإسلامي مكلفة بتحقيق سلطانه ، فليكن عدلا في سلطانه دون ان تأخذه حمية الجاهلية.

وترى إن هذا السلطان سواء فيه أكان القاتل والمقتول سيان ، ام أحدهما رجل والآخر امرأة؟ ام المختلفان مختلفان حيث ﴿كَيْبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلَى إِنَّهُ بِالْأُخْرِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ...﴾ (٢ : ١٣٨)؟ إذا فلا سلطان في الشأر إلا إذا كان المقتول رجالا والقاتل أيا كان؟.

الجواب : أن السلطان لولي المقتول كائن فيما هما متساويان ام مختلفان ، ولأن الرجل لا يقتل بالمرأة ، فليدفع الولي نصف الديمة حتى يقتل الرجل بالمرأة وهذا هو السلطان العدل في الشأر ، حفاظا على حق المقتول ووليه ، وحفظا على قيمة الرجل الضعف قياسا على المرأة.

وقتل النفس ليس بذلك السهل إلا بالحق ، قتل النفس غير الحمرة مبدئيا ، وقتلها حمرة قصاصا عدلا ، ام ماذا من الحق في ميزان الله إذ يزيل حق الحياة عن هذه النفس ، واما القتل في غير حق ، ام ما لم يثبت حقه فغير مسموح في شرعة الله.

وترى «إذا اجتمع العدة على قتل رجل واحد» فكيف إذا سلطان

. (ص) قال قال الله : لا تمثلوا لعبادي وفيه عنه (ص) نهى (ص) عن المثلة

(١) الدر المنشور . اخرج ابن أبي شيبة ومسلم وأبوا داود والترمذى والنمسائى وابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله (ص).

القصاص ، أىقتل الجميع؟ وهو إسراف! ام واحد؟ وهو ترجيح بلا مرجع فإجحاف!

قد يقال : ان لولي المقتول قتل الكل برد ما فضل عن ديته الى أولياء المقتولين ، او قتل البعض فيرد الباقون حسب جنابتهم الى أولياء المقتض منهم ، فان كان واحدا يؤخذ من الباقين حسب نصيبهم من الجنابة ويرد على أولياء المقتض منه ، وإن كان أكثر فليزيد ولـيـ المـقـتـولـ دـيـةـ الزـائـدـ عـنـ الـواـحـدـ إـلـىـ أولـيـائـهـ ،ـ كـمـاـ يـرـدـ سـائـرـ الشـرـكـاءـ نـصـيـبـهـ ،ـ قـصـاصـاـ عـدـلاـ

على كل حال ، ولكنـهـ كـمـاـ فيـ صـحـيـحةـ إـسـرـافـ فـيـ القـتـلـ وـتـخـلـفـ عـنـ ﴿النـفـسـ بـالـتـقـسـ﴾

﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْيَتِيمِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَئُلُّ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوُلًا﴾ (٣٤).

﴿لَا تَقْرِبُوا إلـىـ أـشـدـهـ﴾ ثـنـيـ فـيـ الـانـعـامـ (١٥٣) بـعـدـ النـهـيـ عـنـ قـتـلـ النـفـسـ الـتـيـ حـرـمـ اللـهـ إـلـاـ بـالـحـقـ .ـ كـمـاـ هـنـاـ ،ـ وـقـرـبـ مـالـ يـتـيمـ لـاـ يـعـنيـ .ـ فـقـطـ .ـ اـنـ تـتـصـرـفـ فـيـ غـصـبـاـ ،ـ فـ ﴿إـلـاـ بـالـيـتـيمـ هـيـ أـحـسـنـ﴾ تـحـرمـ كـافـةـ الـمـحاـوـلـاتـ فـيـ مـالـ يـتـيمـ إـلـاـ الـتـيـ هـيـ اـحـسـنـ لـصـالـحـ ،ـ فـلـيـسـ لـوـلـيـهـ أـمـ سـوـاهـ أـنـ يـسـتـدـيـنـهـ دـوـنـ عـائـدـةـ وـقـرـضـاـ حـسـنـاـ وـلـاـ اـنـ يـقـيـهـ عـنـدـهـ دـوـنـ اـيـ تـصـرـفـ وـبـاـمـكـانـهـ دـوـنـ عـسـرـ وـلـاـ حـرـجـ اـنـ يـسـتـثـمـرـهـ لـهـ ،ـ فـلـمـفـرـوضـ عـلـىـ وـلـيـ الـيـتـيمـ اـحـسـنـ الـمـحاـوـلـاتـ فـيـ مـالـهـ ﴿حـتـىـ يـئـلـعـ أـشـدـهـ﴾ فـيـدـفـعـ اـلـيـهـ حـيـثـ زـالـ يـتـمـهـ فـلـاـ يـقـىـ ظـرـفـ لـقـرـبـهـ سـيـئـاـ اوـ حـسـنـاـ اوـ اـحـسـنـ ،ـ كـمـاـ آـيـةـ النـسـاءـ تـأـمـرـهـ :ـ ﴿فـإـنـ آـنـسـتـمـ مـنـهـمـ رـشـدـاـ فـادـفـعـوـاـ إـلـيـهـمـ أـمـوـالـهـمـ ...﴾ فـلـاـ بـجـوزـ إـذـاـ إـبـقـاؤـهـ عـنـدـهـ وـقـدـ بـلـغـ النـكـاحـ وـرـشـدـهـ وـبـلـغـ أـشـدـهـ ،ـ حـتـىـ إـذـاـ اـسـتـثـمـرـهـ لـهـ كـأـحـسـنـ ماـ أـمـكـنـ ،ـ فـفـيـ حـالـةـ يـتـمـهـ يـقـرـبـ مـاـ لـهـ بـالـتـيـ هـيـ اـحـسـنـ دـوـنـ اـنـ تـكـوـنـ لـهـ حـيـلـةـ ،ـ وـإـذـاـ بـلـغـ أـشـدـهـ يـدـفـعـ إـلـيـهـ وـلـاـ يـقـرـبـ اـيـ قـرـبـ إـلـاـ بـإـذـنـهـ.

ثم الأشد جمع الشد وأقله ثلاثة ، يجري عليه قلم التكليف في شد

العمر ببلوغ السن ، او شد الجسم ببلوغ النكاح الاحتلام^(١) ومن ثم شد العقل الرشد في تصرفات مالية صالحة ، والشد الأخير هو الحد الأخير في ﴿وَلَا تَنْقِبُوا ...﴾ فلا يجوز دفع اموال اليتيم اليه حتى ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَذْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم﴾ لا في الشد الأول ببلوغ السن ام بلوغ النكاح ، وانما بلوغ الرشد والحكمة في تصرفات صالحة .
 وبالغ العمر او النكاح مشدود بقلم التكليف ، فأحدهما كاف في جري القلم وهو بعد يتيم؟! وبالغ الرشد الحكمة يزول يتمه تماماً يدفع إليه ما له^(٢) فلا يجوز دفع ماله قبل تمام الأشد وان بلغ شدا او شدين ، وإنما «أشده» : عمراً وجسمـاً وعقلاً .
 وترى ان الشدين الأولين هما لزام الحكم وان بلغ شده الأخير قبلهما ،

(١) تفسير البرهان ٢ : ٤١٩ . العياشي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) أن نجدة الحوروي كتب إلى ابن عباس يسألـه عن اليتيم متى ينقطع يتمـه فكتبـه إليه ابن عباس اما اليتيم فانقطاعـ يتمـه إذا بلـغـ أـشـدـهـ وهو الاحتلام .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن سنان قال سئلـ أبي وانا ما حامـزـ عنـ اليـتـيمـ متـىـ يـجـوزـ أمرـهـ؟ـ فـقاـلـ :ـ حـيـنـ يـبـلـغـ أـشـدـهـ قـلـتـ :ـ وـمـاـ أـشـدـهـ؟ـ قـالـ :ـ الـاحتـلامـ ،ـ قـلـتـ :ـ قـدـ يـكـوـنـ الغـلامـ اـبـنـ ثـلـاثـيـ عـشـرـ سـنـةـ لـاـ يـحـتـلـمـ اوـ أـقـلـ اوـ أـكـثـرـ ،ـ قـالـ :ـ إـذـاـ بـلـغـ ثـلـاثـ عـشـرـ سـنـةـ كـتـبـ لـهـ الـخـيـرـ وـكـتـبـ عـلـيـهـ الشـيـءـ وـجـازـ اـمـرـهـ الاـ اـنـ يـكـوـنـ شـقـيـاـ اوـ ضـعـيفـاـ .ـ وـفـيـ نـورـ النـقـلـيـنـ ٣ :ـ ٢٠٣ـ حـ ١٦٣ـ فيـ مـنـ لـاـ يـحـضـرـهـ الـفـقـيـهـ روـيـ مـنـصـورـ بـنـ حـازـمـ عـنـ هـشـامـ عـنـ أـبـيـ عـبدـ اللهـ (ع)ـ قـالـ :ـ اـنـقـطـاعـ الـيـتـيمـ الـاحتـلامـ وـهـوـ أـشـدـهـ وـ ٣٠٤ـ روـيـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ الـوـشـاـ عـنـ عـبدـ اللهـ بـنـ سنـانـ عـنـ أـبـيـ عـبدـ اللهـ (ع)ـ قـالـ :ـ إـذـاـ بـلـغـ الغـلامـ أـشـدـهـ ثـلـاثـ عـشـرـ سـنـةـ وـدـخـلـ فـيـ الـأـرـبـعـ عـشـرـ وـجـبـ عـلـيـهـ مـاـ وـجـبـ فـيـ الـمـحـتـلـمـيـنـ اـحـتـلـمـ اوـ لـمـ يـحـتـلـمـ وـكـتـبـ لـهـ الـخـيـرـ وـجـازـ لـهـ كـلـ شـيـءـ إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ ضـعـيفـاـ اوـ سـفـيـهـاـ .ـ أـقـوـلـ :ـ لـيـسـ أـشـدـ فقطـ الـاحتـلامـ اوـ بـلـوغـ الـعـمـرـ ،ـ وـانـماـ بـلـوغـ الرـشـدـ حـيـثـ يـجـوزـ اـمـرـهـ فـيـ مـالـهـ كـمـاـ فـيـ آـيـةـ النـسـاءـ ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ـ وـالـأـشـدـ جـمـعـ الشـدـ كـمـاـ فـيـ المـتنـ .ـ (٢) راجـعـ صـ ٣٥ـ جـ ٢٦ـ تـفـسـيرـ الـآـيـةـ ﴿حـتـىـ إـذـاـ بـلـغـ أـشـدـهـ وـبـلـغـ أـرـبـعـيـنـ سـنـةـ﴾ـ .ـ

عَلَّه نعم حيث النص ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشْدَهُ﴾ أو عله لا فإنما قبل الأخير في الأكثر دون تدخل لهما في كمال البلوغ ، والرشد العقلي هو الأصيل ﴿ فَإِنْ آنَسْתُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوهُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ...﴾ بلوغ الأشد . إذا . وارد مورد الأغلب ، والأحوط الجمع بين الحفاظ على ماله ، وأن يتصرف وليه حسب مشورته ، وإن كان الأقوى جواز دفعه إليه ، ووجوبه عند المطالبة كما للبالغ أشد .

إذا فتصرفات اليتيم في ماله قبل أن يبلغ أشده محمرة ، وعلى وليه الرقابة التامة عليه ابتلاء له حتى يبلغ النكاح ويبلغ رشه وفيه تكملة أشده حيث يستوي : ﴿ وَلَمَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى ...﴾ (٢٨ : ١٤) حينذاك يتصرف في ماله : ﴿ فَأَرَادَ رِئُكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشْدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنَزَهُمَا﴾ (١٨ : ٨٢) .

فالمجنون محجور حتى يعقل ، والسفه محجور حتى يعقل ، والصغير محجور حتى يبلغ ، واليتيم محجور حتى يبلغ أشده^(١) رقابة عليه أكثر من الصغير غير اليتيم ليتمه ، ولأن الولي لغير اليتيم يراقبه بطبيعة الحال .

﴿ ... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسُؤُلًا﴾ .

العهد هنا جنسه دون اختصاص بنوع خاص ، تشمل عهود الله على عباده ، وعهودهم له عليهم ، وعهود بعضهم على أنفسهم ، وتعاهدكم فيما بينهم ، فالوفاء في كل ذلك فرض حسب المستطاع لا حول عنه .

نرى الوفاء بالعهد : اي عهد . من أهم الواجبات المؤكدة المشددة ، لأنه مناط الثقة والاستقامة والنظافة في ضمير الفرد وحيوية الجماعة ، ولقد

(١) حيث ان بلوغ التكليف دائرة موارد احد الأمرين : الاحتلام وهو بلوغ النكاح شدا للجسم ، وبلوغ السن ويرشد العمر . وإنما الرشد هو شد للعقل .

بلغ الإسلام في واقعه التاريخي وخرج قمة رفيعة في الوفاء بالعهود حتى مع الكفار ، لم تبلغه البشرية إلا في ظلاله.

هناك عهود من الله على العباد : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٦١ : ٣٦) ويذكر ذكر هذا العهد بصيغ شتى تختصر في كلمة التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا﴾ (٣٣ : ١٥).

ثم هنالك عهود منهم الله على أنفسهم : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (١٦ : ٩١) ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٣٣ : ٢٣).

ومن ثم عهد من الله ان يستجيب دعوتهم : ﴿إِذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٤٠ : ٦٠) شرط وفاءهم بعهدهم : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاهُ فَارْهَبُونَ﴾ (٤٠ : ٢).

ثم عهود إلى العباد حتى الكفار يجب الوفاء بها إلا إذا هم نقضوا عهودهم فكيف بعهود المؤمنين : ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهَدُوا﴾ (٢ : ١٧٧) ﴿إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا وَمَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَقُولُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤) ... كيـف يـكون لـلمـشرـكـين عـهـد عـنـد اللـه وـعـنـد رـسـولـه إـلـا الـذـين عـاهـدـتـم عـنـدـ المسـجـدـ الحـرامـ فـمـا اـسـتـقـامـوـ لـكـم فـاسـتـقـيمـوـ لـهـم إـنـ اللـه يـحبـ المـتـقـينـ (٧) .. وـإـنـ نـكـثـوا أـيـمـانـهـمـ مـنـ بـعـدـ عـهـدـهـمـ وـطـعـنـوا فـي دـيـنـكـمـ فـقـاتـلـوا أـئـمـةـ الـكـفـرـ إـنـهـمـ لـأـيـمـانـهـمـ لـعـلـهـمـ يـنـتـهـونـ (٩) . (١٢)

وإذا كان الوفاء بعهد المشركين فرضا على المؤمنين ، فبأحرى فرض الوفاء بينهم أنفسهم ، ثم عهدهم إلى الله ، ثم عهد الله إليهم ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا﴾ كل حسب المسؤولية وثاقا في العهد وكيانا للمعهود له وعليه.

ثم العهد منا لزام علينا إذا لم يكن في محرم او حل لا يستطيع ، كما النذر واليمين ، والعهد الصالح الواجب الوفاء يعم كافة العهود ، الملزمة على المعاهد ، سواء أكان بين أشخاص أم جماعات أو شخص وجماعة او دولة او مع شعبها او ماذا ، ولا نقض في العهد أيا كان إلا جزء النقض وفaca ، أو كان خطأ يرجع بالضرر الى المعاهد جماعة وفرادي ، ولا سيما الضرر على الإسلام فانه عهد محرم او لا يستطيع ف (لم يجعل الله رخصة في الوفاء بالعهد للبر والفاجر) ^(١).

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِزْنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ حَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥).

هنا أمر بايفاء المكييل إذا كيل وزن الموزون إذا وزن بالقسطاس المستقيم. ثم لا ذكر عما يعامل فيه عدّا حيث لا يكال ولا يوزن ، لأنهما الأكثريتان الساحقة في المعاملات دونه ، لذلك لا نجد ما يصرح بالعدّ إلا يتيمة تشمله **﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾** (٧ : ٨٥) حيث الأشياء تشمل المعدودات ، وأخرى تنهى عن مطلق الإخسار **﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾** (٢٦ : ١٨١).

وقد يشمله الوزن حيث يعم وزن الثقل والعدد فتشمله آيات الوزن. بالقسطاس المستقيم والميزان بالقسط.

وإن إيفاء الكيل وإقامة الوزن هما من مصاديق الوفاء بالعهد ، حيث المعاملة تعاهد وأمانة في التعامل فلتكن موافية مستقيمة يستقيم بها التعامل

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٠٥ ح ١٦٤ في كتاب الخصال عن عنبسة بن مصعب قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : ثلاثة لم يجعل الله لأحد من الناس فيهم رخصة ، إلى قوله) : الوفاء بالعهد للبر والفاجر.

في الجماهير ، والثقة في النفوس والبركة في الحياة و «ذلك» الوفاء والقسط «خير جماعة وفرادي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ في الأولى والآخرى ، من تأويلي المأخذ : الفطرة والعقل والشرع . وتأويلي النتيجة في الحياة الدنيا والآخرة .

فالبخس في التعامل قذارة نفسية وخيانة على الأنفس تتزعزع به الثقة وتبعها الفساد والكساد وتقل به البركة .

فساد وكسر في نفس البخس النحس ، وفي أنفس الجماعة هما شر وأحسن تأويلا . وليس الأحسن هنا مقابل الحسن فان البخس ليس حسنا اللهم إلا ادعاء جوفاء ، فانه حسن بزعم البخس أنه يربح أكثر من حقه ، وإذا كان حسنا حاضرا في هذا القياس فالإيفاء أحسن تأويلا في مثلث الزمان حيث يقول ويرجع إلى الحسنى في ميزان الله وإلى الحياة الاقتصادية ايضا ، حقيقة يدركها بعيدوا النظر وذروا البصر في التجارة ، وإن لم يكن هناك دافع خلقي او حافر ديني ، ف مجرد إدراكها في الواقع التجاري بالتجربة العملية كاف ، وإذا التزمها عقidiya فنور على نور ، حيث تصبح لزاما لحياته دون تخلف ، نبعه تباع من القلب فترش وتتنزف على القالب اضافة الى نظافة القلب والتطلع في نشاطه العملي الى آفاق أعلى واجواء أسمى .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ (٣٦).

آية وحيدة في صيغتها الخاصة : **﴿وَلَا تَقْفُ ...﴾** وأدلتها الخاصة : **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ...﴾** تختص اقتداء المسلمين واتباعه بما له علم دون ما دونه من ظن او شك او احتمال ، وتحمّل مسؤولية افتئاء غير العلم **﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ﴾**.

وفي سائر القرآن آيات عدة تنهى عن اتباع الظن^(١) وتامر باتباع العلم او اثارة من علم^(٢).

«لا تقف» من القفو : الإِتَّبَاعُ المُخْتَارُ^(٣) لفظيا او فكرييا او عقدييا او عمليا ، فنقل غير المعلوم دون نقد قفو ، واعتقاده قفو والعمل وفقه قفو وأنت في كل ذلك مسئول ، دون فرق بين الأصول والفروع في صيغة النهي^(٤) ولا صبغة الفطرة السليمة ، تجاوبا بين كتابي التكوين والتشريع في لزوم اتجاه الإنسان الى صلب الواقع ما وجد إليه سبيلا.

وهنا «علم» وليس «العلم» لكي تشمل درجات العلم مما يطمئن النفس ، ظنا متآخما الى العلم ، ثم علما : من علم اليقين او عين اليقين او حق اليقين ، سواء أكان علما لك ميسورا بما تبرهن من براهين ، او علما ملن تعلمه عالما ثقة فتبعده فيما لا تجد لنفسك سبيلا ، فهذا علم بعلم ، وذالك علم ، فيشملهما «علم» كما شمل سائر ما يطمئن الإنسان.

وترى ان الآيات هي مظونة الدلالة ومنها هذه ، فكيف يستدل بها

(١) راجع ص ٤٣٢ ج ٢٧ من الفرقان تحت عنوان : كلام في العلم والظن.

(٢) راجع ص ١٠ ... تحت عنوان : كتاب او اثارة من علم.

(٣) حيث الإِتَّبَاعُ أعم من المخبر والمسير ، المكتوب والمختار ، ولكنهما القفو هو المختار فقط ولذلك اختير على الإِتَّبَاعِ

(٤) لا سيما ان هذا النهي واقع بين احكام فرعية من واجبات ومحرمات ، وليس فيها من اصول الدين الا «أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ» أولا وأخيرا وليريظ كافة الفروع الى اصل الأصول : التوحيد ، وأيضا لا يصلح هذا النهي للتقيد فإنه من القضايا التي قياساتها معها ، فما ليس للإنسان به علم وله طريق الى العلم لا يقفي ويصطفى غير المعلوم على المعلوم ، ثم وليس هناك ادلة من كتاب أو سنة تسمح باتباع غير العلم حتى تأتي مقيدة للأية ، فإن موارد الأصول العملية هي الشك الذي لا طريق فيه الى العلم والمكلف بين نفي واثبات ، وهذه الموارد خارجة عن نطاق الآية فانما تختص بما يوجد فيه طريق الى العلم.

على المنع من اتباع غير العلم؟ ...

هذه طنطنة أصولية هراء : «ان القرآن قطعي السند ظني الدلالة والحديث ظني السند قطعي الدلالة» فمن الحديث ظني الدلالة وهو الكثرة الساحقة ، وهذه الكثرة لا توجد في الدلالة القرآنية حيث الاعجاز القمة في بلاغته وفصاحته الدلالية يقضى على الدلالة الظنية ويجشها من جذورها ، ولا سيما في آيات الأحكام والمعارف الأصلية فانها صريحة مهما كانت بحاجة الى تأملات وتدبرات ، وليس في آية القفو ما يريب في دلالتها فلا نطمئن بمدلولها! او ان «علم» هنا يشمل الظن وكما في آيات اخرى منها ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاصِيَّنَ . الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَهْمَّ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (٤٥ : ٣).

ولكنه «علم» والعلم فقط ، ولم يعن العلم فيما يعنيه ظنا ولا الظن علما : فكل يعني معناه لا سواه ، والظن في الآية ظن القلب وهو من أوسط العلم في العقل ، ولو ان الظن يستعمل في العلم بقرينة . ولا يستعمل . فلا يعني ذلك استعماله فيه دون قرينة ، او ان العلم يعني الظن دونها!.

وابداع أصول كأصل البراءة والاستصحاب والظاهر ام ماذا من أصول في مواردها ليس اتباعا للظن ، حيث لا يتشرط فيها حصول الظن بل هي اصول تتبع بدلالة العقل والشرع فيما لا دليل على مواردها ، فاتبعها إذا اتباع للعلم وان لم يحصل به علم ولا ظن ، أو لان الأصول لا ترد الا في موارد الشك حيث لا سبيل الى علم ، فهل يبقى المكلف دون نفي او اثبات؟ والتکلیف باق في نفي او اثبات! ام يقفوا خلاف هذه الأصول وهو قفو للمرجوع عقليا وعاديا ، ونقض للقین المتعدد بالشك كما في موارد

الاستصحاب والبراءة والظاهر؟ ... ثم إنها لا تقرر حكما وإنما تبين موضوعات لأحكامها إذ لا نجد سبيلا علميا إليها ، وورد النهي عن إتباع غير علم مخصوص بما نجد لعلم إليه سبيلا. أم لا نجد ولا تكليف ثابتنا بنفي او اثبات ^(١).

والضابطة الإسلامية السارية هي اتباع علم ما أمكن ، وإلا فلا اتباع ولا متابعة إلا بدليل قاطع من كتاب او سنة ثابتة او حس او عقل ام ماذا ، كما الأصول العملية ثابتة بالكتاب والسنة ودليل العقل وهي خارجة عن محور الآية.

فالقياسات والإجماعات والشهادات والروايات التي لا توافق الكتاب والسنة او تخالفهما ، إنها لا تتفقى إذ لا تفيد علما ولا اطمئنانا ، أم نطمئن بخطها كالتي تضاد الكتاب او السنة الثابتة ، حيث الادلة القاطعة تطاردها.

إذا فلا نقفوا ما ليس لنا به علم. ولم تخصص الآية كثير تخصيص حتى تسقط عن الدلالة العلمية ، ولا قليله حيث الأصول غير العلمية التي نقفوها إنما نقفوها بعلم من كتاب او سنة او اثارة من علم ولا سبيل في مواردتها إلا أحكامها.

هناك علمي وهنا علم ، والعلمي ما يستند إلى العلم كحججية الأصول العملية والشهادات ام ماذا من حجج شرعية ، دون خروج عن ضابطة الآية. وكما العلم علما : اجتهادي وتقليدي.

فالتشبه عن كل خبر وكل ظاهرة وحركة قبل نقلها والإعتقاد بها

(١) فإذا تشك أو تظن ان فلانا زنى تجد سبيلا الى علم او لا تجد ليس عليك شيء ، ولكنك إذا كنت مدعيونا ثم تشك انك أدتيه أم لا هنا عليك تكليف ان وجدت سبيلا الى علم وتکليف آخر ان لم تجد هو اشتغال الزمة استصحابا ...

والحكم عليها ، والعمل وفقها ، إنه دعوة قرآنية صارمة سارية ، ومتى استقام السمع والبصر والفؤاد على هذا المنهج لم يبق بعد مجال للأوهام والخرافات في المعتقدات ، ولا مجال للظنون والشبهات في الأحكام والاقضية والتعاملات ، ولا مجال في العلوم لافتراضات والحدسات ، حيث يتبنى الإنسان حياته في كل الجهات حياته علمية دون تحكم للظنيات ، اللهم إلا المسنودة إلى علم ، أو المستفادة من علم ، فيما لا سبيل إلى العلم ، والضرورة قائمة بنفي أو إثبات ، كما في موارد الأصول العملية والشهادات ، تداوماً في سير عجلة الحياة.

هناك طريقة آفاقية لعلم او ظن ام ماذا ، هي السمع والبصر ، واخرى نفسية هي الفؤاد ، ففيما تسمع حق وباطل ، وفيما تبصر حق وباطل ، وفيما تعتقد فطريا او فكريأ وعقليا وفي الفؤاد حق وباطل ، وبين الحق والباطل أربع أصابع ، مما تسمعه أكثره الباطل وما تبصره أقله الباطل. وما تتفاءله فيه حق وباطل ف ﴿لَا تَقْرُبْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

السمعُ والبَصَرُ وَالْفُؤُادُ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾.

ان السمع والبصر في تلقיהםا ما يتلقيان ، ثم ما يلقى منها بلسان او قلم او اعتقاد او عمل ام ماذا ، إنهم مسئولان! ف «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء كان حقا على الله ان يذيه يوم القيمة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال»^(١) «ومن قفا مؤمنا بشيء يريد شيئاً حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»^(٢) و «من بكت مؤمنة

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٢ . اخرج الحاكم وصححه ن أبي ذر قال قال رسول الله (ص) ...

(٢) المصدر اخرج ابو داود وابن أبي الدنيا في الصمت عن معاذ بن انس عن النبي (ص) من حمي مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم ومن قفا.

أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال»^(١).

ثم الفؤاد وهو القلب المتفيد المشتعل بما اعتقده او عقده ، اشتعال النور بالحق او النار بالباطل ، ومعه معداته بما يتفاد ، إنه مسئول ، حيث يفعل او يقول ما اعتقده دون علم!.

إنها امانة كبرى للجوارح كلها وأهمها السمع والبصر ، وللجوانح كلها وأهمها الفؤاد ما يأخذه الإنسان وما يؤتاه ، اللهم إلا قفوا العلم.

امانة ترتعش اركان كيان الإنسان لجسامتها وضخامتها في دقتها : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ : مسئولية تضرب إلى اعمق الزمن منذ جرى عليه قلم التكليف.

ف «ليس لك ان تتكلم بما شئت»^(٢) حيث الإنسان مسئول عن كل ما يفعل او يعتقد او يقول ف «السمع وما وعي والبصر وما رأى والفؤاد وما عقد عليه»^(٣) كل أولئك مسئول.

(١) نور الثقلين : ١٦٤ ح ٢٠٦ في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في الآية قال : «لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقال رسول الله (ص): من بحث ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٦٥ ح ٢٠٩ في كتاب علل الشرائع باسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال حدثني علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه قال قال علي بن الحسين (ع): ليس لك ان تتكلم بما شئت لأن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ولأن رسول الله (ص) قال : رحم الله عبدا قال خيرا فغمم او صمت فسلم ، وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾.

(٣)المصدر ح ٣١٣ عن الحسن قال : كنت أطيل الجلوس في المخرج لأسمع غناء بعض الجيران. قال : فدخلت على أبي عبد الله (ع) فقال لي يا حسن ، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ السمع ...

ترى ولماذا «أولئك» والثلاثة من أعضاء الإنسان؟ ... لأن الفؤاد هو المتن في عقلية الإنسان ، والسمع والبصر هما الإدراكان على عقل ، فهي إذا «أولئك» حيث تجمع مدارك الروح من الإنسان!.

ثم المسؤول هل هو الإنسان يسأل سؤال تأنيب عما يفعله بهذه الأعضاء؟ فيرجع ضمير الغائب «كان» إلى الإنسان! : «كان الإنسان عن (أولئك) مسئولاً» لماذا استعملها في غير علم؟ ...

أم هو كل من السمع والبصر والفؤاد ، ان كلا منها مسئول عنه فيما فعل ، فالضمير لكل منها على البدل؟ «كان كل عن نفسه مسؤولاً» أم الضميران راجعان إلى الإنسان فالإنسان هو المسئول عنه في هذه الأخطاء.

«كان» هذه تتحملهما أديباً ومعنىوا ، فقد يسأل الإنسان عنها ما فعله بها ﴿وَقُفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ﴾ وتسأل الأعضاء فتحدى أخبارها بما تحملت وسجلت الأقوال والأعمال ﴿وَكُلُّ إِنْسَاْنٍ الْزَّمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ ...﴾ (١٧ : ١٣) وكذلك الفؤاد حيث يخبر بما ارتسم فيه من عقائد ، حيث يوقف موقف الاستطاق فلا حول له عما سجل : ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ﴾ (٤١ : ٢٠) كما الإنسان مسئول عنه في أخطاءه بهذه الثلاث أم ماذا؟.

فالإنسان مسئول عن هذه الأعضاء ومسئولي عن نفسه بما فعل بها ، والأعضاء مسئول عنها ، مسئولية كبرى تشمل الإنسان كل الإنسان.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (٣٧).

ان المشي في الأرض مرحًا اختيار وافتخار وإسراف واستكبار ، فهو

ممنوع مذموم كما أن تصعير الخد للناس وتصغير كيانك عند الناس مذموم ، فذلك إفراط وهذا تفريط وعليك بعون بين ذلك : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِير﴾ (١٩ : ٣١) (١) إذا كان التصعير الإملالة تذلاً وتكبراً فإنما كلامها تصعير ، وكلامها هنا معنيان.

والمرح هو شدة الفرح والتتوسيع فيه ، فليمشي الإنسان دون مرح وفرح تصعير وإنما هونا : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنٌ﴾ (٤٥ : ٦٣).

لو انك تعرف نفسك الضئيل الفقير امام ربك العلي القدير. وانك دوما في قبضته وأمامه وبحضرته ، فطامن من كبرياتك وخفف من وطئة خيالاتك ، وامش على الأرض هونا ، لا مرحًا في كبرياتك.

من أنت أيتها الحشرة الصغيرة الفقيرة ، الهزيلة الرذيلة حتى تمشي في ارض الله مرحًا؟ لأنك تسامي الله في قدرته وجبروته؟ وبيده ملكوت كل شيء! ام تترفع على خلق الله بشراء او سلطان. ام قوة ام ماذا؟ فيا لها من زخرفات هراء ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾! ام تمشي في الأرض

(١) البرهان ٣ : ٤٢٢ . الكافي بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال : فرض الله على الرجلين الا يمشي بهما الى شيء من معاصي الله وفرض عليهم المشي الى ما يرضي الله فقال : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ وقال : وقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير.

مراها منة عليها أنك تمشي فيها ، فالأرض التي تحتك هي فوقك إذ لن تحرقها ، وجبارها التي أمامك هي فوقك حيث لن تبلغها طولا ، فطولك قاصر عن جبال الأرض ، وطولك في حولك قاصر عن خرق الأرض ، إذا فلما ذا المرح؟!

هذا! وترى ان الإنسان عاجز عن خرق الأرض؟ وهو يحرقها بالوسائل التي اصطنعها فيستخرج منها معادنها! او لن يبلغ الجبال طولا؟ وهو يخلق بطائرات وصواريخ وسفن فضائية على الجبال وما فوقها من كرات!.

ولكنما الإنسان أيا كان لن يخرق الأرض بمشيته المرحة ، ولن يبلغ الجبال في طوله ، وان كان يخرج بطوله وحوله ، فلا طول إلا بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ليس لك ان تمن على الأرض انك تمشي فيها ، بل الله يمن عليك أنه يمشيك فيها ، ولا أن تمن . فيما من الله عليك من طاقات تحرف بها الأرض وتحلق . على الله بل الله يمن عليك ، ولا ان تمن على خلق الله بما ابتلاك الله به من نعم استختلف فيك فيها ، فارجع الى اولك تجده نطفة قذرة والى آخرك تجده حيفة تنته والى وسطك حيث أنت حامل العذرة ، فيها أيتها النطفة القذرة والجيبة العذرة كيف تمشي على الأرض مرحًا ، وعليك ان تمشي عليها هونا متواضعا لله غير مستكبر على خلق الله!

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣٨).

سيئه : تركا لمفروضاته واقترابا او اقترافا لحرماته ، حرمة سلبية ام ايجابيه ، حرمات ثابتة عبر الرسالات الإلهية ، حيث تضرب «كان» الى

اعماق الزمن الرسالي ، فإلى الأبد ، وكما نرى أنها كلها من المحرمات التي لا تتحول . و «مكروها» هنا تهدم صرح الاصطلاحية الفقهية انه مقابل الحرم ما يرجع تركه ، فما من مكره في سائر القرآن إلا محظى ، ومن ثم الحديث حذو النعل بالنعل ، إلا بقرينة قاطعة تصرفها إلى غير معناها .

لا نجد مكره في القرآن إلا محظى او من أشدته : ﴿وَكَرَهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَّارُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ﴾ (٤٩ : ٧) ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ الْبِعَاثَتُهُمْ فَتَبَطَّهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيهِمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيهِمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبْلَهُمْ لَكَ الْأُمُورُ حَتَّىٰ جَاءَ الْحُقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨ : ٩).

﴿إِنَّمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكْلِلَ حَمَّ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ﴾ (٤٩ : ١٢) (١) .

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنَقْلِي فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ (٣٩) .

تأتي «الحكمة» في القرآن كلها عشرين مرة وهي هيئة خاصة من الحكم يحكم ويربط بما علم الإنسان أو خلقه او عقيدته او عقليته او عمليته عن التفسخ والانحلال والانفصال عن الحق المرام وحق المرام ، فمن العملية ذلك الذي ذكر في الآيات المسقبة امراً ونبياً يربطان الإنسان برباط التقوى وينيطانه بنياط التوحيد حكمة عقلية في البداية :

(١) فالكرامة بصيغها في أحاديث تحمل على الحرمة وذكر حدتها يقول فيه الإمام الصادق (ع) كان أبي يكره ... وكان أبي لا يكره لحلال.

وكما الكرامة لا تدل على ما اصطلحوا عليه كذلك الاستحباب او هو أعم من الوجوب وسائر الرجحان دون ظهور في رجحان غير ملزم.

أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وفي النهاية : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَر﴾ حكمة عملية مربوطة بحكمة عقائدية كما الحكمة كلها تربط هكذا : خاتم يشبه البداية في هذه الحكمة العملية ، محبوبة للطرفين ، موصولة بالقاعدة الكبرى في أصلاب الإسلام «التوحيد» حيث القرآن يقيم عليها الحياة كل الحياة. توحيدا عمليا ينبع من العلمي والعقائدي : الا تعبدوا الا إيه ، لا عقلا ولا عقidiما لا يعدوا الضمير الى الحياة العملية ، وفي الحكم المسبقة في هذه الآيات مجموعة من الحكم : عقلية عقائدية : (٢٣ و ٢٩) واجتماعية : (٢٣ و ٢٥) وسياسية واقتصادية : (٣٦ - ٣٠ و ٣٥) ونفسية : (٣١ و ٣٣) وخلقية : (٣٢ و ٣٤ و ٣٧) وعلمية : تجمعها الحكمة العقلية والعملية!.

وقد تتوحد خيرا كثيرا : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢ : ٢٦٩) وفي الدعوة : ﴿إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعَظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١٦ : ١٢٥) ولذلك كما القرآن كله : ﴿حِكْمَةٌ بِالْغَةٍ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ (٥٤ : ٥) من علمية وخلقية وتربوية عقائدية وعملية ، من فردية وجماعية ، من سياسة واقتصادية ام ماذا فكله حكمة إن الحكمة هي القاعدة الكبرى في مربع الدعوة : ﴿يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١٢٩ : ٢) وفي مثلث السلطة العادلة : ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (٥٢ : ٢) ﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْحِطَابَ﴾ (٣٨ : ٢٠) وفي مثنى النعمة : ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (٢٣١ : ٢) والرسالة ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءُكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَنَنْصُرُنَّهُ﴾ (٣ : ٨١) والحكمة كلها فيه.

لا تعني الحكمة فيما تعنيه الحكمة الإلهية الدخيلة ، حيث تنتج تخللاً وتحيراً بديل الحكمة ، وإنما الحكمة الإلهية الخالصة من وحي القرآن والسنة : وain حكمة من حكمة؟! . إن الحكمة البشرية متفسخة غير حكيمية ، ترى الحكماء فيها متعارضين ، وال المتعلمين إياها محترفين ، لأنهم لا يصدرون عن مصدر الوحي وقد يخالفونه وكما نراه في تعريفهم بها «: سواء وافق الشرع أم خالفه» ! :

إن الحكمة البشرية تربط العقول على حدّها ، فلتربط برباط الحكمة الإلهية ولكي تستنير وتستزيد حكمة الخالق من حكمة الخالق.

ثم الحكمة الإلهية في تقسيم شامل تكوينية وتدوينية ، فالتدوينية هي كتابات الوحي كما عرّفت بأنّها حكمة ولا سيما القرآن : **﴿حِكْمَةٌ بِالْغَيْرِ فَمَا تُفْنِي النُّذُرُ﴾** (٥٤ : ٥) والتقوينية منها معصومة كالعقل والعصمة في المعصومين ، ومنها دون ذلك من فطرة وعقل حيث الإدراك فيهما ليس مطلقاً دون خطاء ، فالافتقرة على بلوغها في احكامها العامة قد تحجب وهذا تقصير من أصحابها ، ثم وهي قاصرة في ادراك الجزئيات والتفاصيل ، والعقل فيه قصور وفيه تقصير فيما له إدراكه من كليات ، حيث يقصر عن درك الحقائق ككل إلا شطراً لا بد منه تدليلاً على الحكمة التقوينية المعصومة : النبيين . ثم وقد يقصر في إدراكه حيث «إثارة العقل مكسوف بطوع الهوى» .

والآيات حول الحكمة الإلهية تعني الحكمة المعصومة تقويناً أو تدويناً أم هما معاً ، دون سائر الحكمة من فطرة وعقل أم ماذا؟

﴿أَفَاصْفَاكُمْ رِّئُكُمْ بِالْبَنِينَ وَانْخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا نَ كُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠)
 ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليدّكروا وما يزيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) فلنَلْوَ كَانَ مَعَهُ آلهَةَ كَما
 يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَغْوَ إِلَى ذِي الْعِرْشِ سَيِّلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)
 تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا
 تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى فُلُوْجِهِمْ أَكْتَنَةً أَنْ يَفْهَمُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَفِرَا
 وَإِذَا ذَكَرْتَ رِيلَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجُوى

إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا
فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَيِّلًا (٤٨) وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمْ يَعُوْذُونَ حَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ
كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ حَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي
فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغَضُّونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ فَرِيقًا (٥١)
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَحِيْبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْطُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَنَّهُ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَغِيْبُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ
إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

﴿أَفَاصْفَاكُمْ رِّئُكُمْ بِالْبَنِينَ وَالْخَذَدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠).

قولة مستنكرة في الأساس ﴿وَالْخَذَدَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا﴾ في بعدين بعيدين عن ساحة الألوهية : أن له ولدا وأنه أنتى ، فهنا استفهم استنكار وتحكّم على سبيل مجاراهم أن له ولدا : ﴿أَفَاصْفَاكُمْ رِّئُكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ﴿أَمْ اخْتَدَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ إِمَّا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ : أَوْمَنْ يُنَشَّوْا فِي الْحَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُهُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسَنَّوْنَ﴾ (٤٣ : ١٩).

من المشركين من اتخذ للرحمـن بنـين كالجنـ او المسيح وعزـيز ، او بنـات كالملـائكة :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٦ : ١٠٠) والذـين

اتخذـوا له الملـائكة بنـات هـم أـضل سـبيلـا من جـمعـوا له بنـات وبنـين او اـتـخذـوا له بنـين :

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ : مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٧ : ١٥٤).

فـلـأن الأنـاث انـقص من الذـكور ، وـانـهم كانوا يـترـذـلون البنـات كـأنـهن حـيـوان او اـدنـى ،

وـان الملـائكة هـم من أـفضل خـلق الله ، وـأن الله لم يـلد وـلم يـتـخذ ولـدا ، فـنـسبة البنـات الى الله

دون البنـين فـريـة وـقـحة في خـماـسـية اللـعـنة ، فـلو أـمـكـن الله أـن يـلد او يـتـخذ ولـدا فـلـما ذـا اـختـصـه

بنـات وأـصـفـاكـم بالـبنـين.

والـإـصـفـاء هو الإـلـاـصـ والإـيـثـار ، فـتـرى الله يـؤـثـر خـلقـه عـلـى نـفـسـه لـو اـتـخذ ولـدا فـيـتـخـذـ

الـإـنـاثـ حين يـخـلـقـ لهم ذـكـورـا وـإـنـاثـا ، أـعـجـزا عـنـ انـ يـتـخـذـ لـنـفـسـه ذـكـرـانا فـاضـطـرـ الىـ إـلـانـاثـ ،

ولـيـسـ الإـيـثـارـ حينـ يـمـكـنـ إـلـاـ لـمـنـ لاـ يـقـدرـ عـلـىـ إـعـطـاءـ الغـيرـ ماـ لـنـفـسـهـ إـلـاـ بـحـرـمانـ نـفـسـهـ ، وـالـأـ

فـحـمـاقـةـ وـغـبـاوـةـ.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ عظيما في فريته على الله : ان له ولدا ، وهو بنت ، وهي ملائكة الله ، عظيما في شناعه وشاعته ، عظيما في استحالته ووقاحته ، ان تقولوا عليه : جسم بعض فمحاج ، حيث يلد ، ثم هو جاهل غبي حيث يفضل خلقه على نفسه فيما يلد !

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾(٤١).

الصرف هو رد الشيء من حالة الى اخرى أو إبداله باخر ، والتصريف تكثير للصرف كما او كيفا او هما معا ، ولقد ردد الله في هذا القرآن حقائق جمة بصيغ عدة وصور شتى حتى صيغة التصريف ، تصريفا للوعيد : **﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾**(٢٠ : ١١٣) ومن كل مثل : **﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَيَ أَكْثُرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾**(١٧ : ٨٩) لعلهم يرجعون : **﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**(٤٦ : ٢٧) **﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَهُونَ﴾**(٦ : ٦٥).

هنا لك تصريفات لكل مثل في كتابي التكوين والتدوين تأتينا في الآفاق وفي أنفسنا في العقل والفطرة ، والرسل ، وسائر الكون ، وفي القرآن ، تردادا وتكريرا لها بأحسن الصور وابلغ الموعظ واظهر البراهين **﴿لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾**.

فكما كتب الله في كتاب التكوين آيات متتشابهة تصريفا لها ليذكروا فأينما توقي وجهك ترى أمثلا من هذه الآيات تتكرر بصيغ ، وكما تختلف في صيغ والأصل واحد **﴿لِيَذَكَّرُوا﴾** ... كذلك كتابه التدوين القرآن العظيم موازيا لكتاب التكوين ، يكرر قصصا تحمل ذكريات وحقائق جمة : **﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًـا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْـنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾**(٢٩ : ٢٣) كتابا متتشابها في تحقيق المرام والحق المرام .

متشابها في قمة التعبير ، متشابها في كيفية التدليل ، كما هو محكم كله في جهات عده :
 ﴿كِتَابٌ أَخْبَرْتُ آيَاتُهُ مُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ (١١ : ٢).

ومن تصريفه برهانا وبيانا لعقيدة التوحيد ، المجارة في أن له ولدا فكيف إذا يكون له بنات ملائكة؟ ومنه المجارة في حكاية الآلة المدعاة .

﴿فَلَوْ كَانَ مَعَهُ أَلْهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْتَنَّاهُمْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

«لو» حرف امتناع تخيل مدخلوها ، فالآلة معه المستحيلة ، تستحيل في بعد ثان :

﴿إِذَا لَأْتَنَّاهُمْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فالقضية برمتها مستحيلة وأية سبيل لها إليه منفية.

سبيلا ليغلبوا عليه إذ هم عدة وهو واحد ، فتنازعا واحتلما ، فتخلفا في النظم واختلالا ، وليس فليس إلا واحدا !.

٢ - او سبيلا ليقربوا إليه فيثبتهم على ما يراد لهم ، وقد كذبوا بألسنة رسله وليس إلا واحدا !!.

٣ - او سبيلا اليه ليعرفهم ذو العرش : الإله الأصل ، أنهم شركائه فلا ينكرون؟ وقد انكرهم !. **﴿فَلَنْ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾** (١٨ : ١٠) أأنتم تعلمون له شركاء وهو لا يعلم؟!

٤ - او سبيلا الى ذي العرش ليشاركونه في عرش الربوبية «إذا لفسدتا»! ذو العرش والآلة معه ، السماوات والأرض : **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا أَلْهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** (٢١ : ٢٢) **﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِّمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** (٩٤ : ٢٣).

٥ - او سبيلا اليه ليقربوا لديه ثم ليجعلهم شفعاءه فيقربوا عبادهم

بعبادتهم أنفسهم اليه زلفى : ﴿ هُؤُلَاءِ شُفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٠ : ١٨) ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا إِيَّاكَ رُزْفَنِ ﴾ (٣٩ : ٣) فكيف يكونون شفعاء عند الله وهم عنه بعاد.

إن ابتغاء سبيل الى ذي العرش : الإله الأصل ، للآلة الفروع لو يتخذهم آلة ، إن ذلك لزام شركتهم في ألوهيته ، فإذا لم يتغوا إليه سبيلا فضلا عن سلوك السبيل فليسوا هم آلة معه ، وإنما خلق من خلقه يدبرهم كسواهم حيث يشاء فهم تحت عرشه بيده نواصيهم كما بيده ملکوت كل شيء .

هذا البرهان يقنع من يعتقدون في الإله ﴿ ذِي الْعَرْشِ ﴾ ثم اتخاذ آلة أخرى : إن خلقهم آلة يساندونه ، أو جعلهم آلة ، وأما من يقولون بألهة عدة متساوين متراكسين فلا يقنعهم هذا البرهان ، وإنما المذكور في رابع السبيل ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ... وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ... ﴾

أدلة التوحيد القرآني تحلق على كافة المشركين أيا كانوا وأيان ، دون خصوص السابقين العائشين زمن نزول القرآن ، فإنه دعوة خالدة تعم العالمين أجمعين.

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٤٣).

إنه متنزه متعال عما يقولون : إن له شركاء أم بنات أو أبناء أم ما إذا مما يمس من ساحة الربوبية الوحيدة ، وتعالى علوا كبيرا كما هو الكبير المتعال.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤).

إن الكون كله محراب فسيح فضيحة يفضح عنه ويسبح له وينزعه عن شركاء فيوحده ويسجد له ويسبح بحمده ولكن لا تفهون تسبيحهم !.

السماءات هنا هي الأجراء السبعة بما فيها ومن فيها ، والأرض هي الأرضون السبع : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾ (٦٥ : ١٢) حيث الآية تستعرض الكون كله أيا كان ﴿وَمِنْ فِيهِنَّ﴾ تعم عامة العقلاة في السماءات والأرضين من ملك أو إنس وجان أيا كانوا وإيان ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ تستغرق كل شيء دون إبقاء لشيء ، إنما تسبح بمحمه ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ ...﴾.

و «هم» في «تسبيحهم» راجع إلى كل شيء لمكان الاستغراف لكل شيء في التسبيح بالحمد و ﴿لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ﴾ حيث يتطلب شعورا وإدراكا نحن لا نفقهه في كل شيء فالأشياء تعرف رها فتسبحه بمحمه ، لا فحسب العقلاة من ملك وانسان وجان ، بل والحيوان : ﴿إِنَّمَا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٌ كُلُّ قَدْ عِلْمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحةُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١ : ٢٤) ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّهُ أَوَابٌ﴾ (٣٨) : (١٨) ف «صوت الديك صلاته وضربه بجناحه سجوده وركوعه ::» (١) ف «لا تضرروا وجوه الدواب فان كل شيء يسبح بمحمه» (٢) و «لا تخذلوا الدواب . كراسى لأحاديثكم في الطرق والأسوق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكر الله منه» (٣).
فكل صنف من صنوف الدواب والطيور امة تسبح حتى النمل (٤) وصوت

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٣ . اخرج ابن مروي وابو نعيم في فضائل الذكر عن عائشة ان رسول الله (ص) قال : صوت ... وركوعه ثم تلا هذه الآية : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ ...﴾.

(٢) المصدر اخرج ابو الشيخ في العظمة وابن مروي وابي سعيد الخدري قال ، قال رسول الله (ص) ...

(٣) المصدر اخرج احمد بن معاذ بن انس عن رسول الله (ص) انه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال : اركبوا سالمة ودعوها سالمة ولا تخذلوا كراسى .

(٤) المصدر اخرج ابن مروي وابي هريرة ان رسول الله (ص) قال : ان النمل .

الضفدع تسبيح (١) :

لَا فَحْسَبَ الدَّوَابَ كُلُّهَا تَسْبِحُ بَلْ وَالْأَشْجَارُ وَالْجَمَادَاتُ : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجَبَالَ يُسَيْحَنَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩) ، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ يُسَيْحَنَ بِالْعَشِيرِ وَالْإِشْرَاقِ﴾ : ﴿وَالْطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّهُ أَوَابٌ﴾ (٣٨ : ١٨) : ﴿وَيُسَيْحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣ : ١٣) ﴿وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٦ : ٣٨).

فقد يردد الإنسان بكل ذلة ، والطير والملائكة بالرعد ، والطير بالجبال ، بتقديم الرعد والجبال في التسبيح بالحمد ، مما يبرهن انهما تسبحان كما الطير وكما الملائكة والإنسان.

وانه لمشهد كوني رهيب عجيب فريد حين يتبئنا ربنا أن كل شيء يسبح بحمده ، من كل ذرة ، وكل زاحفة وحشرة ، وكل طير وذلة ، وكل ما في الأرض والسماء ، وكل ساجحة في الماء والهواء ، الكل تسبيح ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحُهُمْ﴾ :

جمله ذرات عالم در نهان^{*} با تو می گویند روزان وشبان ما سمیعیم وبصیر وباهشیم^{*} با

شما نا محربان ما خامشیم (٢)

يسجن وخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسيائي وابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): قرست نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمر فأحرقت فأوحى الله اليه : من أجل نملة واحدة أحرقت امة من النمل تسبيح.

(١). المصدر اخرج النسيائي وابو الشيخ وابن مردوه عن ابن عمر قال : نهى النبي (ص) عن قتل الضفدع وقال : نعيقها تسبيح.

(٢) جون شما سوی جمادی می روید محرم جان جـادان کـی شـوید .

ان ذرات الكون أيا كان تنتقض روها حية حيث تنبض بالحياة في تسبیح الله ، فالكون كله حركة وحياة ، وكله تسبحة الله ، محراب واسع تسجد فيه الكائنات لربها ، وجدان الإنسان يرتعش وهو يستشعر كونه غارقا في السبحات ، وهو غارق في الشهوات ، غافل عن الله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهْوَلًا﴾ فالأمانة العامة التي نعرفها في الكون كله هي تسبیحه بالحمد ، فقد أداتها الكون كله وحملها وخانها الإنسان بظلمه وجهله ، ف «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله تعالى إلا سبع اللهم بحمده إلا ما كان من الشيطان وأغنياء بني آدم» ^(١).

ترى ما هذا التسبیح الشامل لكل شيء ، هل هو قول عن اعتقاد بعمل : مثلث التسبیح الكامل؟ ولا نسمع إلا للإنسان المسبّح! ام هو التسبیح التکوینی لا عن شعور وادراك إلا لذوي الشعور؟ والتسبیح فعل من يسبح وهو بحاجة الى شعور ما و اختيار! والاستدلال باتفاق الصنع من العقلاه ظرف لتسبیح العقلاه والكون موضع لهذا الظرف ، لا أنه المسبّح لو لا شعوره بنفسه! ومن ثم ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾ تعريف بكیان هذا التسبیح أنه لا يفقه للإنسان الفقيه دقائق من العلوم الخفیة ، فهل الاستدلال بالكون على المکون وکیانه لا ينال للإنسان وإن فکر ما فکر ودبر

— از جمادی در جهان جان روید	غلغـل اجــزای عــالم بشــنوید
فــاش تــسبیح جــمادات آــیــدت	وســوــســة تــأــوــیــلــه ســا بــرــیــاـیــدــت
چــون نــدارــد جــان توــقــنــدــیــلــهــا	بــخــر بــیــســنــش کــرــدــهــاـیــ تــأــوــیــلــهــا
کــهــ غــرــضــ تــســبــیــحــ ظــاهــرــ کــیــ بــودــ	دعــوــیــ دــیــدــنــ خــیــالــ وــغــیــ بــودــ
یــســ چــهــ اــزــ تــســبــیــحــ یــادــتــ مــیــ دــهــدــ	آنــ دــلــالــتــ هــچــوــ کــفــتــنــ مــیــ شــودــ
ایــنــ بــســوــدــ تــأــوــیــلــ اــهــلــ اــعــتــزاــلــ	وــوــایــ آــنــ کــســ کــوــ نــدــارــدــ نــورــ حــالــ

(١). الدر المثور ٤ : اخرج ابن مردویه عن عمرو بن عبسة عن رسول الله (ص) قال ...

ما دبر ، والكون كله آيات لله ملن فكر ودبر : ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحْقُّ أَوْمَعْ يَكْفِ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤١ : ٥٣).

والآيات الآفاقية هي كل شيء يستدل بها على الله بما يرينا الله برسيل الفطرة والعقل والحس الذاتية وسائر الرسل الخارجية ، فهل بعد ﴿وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ﴾ لو كانت الدلالة التكوينية هي المعنية؟ فالفقه هو التوصل بعلم حاضر الى علم غائب ، وغائب التسبيح بالحمد في كل شيء واصل لحد لا يتوصل إليه بأي علم حاضر ، والتسبيح التكويني لكل شيء حاضر لكل ذي حجي فكيف ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ﴾؟

نحن لا نفقه تسبيحهم : قولتهم هذه وفعلتهم وعقيدتهم ، إلا ان يففقها الله كما فقه سليمان : ﴿قَالَتْ نَعْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمَلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطُمْنَكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ صَاحِكًا مِنْ قَوْهَا ...﴾ (٢٧ : ١٩) وداود ﴿وَسَحَرْنَا مَعَ دَاؤَدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُ وَالظَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٢١ : ٧٩).

وهنا يتحقق أن لكل شيء لساناً أيا كان وإن كنا لا نفقه لغاتها ، ثم من وراء اللسان جنان وعمل بالأركان ، تسبّح بحمد ربه وتسجد لربها ﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (١٣ : ١٥) ﴿أَوْلَمْ يَرَوُا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ : ﴿وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُنْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ (١٦ : ٥) ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُانِ﴾ (٥٥ : ٦).

تسبيحات بالحمد وسجادات مخربين لحد لا مسيرين ، وفي ضياع لهم

فيما يتوجب عليهم من تسبيح ضياع لأعمارهم في الاولى^(١) كما في تخلف الدواب عن سنة العدل عقاب لهم في الآخرى ﴿... ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ وعلّ في كل حركة وكل صوت لكل شيء عباده وتسبيحة^(٢) ﴿وَلَكِنْ لَا﴾

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٤ . أخرج ابن راهويه في مسنده من طريق الزهري قال أتني ابو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ما صيد من صيد ولا عضدت عضة ولا قطعت وشيبة الا بقلة التسبيح» وعن أبي هريرة عنه (ص) مثله «الا بتضييعه التسبيح» وآخر ابو نعيم في الحلية وابن مردویه عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) : ما صيد من طير في السماء ولا سعك في الماء حتى يدع ما افترض الله عليه من التسبيح وآخر العقيلي في الضعفاء وابو الشیعی والمدیلمی عن انس قال قال رسول الله (ص) : آجال البهائم كلها وخشاش الأرض والنمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها وغير ذلك آجالها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس الى ملك الموت منها شيء.

(٢) الدر المنشور ٤ : ١٨٥ . أخرج ابو الشیعی عن انس قال : أتني رسول الله (ص) بطعام ثريد فقال : ان هذا الطعام يسبح ، قالوا : يا رسول الله (ص)! وتفقه تسبيحه! قال : نعم ثم قال الرجل : اذن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها منه فقال : نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح فقال : ادخنا من آخر وأدناها منه فقال : هذا الطعام يسبح ثم قال : ردها ، فقال رجل يا رسول الله (ص) لو أمرت على القوم جميعا ، فقال : لا لو اخنا سكتت عند رجل لقالوا من ذنب ، ردها فردها وفيه اخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت دخل علي رسول الله (ص) فقال لي ، يا عائشة اغسلني هذين البردين فقلت يا رسول الله (ص) بالأمس غسلتهما ، فقال لي : اما علمت ان التوب يسبح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه؟». أقول : ومن طرق أصحابنا أحاديث عدة تجاوب ما أوردناه عن إخواننا السنة ففقي نور الثقلين ٣ : ٢٢٢ في الكافي عن أبي عبد الله (ع) : قال سأله عن قول الله عز وجل : وإن من شيء إلا يسبح بمحمه. قال : تنقض الجدار تسبيحها وفي تفسير العياشي عنه (ع) مثله وعن زرارة عن أبي جعفر (ع) مثله وعن الباقر (ع) نهى رسول الله (ص) عن ان توسم البهائم في وجوهها وان تضرب وجوهها لأنها تسبيح بحمد ربها وعنه (ع) ايضا انه دخل عليه رجل فقال : فداك أبي وامي اين أجد الله يقول في كتابه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ فقال له : هو كما قال : فقال : أتسبيح الشجر اليابسة؟ .

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ومن تسبيحهم «سبحان الله وبحمده» ^(١).

وترى إن كون الأشياء مسبحة عن علم على أن جماداتها أموات غير أحياء هلا يمنع من الاستدلال على حياته تعالى بعلمه؟ .. كلاً حيث الحياة لزام العلم ولكل شيء حياة حسنه ، والله حسيب الأشياء الأحياء ، حي بغير حياتهم «بأين عن خلقه وخلقه بأين عنه». هذا هو الكون كله يسبح الله بحمده ولكن الإنسان خان هذه الامانة الكبرى ، طاعته وعبادته **«إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»**.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَنْهَا اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ^(٢).

هذا العرض تكويوني تبياناً لكيان الكون اجمع من حيث الطاعة والعصيان وعصيان الإنسان دون الكون اجمع.

والأمانة واجبها الأداء إلى أهلها ما دامت امانة لدى غير أهلها ، فإذا حملت تحققت الخيانة ، سواء نوى ألا يؤديها منذ أخذها ، أم لم يؤدّها عملياً ، فمن الأمانة الفطرة والعقل حيث يحملان التكليف أمام الله ، ولكنما الإنسان يخون الفطرة والعقل رسولي الباطن ، ويخون سائر الرسل حيث يعصى ربه.

قال : نعم ، أما سمعت خشب البيت كيف ينقض؟ وذلك تسبيحه فسبحان الله على كل حال.

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٣ . اخرج احمد وابن مروي عن ابن عمران النبي (ص) قال : ان نوحاماً حضرته الوفاة قال لابنيه : أمركم بسبحان الله وبحمده فانما صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء.

وَإِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا مُحَطِّه تغافل الإنسان عن تسبيحه بحمده بين سائر الكون
ما لم يصل إلى الشرك والنفاق : وكما في آية الأمانة : ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفوراً رحيمًا.

وكذلك ﴿لَا تفْقِهُونَ تَسْبِيحَهُم﴾ فعدم فقهه علمياً قصور معدور ، ولكن تركه عملياً وعدم مجارة الكون في التسبيح بالحمد تقصيرًا محظوظ ، وفي سواه معدور.

﴿وَإِذَا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيِّنَكَ وَبَيِّنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥)
 وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْعَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ (١) فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا
 عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦).

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ﴾ تعني الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن ثمّ من معه ، الذين يقرءون القرآن قرائته (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فليس كل قارئ للقرآن يجعل الله بيته وبين الذين لا يؤمنون بالأخرة حجابا مستورا ، فرب تال للقرآن والقرآن يلعنه ، وليس ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم كل الكفارة ، وإنما هم الذين ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْكُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢ : ٦) فهم يستهزئون او يهاجرون على قارئ القرآن فالقرآن حفاظ على قارئيه إن كانوا يقرءون كما كان الرسول يقراء او قريبا منه ، كل قدره.

هنا بين قارئ القرآن وبين الكفار حجاب مثلث : على أعينهم فلا يرونـه ، وعلى آذانهم فلا يسمعونـه وعلى قلوبهم فلا يفقهونـه ، لأنـهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَافٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْبٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّا عَامِلُونَ﴾ . (٤١ : ٥)

كُنَّ الْقُلُوبُ وَوَقَرَ الْأَذَانُ لِزَامَانٍ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهُمَا خَسَارُ الظَّالِمِينَ ﴿وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَّحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَبِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١٧ : ٨٢) وليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ولا وقر في سمع ، وإنما هم لاستيقاظهم سماع القرآن حيث يتلى عليهم ويفرغ في آذانهم ، هم كالذين على قلوبهم أكنة دون علمه ، وفي آذانهم وقر دون سمعه ، وإن كانوا أتوا من قبل نفوسهم ، وأخذوا بسوء اختيارهم ، ولذلك ذموا على إطراحه ، ولم يعذروا بالاضراب عن استماعه .

ثم الحجاب المستور عن أعينهم عليها ليس إلا على الذين يريدون به شراً وضراً حين يقراء القرآن كما هنا ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ...﴾ حفاظاً على كرامة الوحي وحامله ، وكما في يس حفاظاً على نفسه المقدسة : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾ (٣٦ : ٩) أم على حرمته حين يهتك كما قصدته حمالة الخطب بما رأته ورأت أبي بكر فرجعت بعد ما خسيت^(١) .

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٦ . اخرج ابن مردوه والبيهقي في الدلائل عن اسماء بنت أبي بكر ان ام جميل دخلت على أبي بكر وعنده رسول الله (ص) فقالت يا ابن أبي قحافة ما شأن صاحبك ينشد في الشعر فقال : والله ما صاحبي بشاعر وما يدرى ما الشعر فقالت : أليس قد قال : في جيدها حبل من مسد ، فما يدرى ما في جيدي فقال النبي (ص) قل لها : هل ترين عندي أحداً فانها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب فقال لها ابو بكر فقالت : أهذا بي والله ما ارى عندك أحداً واخرج ابن مردوه عن أبي بكر قال : كنت جالساً عند المقام ورسول الله (ص) في ظل الكعبة بين يدي إذ جاءت ام جميل بنت حرب بن امية زوجة أبي هدب ومعها فهران فقالت : اين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لأرضن أثثيه بمذين الفهرين وذلك عند نزول بتبت يداً أبي هدب قال ابو بكر : فقلت لها : يا ام جميل ما هجاك ولا هجا زوجك قالت : والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله (ص) انما لم ترك فقال النبي (ص) حال بيني وبينها جبرائيل . أقول واخرج مثله عديد من رواد الحديث والجامعين .

إن **﴿حِجَاباً مَسْتُوراً﴾** هو المستور عن الأنظار الكافرة ، ثم لا حجاب لمن سواها ، فهو ساتر مستور كالحجر المحجور بين بحر العذب والمالح : **﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْخَاً وَحِجْرًا مَحْجُوراً﴾** (٥٣ : ٢٥).

ان القرآن يكشف عن حجب المؤمنين وهو حجاب على الكافرين ، كما يجعل بينه وبينه حجاباً مستوراً ، وهو حرز يحتز به من يعتمد ويرأه مؤمناً أو يكتبه وكما في سلسلة الذهب الجعفري عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (١) :

وترى ما هو ذكر الرب وحده في القرآن إذ كانوا يولون على أدبارهم نفروا؟ إنه كلمة التوحيد؟ وانه البسملة حيث كان الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٦ . اخرج ابن عساكر وولده القائم في كتاب آيات الحرز عن العباس بن محمد المنقري عنه قال ، قدم حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المدينة حاجاً فاحتاجنا إلى أن نوجه رسولاً وكان في الخوف فأبى الرسول أن يخرج وخف على نفسه من الطريق فقال الحسين (رض) أنا أكتب لك رقعة فيها حرز لن يضرك شيء إن شاء الله تعالى فكتب له رقعة وجعلها الرسول في صورته فذهب الرسول فلم يلبث أن جاء سالماً فقال مررت بالأعراب يميناً وشمالاً فما هي جناني منهم أحد والحرز عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن حده عن علي بن أبي طالب وإن هذا الحرز كان الأنبياء يتحرزون به من الفراعنة **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**. قال أحسنتوا فيها ولا تكلمونني أعود بالرحم منك إن كنت تقينا ،أخذت بسمع الله وبصره وقوته على أسماعكم وبصاركم وقوتك ، يا عشر الجن والأنس والشياطين والأعراب والسابع والهوم واللصوص مما يخاف ويحذر فلان بن سترت بينه وبينكم بستر النبوة التي استتروا بها من سطوات الفراعنة جبرائيل عن إيمانكم وميكائيل عن شمالكم ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم إمامكم والله سبحانه وتعالى من فوقكم يمنعكم من فلان بن نفسه وولده وأهله وشعره وبشره وما له وما عليه وما تحته وما فوقه **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَهُمْ أَنْ يَفْهَمُوهُ﴾** الآية إلى **﴿نَفَرُوا﴾**. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عليه وآلِهِ وسَلَّمَ) يجهر بما كما عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمَّةُ من عترته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ^(١).

فذكرَ الرَّبِّ وحده دون سواه بعمِّ كلامِ التَّوْحِيدِ حيثُ تُنْفَى مِنْ سواه وسائلُ ذكرِهِ في
بسملةِ وسواها حيثُ لا يقرنُ به سواه.

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٧ . اخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي انه قال : لم كتمتم بسم الله الرحمن الرحيم فنعم الاسم والله تكتموا فإن رسول الله (ص) كان إذا دخل منزله اجتمعوا عليه قريش فيجهر بسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بما قاتلوا فرارا فأنزل الله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخَدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ أقول ورواه مثله في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد الله (ع) وفي الجمجم قال رسول الله (ص) ان الله من على بفاختة الكتاب فيها من كنز الجنة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الآية التي يقول الله تعالى **﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ..﴾** ورواه مثله القمي عن أبي عبد الله (ع).

والعيashi عن زيد بن علي قال : دخلت على علي بن جعفر فذكر بسم الله الرحمن الرحيم» فقال : تدري ما نزل في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ فقلت : لا . فقال : ان رسول الله (ص) كان احسن الناس صوتا وكان يصلبي بفناء الكعبة فرفع صوته وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وجماعة منهم يستمعون قرااته قال : وكان يكثر ترداد بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بما صوته قال : فيقولون ان محمد ليجدد اسم ربه تردادا انه ليحبه فيأمرؤن من يقوم فيتسم عليه ويقولون : إذا جاءت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فأعلمنا حتى نقوم فنسمع فرأته فأنزل الله **﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ..﴾** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **﴿وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾**

وفيه عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال : كان رسول الله (ص) إذا صَلَّى بالناس جهر بسم الله الرحمن الرحيم فتختلف من خلفه من المنافقين عن الصنوف فإذا جازها في السورة عادوا إلى مواضعهم وقال بعضهم لبعض : انه ليجدد اسم ربه تردادا انه ليحب ربها فأنزل الله إليه الآية.

وفيه عن أبي حمزة الثمالي قال قال لي أبو جعفر (ع) يا ثمالي ان الشيطان ليأتي قرين الامام فيسألة هل ذكر ربه؟ فان قال : نعم اكتسع فذهب وان قال : لا . ركب كتفه وكان امام القوم حتى ينصرفوا . قال قلت : جعلت فداك وما معنى قوله : ذكر ربه؟ قال : الجهر بسم الله الرحمن الرحيم.

إن ذكر من سوى الله دونه إلحاد ، وذكره مع سواه إشراك ، وذكره وحده توحيد ، وإن كان لا يعني الذاكر ما تعنيه اللفظة فيما سوى التوحيد. حيث التوحيد ليس قصدا دون إعلان ، فليكن الإعلان بدلالة توحيدا كما يعتقد من يعلن بكلام أو كتب أو إشارة أم ماذا.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَبَعَّدُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾ (٤٧) **﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨).**

نجوى شيطانية تتهدّم صرح الرسالة الإلهية على حد تصمييمهم ، فهم يستمعون الى الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ليعلموا ما يقول ، ولكنّي يكيدوا له كيدا ، ثم يستمعون بكيد عليه فيما بينهم كشورى ابليسية ليتسقط فيها عن كيان الوحي ، ثم يتناجون في حصالة الشورى الظالمة : **﴿إِنْ تَتَبَعَّدُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾** (١).

(١) في الدر المنشور ٤ : ١٨٧ . أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن الزهري قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأحس بن شريف خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله (ص) وهو يصلّي بالليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا فقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأكم بعض سفهاءكم لا وقتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأحسن أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد قال والله سمعتأشياء اعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأحسن وانا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت تنازعا نحن .

هذه من المطرقات الهراء حيث يهرون عليه بما يخرون : انه ساحر او مسحور ،
كاهن او مجنون او شاعر نتبص به ريب المنون ام ماذا؟ .
ومن أخطر ما يفترى به عليه أنه مسحور ام به جنة ، مسحور مسلوب الاختيار في
بعض ما يفعل او يقول حيث يسيطر الشيطان على عقليته ام إحساسه ، فلييس ما يفعل او
يقول . على خرافتة . منه ، وإنما من شيطان او جن ، خرافة مزدوجة بعيدة عن الحق في
بعدين ! ام إذا لم تكن خرافة فليست هي لا منه ولا من ربه وإنما من ساحر يسحره حيث
يسخره !

والنحوى مصدر كالتفوى ، وقد وصفوا بالمصدر لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم وإسرار المكائد بينهم ، والصفة بالمصادر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك ، فهم لكترة تناجيهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول والفرية عليه أصبحوا كأئمهم هم نجوى في مقالتهم الظالمة : ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَشْعُونَ إِلَّا رِجُلًا مَسْحُورًا﴾ . انظر
كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ﴿٢٥﴾ : (٩) (١).

لقد كانت فطرة الفحص والتفتیش تدفعهم الى استماع الرسول فيما يقول ، ثم النخوة والكثيراء تزجّهم الى سجن ما يستمعون به تلاو ما بينهم ، ثم الى جحيم القولة الفاتكة الهاتكة ، إذ هم نجوى : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ .

وبنوا عبد مناف في الشرف أطعمنا فأطعمونا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا حتى إذا تجاهلنا على الركب وكنا كفرس رهان قالوا من نبي يأتيه الوحي من السماء فمتي تدرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأئخنس ونتكله.

(١) داجع ج ٣٠ من الفرقان ص ٥٣٩ . ٥٤٠ .

قولتهم جنthem ، فقد تأثروا بالقرآن حين تسمعوا إليه ، فلا سبيل لهم أن يقولوا إنه «قول بشر» لأنهم يلمسون منه وحيا ليس من بشر ، حيث لا يشبه قول بشر : ولا تدعهم نخوتم أن يقولوا إنه كلام الله جرى على لسان بشر ، فقالوا : إن هذا إلّا سحر يؤثر ، فظنوا تسمية القرآن سحراً أبسط وحие ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَبِيلًا﴾ !

لو كانت هذه الرسالة السامة مختلفة لاستطاعوا سبيلاً إليها قضاء عليها ، فإذا لم يستطعوا إليها سبيلاً ولن ، فهي إلهية مهما ضربوا لها الأمثال المضلة ، فإنهم تائرون ضالون في هذه البغية الباغية ، لا يتبعون إلّا أنفسهم.

إنما تضرب الأمثال لإقامة حق مبين تقريراً لبيانه ، او لإماتة باطل مبين تقريراً لبطلانه ، واما ان تضرب الأمثال دون اي برهان ، او تضرب لباطل حق واضح البرهان فهو ضلال مبين.

وهؤلاء المناكيد الأوغاد بدل أن يرهنوا دعواهم ابطالاً للرسالة الحمدية ولن ، أخذوا يضربون الأمثال يمنة ويسرة بكل تكلف وعسرة دون أن يستطيعوا سبيلاً الى ابطال هذه الرسالة السامة.

﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمْ بَعُثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩) ﴿فُلْكُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠) أَوْ حَلْقًا مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً فَسَيَنْعِصُضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَقِيْهُ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٥١). يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيْهُونَ بِحَمْدِهِ وَتَطْلُونَ إِنْ لَيْسُمُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢).

انه لا برهان لناكري المعاد الحساب إلّا استبعادات واهية ، لا تملك من حجية إلّا هي: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمْ بَعُثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾؟ فإذا بليت أجسادنا فـ ﴿كُنَّا عِظَاماً﴾ ورمدت عظامنا فـ «رفاتاً» فلم يبق

منا شيء إلا تبدل إلى تراب «أينا» ونحن تراب ﴿لَمْ يَعُوْثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾؟

هم يستبعدون أن يتحوال التراب المترخي عظاماً وحوماً ، والله يحولهم ويبدلهم خلقاً جديداً ولو كانوا حجارة أو حديداً ﴿فَلَمْ كُوْنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ حَلْقًا مَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فالحجارة أصعب تحولاً إلى الخلق الجديد من التراب وال الحديد أصعب من الحجارة ، وخلق يكبر في صدورهم أصلب من الحجارة ، وال الحديد أصعب منها ، فليكونوا أي صلب وصعب مما سبقت له الحياة أم لم تسبق ، فتبديلها إلى خلق جديد ليس من المستحيل لا ذاتياً ولا في الحكمة ولا أمام القدرة الإلهية.

ثم استبعاد ثان على فرض الإمكان ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى ما كنا ، من يرددنا إلى الحياة بعد ما كنا عظاماً ورفاتاً أم حجارة أو حديداً أم ماذا؟ مما هو أشد ايجالاً في الموت والخmod ، ﴿فُلِّ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةً﴾ لا تذهبوا بعيداً نظرة الجواب ، فالذي فطركم أولاً مرة هو الذي يعيدكم مرة أخرى ﴿وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾.

هؤلاء المناكيد الأوغاد يعجبون من عودهم وهم عارفون بدائهم : ﴿وَإِنْ تَعْجِبُ فَعَجِبْ قَوْمٌ إِذَا كُنَّا ثُرَابًا أَيًّا لَّفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ..﴾ (١٣ : ٥) ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. إِذَا مِنْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (٥٠ : ٤).

﴿كُوْنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ليس إلا تحدياً عليهم ، لا أمراً ان يكونوا حجارة أو حديداً ، إذ هم لا يستطيعون لأنفسهم تكونا هكذا ، ولا ان الله يريد تكوينهم هكذا ، فلا يعني من «كونوا ...» إلا أولوية في هذه الكينونة وتلك استبعاداً على حد زعمهم ان يعيشوا خلقاً جديداً : إلا أن الكينونات

كيفما كانت ليست لتتمكن من امر الله ان تبعث خلقا جديدا ، فلا فرق بين عظام الإنسان ورفاته ، وبين حجارته وحديده وفولاده وأصلب منه في بعثه خلقا جديدا ، حيث الكل من خلق الله ، يخلقها ويعتها كما يشاء ، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالحجارة وال الحديد على كونهما أبعد عن الحياة من العظام والرفات هي قريبة الى الحياة في قدرة خالق الحياة.

هؤلاء الأوغاد بعد ما يسمعون جوابا تلو جواب عمما يستبعدون من خلقهم الجديد يتعنتون في سؤال «متى هو»؟ لأن لتعيين متأه و مداده دخلا في أصله ، فلو لم يعلم الرسول متأه ، أو بعد مداده فلا يعيثون إذا خلقا جديدا ، فجاء الجواب حاسما ﴿فَلَمْ يَكُنْ قَرِيبًا﴾ وترجي القرب لصاحب الوحي هو قريه : قربا في متأه كما هو قريب في العقل والعلم وفي العدل.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظْنُونَ إِنْ لَيْشُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢).

وذلك اليوم القيمة بعد لبث البرزخ ، «وظنون» نكران للبث قليل كما كانوا يظنون ﴿.. لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ هَارٍ﴾ (٤٦ : ٣٥) : او ﴿.. لَيْشَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (١٨ : ١٩) او ﴿.. إِنْ لَيْشُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (٢٠ : ١٠٣) (١).
 ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَلَّا هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْرَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣).

إن الشيطان من جن وإنسان ينزع بين الإخوة المتحابين فضلا عن سائر الناس ام الذين بينهم عداء ، فلا يهدف في محاولاته بين الناس الا عداء وزيادة.

(١) راجع ج ٣٠ من الفرقان ص ١٠٣ .

والنَّغْ دَخْولٌ فِي أَمْرٍ لِإِفْسَادِهِ كَمَا دَخَلَ الشَّيْطَانَ بَيْنَ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ
إِذَا أَخْرَجَنِي مِنِ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢ : ١٠٠).

فقد يدخل الشيطان في أمر جماعة متحابين فيفسد بينهم من جانب دون ان يسطع لإفساد من جانب آخر ، كما بين يوسف وآخوه ، فهم الذين حاسدوه وفعلوا به ما افتعلوه ، وهو لم يفعل بهم إلا حسنا ، أو يفسد من الجانبين إن كانوا على سواء ، أو يدخل في أمر شخص فيفسد بينه وبين نفسه ، وهذه فعلة دائبة منه على غير المخلصين ، أم لا يسطع مهما حاول كما في المخلصين ، وإن كان عليهم أن يستعينوا بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وَإِمَّا يَنْزَعُنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤١ : ٣٦) ﴿.. إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَاهُمْ
يَمْدُوْهُمْ فِي الْغَيْرِ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ (٧ : ٢٠٣).

ولكي نستأصل نزغات الشيطان ونزعاته ، علينا استئصال الوسائل التي ينزع بها الشيطان بيننا ، من قوله سوء تلذغ ، او إجابة سوء وجاه سوء ، فإنهما مريض الشيطان ومنزغه ، وانما القول الأحسن ، لكيلا يقع مجال لنزغ الشيطان ، وكذلك الفعل الأحسن أم اي مظهر من المظاهر الحسنة (١).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ هنا يؤمر أول العابدين أن يقول لسائر العباد ﴿يَقُولُوا﴾

(١) الدر المنشور ٤ : ١٨٨ - اخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا يشرين أحدكم إلى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من نار.

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فالكلمة الحسنة هي لزام العبودية وسياج على الشيطان دون نرغه : **إِذْفَعْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** (٤١ : ٣٤) فالكلمة الحسنة تدفع العداوة ، والكلمة الخشنة تدفع الى العداوة ، حيث الحسنة تأسوا جراح القلوب وتندى جفافها ، ف **قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** (٢ : ٨٣) بداية وإجابة ، ولتكن الإجابة أحسن **وَإِذَا حُسِّنْتُمْ بِتَحْيِيَةٍ فَحَيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** (٤ : ٨٦).

فمن قال لك حسناً أو أحسن ، ومن قال لك سوء فلتتجنب حسناً او أحسن ، ولكي يترك السوء او يميل الى الحسنة وأما إذا قابلت السوء بالحسنة فاستمر هو في الإساءة ، وتجربه عليك وعلى سواك فاما السكوت بعد او **حَزَاءٌ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا** دون زيادة ، ولكنما الضابطة العامة أن **يَقُولُوا إِلَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ** صدًا لنزع الشيطان ، وأما إذا كان الحسن او الأحسن مجالا لنزع الشيطان فلا ، فان قول التي هي أحسن ليس إلا صدًا لنزع الشيطان ، وتوددا الى عباد الرحمن فإذا سبب لنزع أكثر فلا : **إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِلْهَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**.

من القول السوء أن تجاهله السوء بمثله من السوء ، وهو وإن كان حسناً ف «جزاء سيئة مثلها» ولكنما الأحسن أن تعفو مصلحاً **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** الا ان يتجرأ على سوءه او يزداد.

ومن السوء المواجهة بالسوء وليس حسناً على أية حال فانه اعتداء بزيادة **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**.

ومنه الإخبار عن حاله الحاضرة او المستقبلية انه في سوء ام الى سوء دونها ظاهرة تدل ، وعلمه في خير ام إلى خير ف **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ** . **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُمْ** وما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) : **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ولقد فضلنا

بَعْضُ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا (٥٥) :

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ منكم ومن سواكم ، يعلم حاضركم ومستقبلكم وغايبركم ف ﴿إِنْ﴾
 ﴿يَشَا يَرْحَمُكُمْ﴾ إن أنتم من أهلها و ﴿إِنْ يَشَا يُعذِّبُكُمْ﴾ إن أنتم من اهله (ولا تظلمون نقيرا)
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أن يجعلهم من أهل الرحمة أو ترحمهم ، فما عليك إلا البلاغ .
 فلا توكل على من سوى الله إلا على الله لا سواه ، ولا وكيل على عباد الله إلا الله لا
 سواه ، فهو الذي يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يعلم مصاير
 عباده وكل أمرهم بداية وحتى النهاية ، لا فحسب بل : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ﴾ وبعلمه يفضل بعضا على بعض ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ في
 درجاتهم وأياتهم المعجزات وفي كتاباتهم ﴿وَآتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا﴾ فهو أفضل الكتب السماوية
 بعد الخمسة لأولي العزم.

يأتي ذكر الربور هنا وفي النساء (١٦٣) والأنبياء (١٠٥) (١) ولا يأتي ذكر من سائر
 الكتب الفروع للأنبياء ، ولا من الأصول إلا الاربعة (٢) نصا

(١) «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَعِيسَى وَأَتْوَبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا» (٤ : ١٦٣) «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الْتِكْرِيِّ أَنَّ
 الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» (٢١ : ١٠٥).

(٢) نور التقلين ٣ : ١٧٥ في كتاب علل الشرائع باسناده الى عبد الله بن صالح عن أبيه عن أبيه عن علي بن
 أبي طالب (ع) قال قال رسول الله (ص): ما خلق الله خلقاً أفضلاً مني ولا أكرم مني ، قال علي (ع) : فقلت يا
 رسول الله (ص) أفأنت أفضلاً أم جبرائيل؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المسلمين على ملائكته المقربين
 وفضلي على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدى لك يا علي وللأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا وخدام
 محبينا .

وكتاب نوح تلویحا ، وقد يذكر الزيور نصا مع التلویح الى سائر الوحي بما فيه الوحي الى نوح وابراهيم وعيسى (عليهم السلام) كما في النساء ، ويبشرنا البشرة العظمى بوراثة الأرض نقا عن الزيور بعد الذكر في الأنبياء ، ومن ثم نرى هنا في مقام تفضيل بعض النبيين على بعض يأتي بمودع من تلك النماذج السامية :

﴿وَآتَيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا﴾!

أفلا يدل هذا المثلث البارع من ذكرى الزيور على أهمية كبرى له بين الزيور؟ ترى انه مفضل على سائر الزيور الفروع ، فلما ذا يفضل أحيانا على بعض الأصول؟ أقول : علّه لأنّه الحفيظ على ما حرف من الكتب الأصول ، ولحد الآن لا نجد فيه تحريفا ولا تجديفا إلا القليل القليل ، بين الكثير الكثير من التحرير والتجديف الذي حصل في سائر الكتب المقدسة من العهد العتيق والجديد ، مع ما يحوي من المعارف الجمة الإلهية بألفاظ تعبير وأعطفه ما يأخذ بازمة القلوب.

فالزيور إذا مهيمن على ما حرف من الكتب الأصول ، وسياج صارم ضد كل تحريف وتجديف على الكتب الأصول ، يشمل على جملة المعارف التي تشمله الكتب المقدسة ، متخللا عن كل دس وتحريف او مس وتحريف.

لا نجد بين الكتب المقدسة ما يقل فيه التحرير ام ليس فيه كما نجد في الزيور من كتب العهد العتيق وفي إنجيل القديس برنابا الحواري من كتب العهد الجديد ، وهمما يشهدان دون تكلف ببراعة الوحي القرآني

. وفيه (٢٥٧) في الخرایج والجرایح باستناده الى أبي عبد الله (ع) قال : ان الله فضل اولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول الله (ص) ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول الله (ص) فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضليهم وأينما نكون فشيعتنا معنا .

وبراعته ، وبرائته عن كل دسّ ، وانه كتاب الوحي الأخير ، مهما كانت سائر الكتب المقدسة على تحريفها تأتي شاهدة على ذلك بتتكلف أحياناً دون تكلف أخرى.

داود الملك النبي لا يذكر في مقام تفضيله إلا كتابه الذي يمثل رسالته الروحية ، حيث السلطة الرمنية ليست فضيلة في ذاتها ، وإنما هي فضيلة في معطياتها أن كانت ذريعة للدعوة إلى الله وتطبيق شرعة الله وعلى حد تعبير الامام علي (عليه السلام) حين يتحدث عن نعنه المخصوص الذي كان رقعاً كله : «والله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقاً أو أبطل باطلًا»!.

أولوا العزم من الرسل فضلوا على من سواهم ، كما فضل البعض من أولاء على بعض ، والبعض من هؤلاء على بعض ، وقد فضل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على كافة النبيين وعلى الخلق أجمعين.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦)
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا﴾ (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا
 عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ
 بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمَودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا﴾ (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا
 لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي
 الْقُرْآنِ وَتَحْوِفُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاً كَيْرًا﴾ (٦٠) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِإِدَمَ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِنَّلِيسَ

قالَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخْرُجْتُنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا حَشْكَنَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفِرِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِحَيْلَكَ وَرَجْلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرِبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

﴿قُلِ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦).

من اختصاصات الإله أنه قادر على كل شيء ، أم وعلى أقل تقدير بعض الشيء الذي يعجز عنه عباده من كشف ضر أو تحويله ، وإلا فهو مثلهم ، لا يختص بالألوهية دونهم ، او هو دونهم ان كان من غير ذوي العقول : ﴿اَخْتَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ : لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخْضَرُونَ﴾ (٣٦ : ٧٥).

و «الذين» في الآية تلمح إلى أنها تعني الآلة العقلاء من ملك او جن او انساننبي او أيًا كان ، مقربين عند الله فهم فيما هم لا يملكون كشف

الضر عنكم ولا تحويلًا لغيرهم أعجز وأضل سبيلا!

والآية التالية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ تصرح انهم هم ومن الصالحين ، فهم لا يملكون هذا الكشف والتحويل في أنفسهم ولا عن أنفسهم إذ ليسوا آلة في أنفسهم ، ولا يملكون كشفا ولا تحويلًا تحويلًا من ذي العرش حيث لم يملّكهم ، فانهم إلّا خلق من خلق الله يحاولون : ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فكيف يعبدون؟.

فيما تنتفع الأسباب ، وتحار دونه الألباب ، وكلما تدعوا بطاقة وإمكانيات وأسبابا ظاهرية متعددة فلا تستجاب ، وفتند لا تنتفع الرجاء فتدعوا فهل من مجيب ومستجاب؟ حين تدعوا ربكم توفيرا وتوفرا لشروط الدعاء تستجاب ، وإذا تدعوه في ناقص الشروط او ناقصها قد تستجاب وقد لا تستجاب ، أليس هذا دليلا على أن ربكم كائن لا شريك له؟

والذين يدعون مع الله سواه ، ثم يدعون الذين زعموا من دونه آلة ، فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلًا ، هنا لك لا إجابة من الآلة ملائكة أو نبيين كمعبودين ، وإن كانوا يدعون الله فيستجاب لهم إن لم يتسلل إليهم كمعبودين :

لا إجابة هناك على أية حال حين تدعونهم كآلة ، وإن كانوا من كثروا من المقربين ، إذ لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا ، لا من أنفسهم ، ولا من الله ، إلّا فيما يطلبوه . كعبيد . من الله ، لأنفسهم أم لآخرين يعبدون الله ، والذي يعبدهم لا يرتضى ، فهم لا يدعون له إذ ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ولو دعوا لم يستجبوا

أليس في هذه الدعوة الخاسرة آية باهرة انهم ليسوا آلة فضلا

عما سواهم من غير العقلاء ﴿وَهُمْ هُمْ جُنْدٌ مُخْضَرُونَ﴾ ! :
 آمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ... إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴿
 (٢٧) فلو تذكّرتم موارد الاستجابة حين تدعون ربكم ، واللاستجابة حين تدعون
 آلهة تزعمون ، لعرفتم ألا إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يشركون : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
 دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾
 (٣٥) .

«فيما من لا يملك كشف ضري ولا تحويله عنِي احد غيره صل على محمد وآلِه
 واكشف ضري وحوله الى من يدعوه معك إنها آخر لا إله غيرك» (١).

فكاشف الضر للمضرر هو الله ، ومحولة عنه أم إلى غيره إن كان يستحقه هو الله ،
 وليس من سوى الله حول ولا قوة إلا بالله ، ولا يحول الله او يخوّل من حوله وقوته الى سواه ،
 اللهم إلا الى من يشفعون باذنه فيشفعون ، وليسوا إلا من ارضى الله شفاعته من ارضى الله
 . ف ﴿لَهُ دُعَوةُ الْحُقْقِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَحِيُونَ هُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى
 الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٣) .

إن محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو اول العبادين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
 فضلا عنمن دونه من اتخذوا آلهة ، فضلا من يعبدونهم : ﴿فُلَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا
 إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٦ ح ٢٥٩ في اصول الكافي عن أبي عبد الله (ع) كان يقول عند العلة لله ثم انك عيبرت
 أقواما فقلت : ﴿فُلَّا ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فيا من ...

أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْثِرُتْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ . (١٨٨)

المشركون طالما يدعون أربابهم فلا يستجابون ، ولكنهم عند اليساء والضراء لا يدعون إلا رحيم ﴿فَلَمَّا أَرَى إِيمَانَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنْكُمُ السَّاعَةُ أَخْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيُكَسِّفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٦ : ٤١).

ان الذين زعمتم من دونه آلهة وهم عباد صالحون :

﴿وَلِئَكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّكُمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا﴾ (٥٧).

«أولئك» من زعمتم من دونه آلهة هم أنفسهم «يدعون»^(١) رحيم فكيف يدعون؟ **﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّكُمُ الْوَسِيلَةَ﴾** لاستجابة ما يدعون فكيف يتبعون؟ يدعون **﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾** ... ام **﴿وَلِئَكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾**^(٢) هم المشركون . هم «أنفسهم» يتبعون الى رحيم الوسيلة ... **﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾** يتبعي الوسيلة أكثر وآكد ، ام وسيلة أقرب ، فهم بالوسيلة الأقرب وأيهم أقرب يتبعي الى ربه لكي يستجيب دعاءه ويقربه إليه ، فكيف يوصلون ويتصلون في الدعاء وهم لأنفسهم يتسلون إذ يدعون! .

ولقد امر الله عباده ان يتبعوا اليه الوسيلة : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (٥ : ٣٥).

هنا لك مثلث من الوسائل الى الرب . ١ - وسائل المعرفة فالعبادة أيهما

(١) هذا الوجه بناء على كون «الذين» خبرا ل «أولئك».

(٢) وجه ثان على كون «الذين» صنعة ل «أولئك ...».

اقرب وهم الرسل ، ٢ . الوسيلة العبادة والتقوى والجهاد فيما أقربها . ٣ . الوسائل الشفاعة عند الله عفوا عمما قصّروا او قصروا أيهم اقرب .

هؤلاء الذين اتخذتهم آلهة لكشف الضر عنكم أو تحويله ، هم أنفسهم يتبعون إلى رحمة الوسيلة أيهم أقرب ، فليسوا هم كلهم وسائل إلى الرب فإنهم أيضا يتولون ، فكيف إذا يؤصلون كآلهة في كشف الضر؟ .

فمنهم من هم في القمة المعرفية والعبودية ، يتبعون أقرب الوسائل من العبادة للقرب (١) والزلفي ، دون توسل بوسط الوحي إذ هم يوحى إليهم ، ولا وسيط الشفاعة إذ هم أنفسهم شفاعة بإذن الله .

ومنهم من هم دون القمة لا يوحى إليهم ولا يحتاجون شفاعة ، فلهم إذا وسيلتان .

ومنهم من هو دونهما ، يتبعون إلى رحمة الوسائل الثلاث أيهم وأيتها أقرب .

ف﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم المشركون ، هم العابدون للرب ، المتولون إليه لأنفسهم أم لسواحم حيث يؤذن لهم . ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ !

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٠ . اخرج الترمذى وابن ماردينى واللقط له عن أبي هريرة قال رسول الله (ص) سلوا الله لي الوسيلة قالوا : وما الوسيلة؟ قال : القرب من الله ثم قراءة ﴿يَتَبَعَّونَ إِلَى رَحْمَةِ الْوَسِيلَةِ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ .

وفي ملحقات الأحقاف ١٤ : ٥٧٨ اخرج الحاكم الحسکانى في شواهد التنزيل (ج ١ : ٣٤٢ ط بيروت) أخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد أخبرنا محمد بن احمد بن عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني احمد بن عمار الحمامي عن علي بن مسهر عن علي بن بنية عن عكرمة في الآية قال : هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) .

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَةً﴾ بما يقدمون من وسائلها ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ حيث يتحذرون

وسائله ، فالرجاء برحمه الله والخوف من عذاب الله كفتان متوازيتان لميزان الإيمان و «ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»^(١) ف «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»^(٢) و «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»^(٣) «وإن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهن»^(٤) وما حفظ من خطب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أنه قال : «يا أيها الناس إن لكم معلم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد المؤمن نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتبر وما بعدها من دار إلا الجنة والنار»^(٥).

ليست الرجاء ان ترجو دون ترج و لا الخوف ان تخاف دون تخوف ، فلكل شرط

يربطه دون هرج ومرج ف «من رجى شيئاً عمل

(١) نور التقلين ٣ : ١٧٦ في اصول الكافي بإسناد عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له : ما كان في وصية لقمان؟ قال : كان فيها الأعاجيب ، وكان اعجب ما فيها ان قال لابنه : خف الله عز وجل خيفة لو جنته ببر التقلين لعذبك وارج الله رجاء لو جنته بذنب التقلين لرحمك ثم قال ابو عبد الله (ع) كان أبي يقول انه ما من عبد مؤمن ...

(٢) المصدر بإسناد عن أبي عبد الله (ع) ح ٣٦٢ و (٣) عنه ح ٢٦١ و (٤) عنه ح ٢٦٥ .

(٥) المصدر ح ٢٦٦ بسنداً عن أبي عبد الله (ع) يقول : ان مما حفظ من خطب النبي (ص).

^(١) له (طلبه) ومن خاف من شيء هرب منه» ^(٢).

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ

فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨).

يوم القيمة هنا يعني قيمة الاحياء ، حيث الامانة التامة تعنيها الآية باهلاك وتعذيب

قبل يوم القيمة ، وهذا هو المسطور في ام الكتاب لدى الله ، سطرا في سابق علمه دون محو

او تحويل : ﴿يَخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٣ : ٣٩).

وبما أن «قرية» هنا هي في نفي الاستغرار ، فقد تعني كل قرية في الكون كله ، أي

مجتمع من حيوان او انسان امن ذا؟ في ارض ام في سماء إما ذا؟

وترى الإلحاد هو الاماتة دون تعذيب ، فرينة من قرنه بالتعذيب؟ وهو يلمح

لتعذيب! وليس قرنه إلا شديد العذاب! فما دونه عذاب دون شديد قد يشمله الإهلاك!

... إذا فالإهلاك يعم الإمامة دون أي تعذيب ، ودون تعذيب شديد ، ومن ثم صورة ثلاثة

هي العذاب الشديد.

إنه لا مناص ولا محيس عن موت قبل قيمة الإحياء ، مواتات بعذابات ام دون

عذاب ، انفرادية لا تعنيها الآية لمكان «قرية» وهي المجتمع

(١) المصدر ح ٢٦٤ علي بن محمد رفعه قال قلت لأبي عبد الله (ع) ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو. فقال كذبوا ليسوا لنا بموالي أولئك قوم ترجمحت بهم الأمانى من رجا شيئا عمل له ومن خاف من شيء هرب منه.

وفيَّه عن الحسين بن أبي يسارة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا ولا يكون راجيا حتى يكون عاما لما يخاف ويرجو .

(٢) المصدر ح ٢٦٣ عن أبي عبد الله (ع) قيل له : قوم يعملون بالمعاصي ويقولون : نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت . فقال : هؤلاء قوم يترجحون في الأمان . كذبوا ليسوا براجين من رجي ...

وموتوات جماعية لاستئصال الحياة عن الكون كله وليس إلّا بامانة تعذيب جماعي كما في قرى ظلمة ، عذابا شديدا او دون ذلك ، أم بامانة إهلاك لا تعني التعذيب ، كما في سائر القرى ، فهناك مثلث من الإمامة تعنيها الآية : هلاكا دون عذاب ، وآخر بعد عذاب ، وثالث **﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾** !

ولأن الإهلاك . أكثر ما يستعمل . يعني الإمامة العذاب ، وقليلًا ما ياني لإمانة دون عذاب ^(١) فهل تعني «مهلكوها» أكثرية العذاب ، ولا تقوم القيمة إلّا في دولة الحق كما يستفاد من آيات وروايات.

قد يعني الإهلاك العذاب ما يعم عذاب العصيان وعداب غير العصيان : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زِلْزَالَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرُؤُهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضَعَةٍ عَنَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾** (٢٢ : ٢) فهل ان العذاب الشديد يشمل كل مرضعة وكل ذات حمل وكل الناس؟ كلاما! وإنما يعني العذاب هنا الم الموت الشديد مهمما كان البعض الى رحمة الله والآخرون الى نقمته وثالثة **﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾** ^(٢).

وترى **﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** هنا يعني قيمة الإمامة نفسها حيث **﴿نُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾**? أم اهلاكات جماعية وتعذيبات

(١) كقوله تعالى : «إِنَّ امْرُؤً هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ...» (٤ : ١٧٦) «حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلُّمَ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً» (٤٠ : ٣٤) ثم لا نجد في عشرات الآيات التي تحمل الهلاك الإهلاك العذاب لحد القول «هَلْ يَهْلُكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» (٦ : ٤٧).

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٧٨ ح ٣٧١ في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم ، قال سألت أبا جعفر (ع) عن الآية قال : إنما امة محمد من الأمم فمن مات فقد هلك . وفيه (٣٧٢) عن ابن سنان عن أبي عبد الله في الآية قال : بالقتل والموت وغيره.

تترى حتى هذه القيامة؟ قد تلمح او تصرح ﴿إِنْ مِنْ قَرِيبٍ﴾ انه القبل الأوسع منذ البداية حتى النهاية ، حيث القرى كلها ليست عند قيمة الاماتة حتى يقضي عليها كلها ، وانما ما تبقي منها حيث تلحق ما سبق حتى يتم ال�لاك ويطمم.

فمثلث الاماتة مما لا محيد عنه قبل قيمة الاحياء ، بالنسبة للقرى الحية يوم الدنيا ومن الإهلاكات والعدايات الشديدة الجماهيرية ما يحصل ﴿يَوْمَ تُأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٤ : ١١) ويوم ﴿فَتِبَّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْرَبُ الْوَعْدُ الْحَقُّ ...﴾ (٩٧ : ٢١) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمْوِحُ فِي بَعْضٍ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمِيعًا﴾ (١٨ : ٩٩) وكما منها عدايات الاستئصال قبل هذه الأيام ، ام اهلاكات عذابا ودون عذاب ! فكل موتة جماهيرية قبل النفح في الصور تشملها الآية دون إبقاء لأية قرية أيا كان وأيان !

واما اهل البرزخ فهل هم من يموتون عن الحياة البرزخية كما ماتوا من قبل عن الحياة الدنيوية ، للبحث عنه مجال آخر يأتي بطيات آياته كآية الصعقة وا ضراجها .
 ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوهُنَّ وَأَتَيْنَا مُّؤْمِنَاتٍ مُّبْصِرَةً فَظَلَّمُوا إِلَيْهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا لَخَوْفِهَا﴾ (٥٩).

هل الآيات هنا تعني آيات الرسالات ، أنها منعت في الرسالة الاخيرة أن كذب بها الأولون؟ وهذه الرسالة السامية تحمل أخذل الآيات وأجهرها طوال الرسالات ! وليس تكذيب آية الرسالة . كما هو السنة السيئة من ناكيها . بالذى يمنع عن مواصلتها في الرسل تترى ، ولا سيما هامة

الرسالات وجوهرها الأخيرة!

والآيات الممنوعة للرسالة الأخيرة هنا لا تعني كل الآيات ، وإنما التخويفية : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وما آيات الرسالة الهدية غير التخويفية فهي لزام الرسالات كلها ولا سيما الأخيرة ، كما نجدها في الذكر الحكيم !

فمهما منع تكذيب الأولين بالإرسال بتخويفية الآيات التي منها ما هي هامشية موكدة مزيدة على الأصلية لعلهم يرجعون ومنها مستأصلة ، فلا منع عن الإرسال بأصلية الآيات مهما كذب بها الآخرون .

وانه اجابة عما يهرفه المكذبون بالرسالة الأخيرة : لماذا لم يرسل بتلكم الآيات؟ وأية القرآن تمتاز عن سائر الآيات لأنها خالدة دونها ، ومن الآيات الأولى تخويفية دونها . وترى إذا كان التكذيب بالآيات التخويفية ككل مانعا عن الإرسال بها ، فلتكن مانعة قبل الإرسال بها حيث يعلم الله قبل تكذيبها ، ثم ولا فائدة فيها بعد تكذيبها فلما ذا أرسل بها في الأولين؟.

إنما الآيات التخويفية المقترحة تعتبر كنافة ثور وأضرابها ، حيث اقترحوها بعد ما تبين لهم الحق بغيرها ، فأرسل الله بها مزيدا في الحجة واستئصالا للأعذار ، فلما كذبوا بها أرسل عليهم عذاب الاستئصال ، وقد طلبها المكذبون في هذه الرسالة السامية ^(١) فلن يرسل الله بها ، إذ كذب بها الأولون واستأصلوا ، ومزيد الحجة الخالدة موجود في الرسالة الأخيرة ، ولا يريد الله عذاب الاستئصال للامة المرحومة ^(٢) . ولا أن هناك عرض الإيمان

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٧٣ ح ١٧٩ في تفسير علي بن ابراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) في قوله ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ وذلك ان محدثا (ص) سئل قوله ان يأتيهم بآية فنزل جبرائيل فقال : ان الله يقول ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوا﴾ .

حتى يؤمنوا : ﴿مَا آمَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢١ : ٦) :

إن آيات الرسالة اربع ، آية تخويفية ، وآخرى ذات بعدين ، وثالثة دون تخويف وهي وقتية ، ورابعة آية باقية دون تخويف ولكنها أتم وأطم منها ، فإذا جاءت لم يبق مجال لغيرها : وهكذا تكون آية القرآن ، فاقتراح آية دونه كما أرسل الأولون» اقتراح جاهل أو مكابد كما قالوا : ﴿فَلَيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٢١ : ٥) فآية الآخرين : القرآن . تختلف عن آيات الأولين في صورتها ، وهي تزيد عليها في سيرتها قضية الخلود في الرسالة الأخيرة هي الزيادة الخالدة سيرة مستمرة ، لا صورة مؤقتة تثبت رسالة مؤقتة ، فتطلب آية وقتية بصرية تخويفية وسواها مع تلكم الآية الخالدة تطلب هراء خواء.

ثم وآية الرسالة لا تأتي إلا حجة باهرة ، لا مزجحة مهلكة ، اللهم إلا حجة على حجة على المتخلفين عن المحجة ، وليس هذه الآية يملكونها المرسلون بها ، وإنما هو الذي يرسلهم بها تدليلا على رسالتهم حيث تظهر على أيديهم افعال خاصة بالله ، فلو لا انهم مخصوصون بكرامة الله لم تظهر على أيديهم افعال الله.

فهنا لك آيات إلهية تدل على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وحكمته وقدرته ، وهي الكون بأسره ، وآيات أخرى رسالية تدل على رسالة من أرسل بها وهي الأفعال الخاصة بالله ، المستحيلة من سوى الله ، فإذا يأتي

ـ **بِهَا الْأَوَّلُونَ** ـ وكنا إذا أرسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها أهلناهم فلذلك أخرنا عن قومك الآيات.

وفي الدر المنشور ٤ : ١٩٠ . اخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن الريبع بن انس قال قال الناس لرسول الله (ص) لو جتنا آية كما جاء بها صالح والنبيون فقال رسول الله (ص) ان شئتم دعوت الله فانزلها عليكم وان عصيتم هلكتم فقالوا : لا نريد لها .

دامت هي آية رسالية.

ان آية الإسلام : القرآن . تعيش الفطر والفكر والعقول ، ترسم للاجيال منهجا للحياة لا حول عنها ولا محيد ، خارقة فكرية وعلمية لا تحمل مادية مقصورة على الحواس ، مختصرة بجبل خاص ، وهم الذين يعيشونها ، وإنما تتخبط الأجيال ما طلعت الشمس غربت ، دون غروب لشمسها ، او عزوب لنورها.

فهذه الرسالة الأخيرة لا تصحب ما صحبت الأولى من خوارق عابرة دائرة ، اللهم إلا هامشية لا تعني إثبات هذه الرسالة عنایة اصلية ، وإنما تعني فيما تعني إخراج هذه الرسالة من الشذوذ فيما يخيل إلى ناس هم في الحق نسناس !

ثم الأولون في هذه الآية هم كل الأمم قبل الأخيرة الإسلامية ، وهؤلاء الآخرون ، فلا ضرورة ولا رجاحة في ابتعاث الرسول الأخير بهشل ما أرسل الأولون ، كما وان مادة الرسالة الأخيرة تختلف بشطر منها وخلودها عن سائر الرسالات.

ولو كانت هنا ضرورة او رجاحة في الإرسال بالآيات التخويفية لأرسل بها محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولكنها كانت في الأولين.

**﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ
وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾**(٦٠).

«و» اذكر **﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ﴾** قاله رب تبارك وتعالى في آيات عدة بصيغ عديدة : **﴿وَكَانَ اللَّهُ إِنَّمَا يَعْمَلُونَ حُبْطًا﴾** (٤ : ١٠٨) **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** (٤ : ١٢٦) حيطة العلم والقدرة ام

ماذا؟ فلا يعزب عن حيطة شيء.

وترى ما هي الرؤيا الفتنة التي أريها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟ هل هي الشجرة الملعونة في القرآن أم سواها؟ وما هي هذه الشجرة؟ وبماذا خوفهم ، بالرؤيا الشجرة؟ أم إحداها؟ أو سواها؟.

أو هذه الرؤيا الفتنة مذكورة في القرآن فنفترض عنه فيه؟ ... هنا لك رؤيا صادقة بالحق تحمل بشارة لا تمت بصلة الفتنة : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحُرْمَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحَلَّقِينَ رُؤْسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٤٨ : ٢٧) ومن ثم أخرى كمثلها تقلل الكفار ، وتحمل الرحمة الروحية العالية لجنود الإسلام : ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤٣ : ٨) ... ثم لا نجد ثالثة تحمل فتنة ولا رحمة ، أفلأ ذكر عن هذه الرؤيا الفتنة في الذكر الحكيم؟

قد يعني الإجمال عنها هنا سياسة الحياد وجاه الواقع الرؤيا الفتنة : بني امية أمن ذا؟ ولكي لا يعارضوا القرآن وجهاً بوجه إذا ما وجدوا فتنتهم اللعنة جلية في القرآن (١) ولكمما السنة المنظافية كشفت عن وجهها النقاب ، إنها رؤيا القردة ينزلون على منبره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

إنما لا تعني ما أريه الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سرية ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى فكذبوا بما وعجبوا منه (٢) مهما كانت

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨ في تفسير العياشي عن رسول الله (ص) انه قد رأى رجالاً من نار يردون الناس على اعقابهم القهقرى ولستنا نسمى أحداً.

(٢) الدر المنشور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن سعد وابو يعلى وابن عساكر عن ام هاني ان رسول الله (ص) لما اسرى به أصبح يحدث نفراً من قريش وهم يستهزئون به فطلبوه منه آية .

منها . كآية . مثلما أرسل بها الأولون ، حيث الرؤيا هي في المنام ولقد كانت له هناك الرؤية دون الرؤيا .

وإنما هي ما يروى عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ﴾ «يعني الحكم وولده»^(١) رأهم ينزون ... فساءه ذلك فما استجتمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله ...»^(٢) وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «رأيتبني امية على منابر الأرض وسيمتلكونكم فتجدونكم أرباب سوء ... فانزل الله! ...»^(٣) وبذلك وردت متظافرة الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم

. فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة هذا لساحر فأنزل اليه ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا﴾ ...

واخرج ابن جرير عن قتادة في الآية يقول : أراه من الآيات والغير في مسيرة الى بيت المقدس ذكر لنا ان أناسا ارتدوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله (ص) بمسيرة أنكروا ذلك وكذبوا به وعجبوا عنه وقالوا : أتحدثنا انك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة!

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر (رض) ان النبي (ص) قال ...

(٢) فيه اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد (رض) ، قال : رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون ...

(٣) فيه اخرج ابن حاتم عن يعلى بن مرة (رض) قال قال رسول الله (ص) : ... وفيه اخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي (رض) ان رسول الله (ص) أصبح وهو مهموم فقيل له : ما لك يا رسول الله (ص)? فقال : اني رأيت في المنام كان بني امية يتعاورون متبررون هذا فقيل : يا رسول الله! لا تختتم فاخما دنيا تنالم فانزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ...﴾ وآخر مثله ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب فيه بدل «فقيل». فأوحى الله اليه» انا هي دنيا أعطوها فقرت عينه وهي قوله : وما جعلنا ... «فتنة» يعني : بلاء الناس.

السلام) ^(١).

ثم وما هي الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ؟ هل هي شجرة الرَّقْوَم؟ : أَذْلَكَ حَبْرٌ
 نُرْلَا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْوَمِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ : إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلَعْهَا
 كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ^(٢) (٦٥ : ٣٧) إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقْوَمِ ، طَعَامُ الْأَشْيَمِ ، كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي
 الْبُطُونِ : كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ^(٣) (٤٤ : ٤٦) فَكُونُهَا مَلْعُونَةً لِأَنَّهَا طَعَامُ الْمَلْعُونِينَ :
 ام هي الكلمة الخبيثة في مثل القرآن : وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ
 فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ^(٤) (١٤ : ٢٦) كلمة خبيثة في صيغة لفظية ام كونية في ذوات
 شريرة كبني امية ام من ذا ام في أعمال وأية دالة على ما لا يحمد :
 ام لا تعني . فقط . هذه او تلك ، شجرة اللعنة او مثلها ، بل واللعنة المتشجرة ،
 المتدخلة المتخاللة خلال المسلمين ، المتشاجرة الشجرة الطيبة الإسلامية ، المترصدة دوائر
 السوء بالإسلام ومن العندها شجرة امية ، كما يرويها الفريقان ، وقد سمعوا عائشة ^(٢) وغيرها
 عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويرويها أئمة أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ^(٣) :

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٩ في احتجاج للطبرسي عن رسول الله (ص) وعن امير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه : وجعل اهل الكتاب القائمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» أي يظهر مثل هذا العلم المختملة في الوقت بعد الوقت وجعل اعدائها اهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواهم ، ويأتي الله الا ان يتم نوره ...

(٢) الدر المنشور ٤ : ١٩١ . اخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم :

سمعت رسول الله (ص) يقول لأبيك وجدك : انكم الشجرة الملعونة في القرآن».

وعن علي (ع) كما يأتي : «الا فجر ان من قريش ومن بني امية».

(٣) نور الثقلين ٣ : ٣٧٤ ح ١٧٩ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الحسن بن علي (ع) .

واللعنة الدائمة في القرآن متوجهة الى شجرات كهذه الملعونة ، حلقات تلو بعض يعّج منها تاريخ الإنسان وتاريخ الإسلام ، ولا سيما المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، المعارضين إياه ، كاتمِينَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ ﴿٣﴾ . إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ (أولئك الذين يلعنهم الله يتجنب من يلعنهم من الكفار وهم أشد منهم لعنة) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٤﴾ (٤).

إن الشجرة الملعونة في القرآن «الزقوم» تخرج في الدرك الأسفل **﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾** وهي صورة تمثل سيرة المنافقين ومن أنحسهم بنو امية ، فهم زقوم في الدنيا وزقوم في الآخرة! وهم المثل الأسفل الأرذل من كلمة خبيثة اجتشت من فوق الأرض ما لها من قرار! وهم الكامدون ما أنزل الله من البيانات والهدى ، المؤذون الله ورسوله فلعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ، واي عذاب

. حديث طويل يقول فيه مروان بن الحكم : أما أنت يا مروان فلست أن سببتك ولا سببتك أباك ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك ولعن أهل بيتك وذرتك وما خرج من صليب أبيك الى يوم القيمة على لسان محمد (ص) والله يا مروان ما تنكر أنت ولا احد من حضر هذه اللعنة من رسول الله (ص) ولأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما فوقك الا طغياناً كبيراً وصدق رسوله يقول الله تبارك وتعالى **﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُخْوِيْهِمْ فَمَا يَرِيْدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾** وأنت يا مروان وذرتك الشجرة الملعونة في القرآن ورواه مثله في تأويل الشجرة الملعونة بيني امية العياشي في تفسيره عن أبي جعفر الباقر (ع) وعن أبي الطفيل قال كتلت في مسجد الكوفة فسمعت علياً (ع) يقول وهو على المنبر وناداه ابن الكوا وهو في مؤخر المسجد فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن قول الله **﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾** فقال : «الا فجران من قريش ومن بنى امية.

أهون من قتّلهم في شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين؟.

فهذه الشجرة الخبيثة تحمل مثلث اللعنات ، وعلّها أو أنها هي الرؤيا التي أريها الرسول فتنة للناس ، وبها لها من فتنة افتتن بها الكثير من الناس خيراً أو شراً ، تمحيضاً وتخلصاً للمؤمنين ، وتلبيساً على الذين في قلوبهم مرض من المنافقين ، وقد يروى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعن أمّة أهل البيت (عليهم السلام) متظافرةً أن الشجرة الملعونة في القرآن هي هي الرؤيا التي أريها الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فتنة للناس^(١) وهذا موقف ﴿الشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ أديباً حيث تردف بالرؤيا في جعل واحد ، قردة ينزوون ويرقون منبره في منامه ، وشجرة ملعونة في قرآن! ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ... وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ﴾.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٠ في تفسير العياشي عن الحليي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم قالوا سألناه عن قوله «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ...» قال : إن رسول الله (ص) أرى رجالاً على المنابر يردون الناس ضلالاً زريق وزفر. و قوله: «وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ» قال : هم بنو أمية.

ورواه مثله في تفسير الشجرة الملعونة أبو الطفيلي سمعت علياً (ع) يقول ... وعبد الرحيم القصيبي وحريز عن أبي جعفر (ع) وعلي بن سعيد عن أبي عبد الله (ع) والطبرسي في الاحتجاج عن الحسن بن علي (ع) وقد مضى أمثال لها أخرى وفي كتاب الحصول عن أبي جعفر (ع) عن أمير المؤمنين (ع) حديث طويل يقول فيه . وقد ذكر معاوية بن حرب . ويشترط علي شروطاً لا يرضاهما الله تعالى ورسوله ولا المسلمين ، ويشترط في بعضها ان ادفع اليه قوماً من اصحاب محمد (ص) أبراها فيهم عمار بن ياسر وابن مثل عمار؟ والله لقدرأينا مع النبي (ص) وما بعد منها خمسة الاكوان سادسهم ولا اربعة الاكوان خامسهم.

اشترط دفعهم اليه ليقتلهم ويصلبهم وانتحل دم عثمان ولعمر الله ما ألبّت على عثمان ولا جمع الناس على قتلها وأشياهه من اهل بيته إلّا أغصان الشجرة الملعونة في القرآن.

وقد يقال إن الرؤيا هنا أخص من الشجرة الملعونة ، كما ويروى عن علي (عليه السلام) : «إنما الأفجران من قريش ومن بني أمية» فذكرها بعدها ذكر للعام بعد الخاص ، ولكن الرؤيا تمثل أعن المصاديق لهذه الشجرة ! ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ إِلَّا سَجَدْتُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

حسد فاتك من إبليس في حماقة كبرى يجعله يذكر الطين ، غافلاً متوجهًا عمًا نفخه الله في هذا الطين ، فلو أنه نظر إلى نورية آدم ولم ينظر إلى ناريه نفسه لما كفر ! .
قفزة الخلقة لآدم الأول من طين.

و «طينا» هنا ليس إلّا حالا ، خلقته حال كونه طينا ، فتصبح نصا على قفزة دون واسطة للطين إلى آدم ، رغم تأويلات الداروينيين في سائر آيات الطين : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٣٨ : ٧١) في قولتهم إن «من» النشووية الابتدائية الجنسية لا تثبت إلّا بداية طينية ، أما أنها دون وسيط بقفزة أم بوسط التكامل فلا تدل على شيء منهما ، وقد يلوح من آيات أخرى التكامل !

ليست هناك آيات تلمح للتكامل إلّا القفزة ، وهنا الحال «طينا» تقطع المجال والآمال عمما يهווون ، نصا في القفزة ، فـ ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ تعني خلقت آدم الأول حال كونه حين خلق طينا ثم ﴿وَبَدَا حَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٣٢ : ٧) مما تناصرها في هذه القفزة ، حيث البداية تختلف عن الاستمرارية التناسلية في خلق سائر الإنسان ، فلو عنت «من طين» فيما يعنون من النشووية البعيدة لم يكن فرق بين البداية وسواها ، حيث النطفة تبتعد من طين كما آدم في قولتهم.

واما أن الجامد لا يأتي حالا ، فهو اجتهاد أدبي من استقراء ، ولا قرية أدبية أخرى من القرآن ، ولا يصح او يحسن هنا «طينا» إلا حالا^(١) : خلقته طينا وخلقتنى نارا والنار في أصلها وتبدها التكامل خير من طين ، فلما ذا أසجد أنا النار لآدم الطين؟!.

وهنا لك آيات أخرى صريحة في القفزة الطينية لآدم ك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣ : ٥٩) ولزام المثل به أن يكون أمثل وأفضل فيما يمثل ، ومادة المماثلة بين عيسى وآدم هي اختراق العادة في خلقهما فليكن آدم دون أبوين ليتمثل به عيسى المخلوق من أم ، وليس ذلك إلا خلقه قفزة من تراب ، وأما الخلقة التكاملية فليست خارقة فلا مماثلة فضلا عن كون آدم أمثل ، فإنما ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَحَار﴾ (٤ : ٥٥) وهل الفخار يصنع الفخار إلا من طين ، فكذلك فخار فخار الإنسان خلقه من طين .

واما آية الاصطفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣ : ٣٣) فلا تدل على ما يهواه المهاون الغاون ، ان آدم أبا هذا البشر كان بين أوAdam فاصطفاه رب لإنسان البشر ، وجعله رسولا إليهم ، حيث الاصطفاء يكتفي انه كان بين حواء وسائل الجن والشياطين ، فاصطفاه رسولا إليهم بعد العصيان والتوبة والاهتداء : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٣٠ : ١٢٢).

(١) فكونه مفعولا خلقت وحيدا لا يصح حيث الصلة لا بد لها من ضمير الى الموصول ، او انه مفعول ثان اوله محدود «خلقته طينا» هو عكس الواقع انه خلق طينا إياه ، لا خلقه طينا ، او انه مفعول أول تأخر «خلقت طينا إياه» ولو انه صحيح فغير فصيح ، او ان «طينا» منصوب بنزع الخافض ، وهنا موضع اللبس فلا ينزع الخافض فإن نزعه يخالف النزاع. فلا مجال في أدب القرآن إلا كونه حالا.

ومهما كانت في سائر القرآن آيات تتشابه احتمالاً للتكامل ، فهي متشابهة ترجع إلى
أمثال هذه الحكمات ﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَاءَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ﴾ !

فلا مجال لخلق آدم . على ضوء القرآن . إلا القفزة الطينية ، اللهم إلا من يكفر بالقرآن ،
، أم لا يفكر فيه فيهرب بما لا يعرف ناسباً له إلى القرآن ! بما تأثر من تخيلات دارونية اماهيه
، تحميلاً لها على متشابهات من الذكر الحكيم ، متغاضياً عن محكمات القفزة الطينية
اليقينية .

ولئن قلت إن شيطنة العقيدة تضرب إلى شيطنة التفهم عن خلق آدم ، و ﴿خَلَقْتَ
طِينًا﴾ من اجتهاد الشيطان؟

فالجواب : ان الرحمن ليس ليصدق الشيطان فيما يكذب وإلا أصبح القرآن البيان
كتاب الشيطان ، فلا تجد في القرآن استعراض ضلاله إلا في إعراض وابطال كما هو قضية
كتاب الهدى وإلا أصبح من كتب الضلال ، فهنا السكوت عن إبطال ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾
ومن ثم في آيات تناظرها التصریح بطنینية آدم برهان لا مرد له على تصديق قوله أكيد ،
فليست كل مقالات الشيطان باطلة ، وإنما يخلط حقاً بباطل إضلالاً ، وليس يستطيع
الشيطان أن يكذب ربه فيما خلق وفي مواجهة خاصة ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾ !

ثم الله هو القائل ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٣٨ : ٧١) لخصوص آدم
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلِّيْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (٢٣ : ١٢) له ولبنيه حيث النطفة سلالة من
طين ، كما وأن طين آدم كان سلالة من طين .

ثم الشيطان وإن لم يكن من الملائكة إذ ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (١٨ : ١٥)
ولكنه كان في زمرة تم تقدساً وعبودية لله فشمله الأمر كياناً وإن لم يشمله كونا ، كما
ولم يعترض هو بذلك على ربه فيما اعترض ،

ثم و ﴿إِذْ أَمْرَتَكَ﴾ (٧ : ١٢١) دليل خاص على أمره و «قلنا للملائكة يدلنا انه كان ضمن الملائكة.

والسجود هنا كما فصلناه في البقرة والجن ويوسف كان سجود شكر ولم يكن المسجود آدم ، وإنما ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجودا لله لما أنعم عليهم من آدم معلما ﴿قَالَ يَا آدَمَ أَنِّيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، فلا أن آدم كان قبلة لهم حيث السجود هو الى القبلة لا لها وهنا «لآدم» ولا أنه مسجود فاما هو الله وآدم مسجود له : ولأجله ، فالسجود له قد يعني أنه مسجود كما الله ، أو انه سبب للسجود كالشكر لله بما أنعم ورزق كما تقول : سجدت لرزقي . ولولي إما ذا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢).

هنا يتهدد إبليس ربه في ذرية آدم باحتناق ذريته فتزول هذه الكراهة حيث يجعلهم في احتناقهم كمثله ام هم أضل سبيلا ، فينقض في زعمه الكراهة الربانية لآدم حيث ينتقص من تلكم الكراهة ... وكما انتقض فترة في عصيان آدم.

«قال» إبليس مخاطبا ربه : «أرأيتك» أرأيت نفسك «هذا» الطين الحقير المزيل الذليل ﴿الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيَّ﴾ وقد ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ! أرأيتك تبقى هذه الكراهة؟ ﴿لَئِنْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؟ كلاً فاني إن أخرت وأمهلت ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ :

أنت كرمته على لأنه يبعدك أكثر مني ، وانا اكرم نفسي عليه حيث احتناق ذريته ...
فيعدونني أنا تاركين عبادتك!

نرى قصة إبليس في آيات سبع ، تشارك في أمر الملائكة بالسجود لآدم

وإblas إبليس ، حيث استقل كيان آدم المخلوق من طين ، واستغل ناريته في إblasه عن السجود له ، ثم تأتي بما تحدّد إبليس ذريته آدم باحتناق ذريته إلا قليلا ، وان ﴿لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ مُمَّا لَا يَنْتَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ، قالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذُؤُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨) و ﴿لَأَرِزَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . قالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٥ : ٤٣).

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فيما هدد ذريته ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٤ : ٢٠) ! لا لأنه أقوى منهم ف ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ بل لأنهم أغوى منه رغم انهم أقوى حجة وأحجى !

إنه طالب ربه إنظاره الى يوم يبعثون ﴿قَالَ أَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٧ : ١٥) فهل إلى يوم يبعثون؟ و ﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ يلمح إلى أنهم عدة ، فمن هم؟ وحتى متى؟ وفي (ص) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ : قَالَ رَبِّ فَأَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ : إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم﴾ (٨١).

وقد تلمح لعنته الى يوم الدين أنه الوقت المعلوم ^(١) وقد يبعده ألا تصرحه في سائر القرآن بإيجابته الى يوم الدين ، وإنما ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ام و ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم﴾ وعلمه لأن إنظاره له مرحلتان ، إنظار اول الى يوم يقوم القائم (عليه السلام) حيث يأخذ حريته في مجاله الأوسع

(١) حيث اللعنة الى يوم الدين هي جزاء الشيطنة الى يوم الدين وقد تتحقق اللعنة فلتتحقق كذلك الشيطنة الى يوم الدين ، مهما خفت منذ قيام القائم لقوه في دولة الإيمان وللمؤمنين.

احتناكاً لذرية آدم ، وانظار ثان منه الى يوم القيمة الكبرى ولا يحسب له حساب ، حيث الدولة الحقة الإلهية لا تفسح له مجالاً فسيحاً ولأن الشيطان ربط احتناكهم إلا قليلاً بانظراته الى يوم الدين ، و ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذه تلميحة أخرى انه منظر الى يوم الدين.

ولماذا يربط احتناكه إلا قليلاً بذلك الإنظار وهو محتنك ذريته وان انظر ساعة؟ ... لأنّ «الا قليلاً» لا يتحقق في حسابه الا في إنظراته إلى يوم الدين ، فلو انظر أقل منه فقد يتفلت كثير عن سلطانه فيما ليس له سلطان ، فهو بحساب كل زمان ومكان يحتنك ذريته إلا قليلاً حسب هذا المجموع ، فلو خرج شطر من زمان او مكان لاختل ميزان الشيطان ولم ينضبط في المجموعة «إلا قليلاً» مهما انضبط بالنسبة للشطر الذي انظر فيه.

وقد ينصلم «إلا قليلاً» بزمن القائم المهدي (عليه السلام) والله العالم ! ثم الاحتناك قد يعني افتعالاً من الحنك : لأقدحهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها ، غير متنعة على قائلها ، استيلاء عليهم وملكة لتصرفهم كما يملك الراكب الحمار حماره ، بشني العنان تارة وبكبح اللجام أخرى.

أم يعني : لألقين في إحتناكهم حلاوة المعاصي حتى يستلذوها ويرغبوا فيها ويطلبواها او : لأستأصلن ذريته بالإغواء ، وأستقصصين إهلاكهم بالإضلal ، حيث اتباعهم غيه ، وطاعتهم امره يؤولان بهم الى موارد الهالك وعواقب البوار .

او : لأضيقن عليهم مجاري الأنفاس من إحتاكهم بإيصال الوسوسه لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم ، يقال : احتنك فلانا إذا أخذ بجري النفس من حنكه فكان كالشبا في مقلته ، والشجا في مسعده»^(١).

او أنها كلها معنية تجمعها احتاكه لهم كالحمار حيث يؤخذ بحنكه فيقاد حيث يقاد احتناكا فطريا . عقليا . فكرييا . عمليا . سياسيا . اقتصاديا إماذا حيث الشيطان يحتنك كلاً حسب المكنته والاستطاعة بما عنده من هذه وتلك ، وعلى أية حال إنه يتحقق نصيبيه في كل باستهجان يناسبه بعلم او مال او مقال أمماذا ، و «قليلا» يعني المنحرفين عن احتناك الشيطان ، المنحرفين بالله وفي الله فلا ينجو عن ذلك الاحتكاك . قل او كثر . إلا القليل.

وترى من القليل المستثنى من احتناك الشيطان؟ هناك قلة مخلصة لا تشتملهم أية غواية علمية او عملية او عقائدية أماهيه ﴿قَالَ فَيُعَزِّتُكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾ (٣٨ : ٨٣) ثم له سلطان أيا كان على غير المخلصين : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢ : ١٥) ففي كل غواية سلطان للشيطان من سيئة صغيرة الى كبيرة والى كفر مطلق ، مهما اختلف سلطان عن سلطان ، فمن يتبع الشيطان كان للشيطان عليه قدر اتباعه سلطان ، فمنهم من ينجو بتوبة او شفاعة او رجاحة الحسنات او ترك كبائر السيّارات ، ومنهم من لا ينجو إلا دخولا في النار لفترة طالت ام قصرت ثم يخرج الى الجنة ، ومنهم من يخلد بخلود النار ثم يفني بفناء النار ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِخُرَجِينَ﴾.

فلا ينجو من سلطان الشيطان ككل إلا فريق من المؤمنين لا يكلهم : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَاهِهٌ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٤ :

(١) بين القوسين منقول عن مجازات القرآن للسيد الشريفي الرضي ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢٠) فلم يقل «إلا المؤمنين» وهذه الفرقـة من المؤمنين هم المعنيون بآية التحل **﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَجُّهمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** (١٦ : ٩٩) إيماناً يتوكـل فيه على الله ، فـبالإيمـان يخلص وبالـتوـكـل يـصبح من العـبـاد المـخلـصـين فـليـسـتـ هذهـ القـلـةـ إـلـاـ المـعـصـومـينـ ! وـهـمـ عـبـادـ اللهـ حـقـاـ إـذـ لاـ نـصـيبـ مـنـهـمـ لـلـشـيـطـانـ **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرِبِّكَ وَكِيلًا﴾** (٦٥ : ١٧).

فالـشـيـطـانـ بـيـنـ سـلـطـانـ مـطـلـقـ وـاحـتـنـاكـ لـبـنـيـ الإـنـسـانـ ، وـبـيـنـ عـبـادـ مـخـلـصـينـ لـيـسـ لـهـ عـلـيـهـمـ سـلـطـانـ ، ثـمـ بـيـنـهـمـ عـوـانـ لـلـشـيـطـانـ عـلـيـهـمـ سـلـطـانـ قـلـ اوـ كـثـرـ.

وـتـرـىـ ذـلـكـ الـاحـتـنـاكـ يـخـصـ بـنـيـ آـدـمـ دـوـنـ سـوـاهـمـ مـنـ الـمـكـلـفـينـ حـيـثـ النـصـ : **﴿لَاَخْتَبَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾**? ... انـ الشـيـطـانـ يـطـمـحـ فيـ اـحـتـنـاكـ ذـرـيـتهـ كـأـصـولـ لـدـعـوـتـهـ ، اـنـقـاماـ مـنـ تـكـرـيمـ آـدـمـ عـلـيـهـ وـلـأـنـهـ شـيـطـانـ ، فـهـوـ شـيـطـانـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـكـلـفـينـ كـافـةـ كـمـاـ الـآـيـاتـ الـأـخـرـىـ تـشـمـلـهـمـ فـ**﴿إِنَّ عِبَادِي ...﴾** لـاـ يـخـصـ بـنـيـ آـدـمـ!

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦٣).

«اـذـهـبـ» أمرـ لـيـسـ دـفـعـاـ إـلـىـ الإـضـلـالـ لـاـ تـكـوـيـنـاـ وـلـاـ تـشـرـيـعاـ ، بلـ هوـ سـماـحـ وـإـنـظـارـ يـتـبـعـهـ إـنـذـارـ **﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ...﴾** فهوـ اـمـرـ تـحدـيـديـ فيـ مـعـنـيـ أـشـدـ النـهـيـ تـشـرـيـعـيـاـ مـلـنـ لـاـ يـجـنـ إـلـىـ هـدـىـ وـلـاـ يـرجـىـ مـنـهـ الـاـهـتـدـاءـ فـيـ طـرـدـ تـحـديـاـ ، وـتـحـديـداـ ، مـهـمـاـ يـحـمـلـ إـمـهـالـاـ تـكـوـيـنـيـاـ كـمـاـ فيـ نـظـائـرـهـ : **﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾** (٢٠ : ٩٧).

وـالـجـزـاءـ الـمـوـفـورـ هـوـ الـوـفـاقـ وـفـرـ العـدـلـ ، دـوـنـ أـنـ يـنـقـصـ مـاـ يـسـتـحـقـونـهـ شـيـئـاـ أوـ يـزـيدـ ، وـقـدـ يـعـنيـ أـنـهـ مـهـمـاـ كـثـرـواـ فـجـهـنـمـ لـهـمـ جـزـاءـ مـوـفـورـ لـاـ تـضـيـقـ

بِهِمْ ۝ يَوْمَ نَقُولُ جِهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَرِيدٍ ۝ .

وترى إن جهنم جزاء لكل من تبعه في أية تبعة؟ وهنا لك غفرانات بتبوبات ام شفاعات او ترك كبار السيات او فعل الحسنات ام ماذا! الجواب أن هؤلاء ليسوا أتباع الشيطان ، وإنما هم من كانت حياته حياة التبعية للشيطان مهما كانت له حسنات ام ماذا ، فرجاحة السيات جراءها جهنم مهما خرج عنها باستحقاق ام خلد فيها باستحقاق.

«اذهب» وحاول ما استطعت في احتناكهم فلا تملك منهم إلا كيده ، وقد ملكوا عقولا وزوّدوا بآيات الحق صدقًا ، برسالات داخل الذوات وخوارجها ، فهم أقوى منك في هذا الميدان ، إلا من تغافل عن طاقاته ، وتجاهل عن بيته ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ هذه النعمة القوية بسوء اختيارهم.

وترى لماذا «جزاءكم» خطاب الحاضرين وهم غيب وحاضر الخطاب هو إبليس؟ ... لأنهم أيا كانوا وأيان فهم حضور عند الله دون غياب ، قبل أن يوجدوا وبعده ، أحياه وأمواتا ، وان غائب الصيغة لا يشمله وهو حاضر «جزاءهم» وحاضرها تشمله وإياهم ، ثم وحاضر الإنذار أوقع من غائب.

﴿وَاسْتَغْرِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤).

آية عديمة النظير تحمل فيما تحمل افعالات الشيطان في أوامر اربعة لا تعني إلا ما عنده «اذهب» دون دفع تكويني او تشريعي ، وإنما سماح وإنضار وأنه لا يمنع تكويناً مهما منع تشريعا : «فإن جهنم جراءكم»

وترى إِنَّ اللَّهَ يَدْلِهِ عَلَى مَوَارِدِ إِضْلَالِهِ؟ كَلَا! وَإِنَّمَا يَدْلِنَا عَلَى مَجَارِيِّ ضَلَالِهِ وَمَنَاهِلِ اعْتِقَالِهِ.

وتحتصر الآية فيما تختصر قدر المستطاع من كيد الشيطان ، ولكي تكون على نبهة واهبة في مواجهته بما زودنا من طاقات ، وتزينا نجاحا في هذا النضال مواعيد ربنا ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (١٩ : ٦٣) ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

فهناك خطوة إبليسية أولى : ﴿وَاسْتَفْزُرْ مِنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ : فما هو صوته وما هو استفزازه بصوته؟.

الاستفزاز هو الاستخفاف الإزعاج من الفزع : ولد البقرة لما تصور فيه من الخفة كما يسمى عجلا لما تصور فيه من العجلة ، ولا يحمل على العصيان ولا يحتنك للشيطان إلا من يستفز استخفافا عن ثقله ، وكما ان فرعون ﴿فَاسْتَخَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ (٤٣ : ٥٤) وأراد ان يستفز بنى إسرائيل فثبتهم موسى ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِرُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرِقَهُمْ وَمَنْ مَعَهُ جَيْعَانًا﴾ (١٧ : ١٠٣) وكادوا ليستفزوا الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولكن ﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٧ : ٧٦).

ليس للشيطان ان يستفز عباد الرحمن بعقلية راجحة او بحججة ووعد الصدق ، وانما بما يزين لهم في الأرض : ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُرِينَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٥ : ٤٠).

وللشيطان صوتان يستفزان ، صوت يلهي بما يشهي من غنى وموسيقا

ام ماذ؟^(١) ، فمهما لا يسمع منه نفسه ، يحمل من يحتنكه على صوته استفزازا لنا .
 ثم صوت يحمل وعودا في غرفة ومكيدة ، ولا يستفرج بما إلا الأخفاء في عقوبهم
 وایاهم وفي اي حقل من حقوقهم المستخفة المتخاذلة ، والصوت قد يلهي بنفسه سواء بلفظ
 له معنى حق أو باطل ، أو لا يعني اي معنى ، كالآصوات الخاصة بالمرقص وسائر اللهو ،
 فلهم الثالث ذو بعد واحد والثاني اثنين وفي الاول بعد بعيد فان فيه مهانة للحق كأن يقرء
 القرآن بصوت يناسب الرقص ، واما الصوت غير الخاص باللهو ، فقد يعني معاني واعظة
 ومذكرة فأحسن ، او معاني مضللة وباطلة ملهمة فقبيح ، او معان عوان فعوان لا مدحودة ولا
 مذمومة .

ثم المعنى المضلل الملهي بصوت لا يلهي هو ذو بعد واحد بلهو المعنى ، فاللهو عما
 يعنيه الإنسان في دينه ودنياه الى ما لا يعنيه او يعني ضلاله ويلهيه عن الله ، إنه محرم أيا كان
 ، لفظاً ومعنى او هما معا ، وتحتفل دركاته باختلاف دركات اللهـ .
 والاستفزازات الشيطانية كلها محرمة ، سواء أكانت شهوانية ام عقائدية . ثقافية .
 اجتماعية . سياسية . اقتصادية وحربية إما ذا من استفزاز الاستخفاف للثقالة الإنسانية
 فاحتناك واستحمار وهنالك تقع الطامة الكبرى !
 فإذا فكل صوت مستفز عما يعنيه الإنسان في مفترضاته الإنسانية والإسلامية الى ما
 يعني ضلاله او ما لا يعنيه ، تشمله «صوتك» وهي كافة

(١) الدرر المنشورة ٤ : ١٩٣ . اخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن حجر وابن المنذر وابن أبي
 حاتم عن مجاهد في قوله «وَاسْتَغْزِلُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ...» قال : استنزل من استطعت منهم بالغناء
 والمزامير واللهـ وبالباطل ..

الملاهي التي تسمع ، من غناء ملهمة وموسيقا اماهيه؟ وهي كلها صوت الشيطان وإن تسمعها عن انسان.

ولأن استفزازهم بصوته بحاجة الى تكريس القوات المضللة ، إذ ليس كل انسان بالذى يستفز بصوت الشيطان إلا بمعذات ، فهنا لك خطوة اخرى.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بَخِيلَكَ وَرَجْلَكَ﴾ خطوة ثانية إبليسية لمن لا يحتنك بصوته : فالخيل

والرجل هما الجند راكباً وماشياً ، وعلئهما كناية عن صوري الجيش الشيطاني من راكب في نضاله الإضلal يسرع ، ومن ماش يبطئ ، فللشيطان جنود يحملون دعوته ودعایته من الجنة والناس الى الجنة والناس : **﴿فَكُبِّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ : وَجُنُودُ إِنْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾** (٢٦) : (٩٧) من ذريته الجنة الشياطين : **﴿أَفَتَتَّخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾** (١٨) : (٥٠) ومن شياطين الإنس : **﴿وَكَذِيلَكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ...﴾**

(٦ : ١٢).

فالشيطان يستفزهم بصوته ويجلب عليهم بخيله ورجله من شياطينه ، والإجلاب هو الصيحة بقهر ، فمن لا يستفزه صوت دون صيحة ، يصبح عليه بقهر باذاعاته العدة التي يحملها خيله ورجله ، صيحات على مسامع آذانهم وعقولهم وقلوبهم ولحد الاستفزاز ، وهنا لك دركات لهذه الصيحات كما يقتضيها مختلف الاستفزازات على اختلاف الاستعدادات.

معركة صاحبة تتجسم فيها وسائل الغواية والسلطة الإبليسية ، باستخدام مختلف الأصوات المستفزة جلية وخفية ، من أية إذاعة شيطانية ، إزعاجاً للخصوم ، واستدرجها لهم للفخ المنصب لهم ، فإذا استفزروا الى العراء أخذهم في احتناق واستحمرهم في ذلك العراك.

«فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله ::

فلعمر الله فخر على أصلحكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم واجلب عليكم بخيله وقصد برجله سبilkم يقتتصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان ، لا يمتنعون بخيلا ولا يدفعون بعزمي في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصه موت وجولة بلاء»^(١) :

وفي ذلك الأمر الإصر استهانة بمحركه ، وإقلال الحفل بخداعه ، ثم وليس له . في الحق . خيل ورجل لا نراهما ، فإنه خلاف العدل ، وخلاف الواقع الملموس ، فاما كل راكب في معصية الله ، مرغب فيها سواه هو من خيله وعملائه ، وكل ماش فيها هكذا هو من رجله ، من شياطين الجن والإنس.

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ﴾ خطوة ثالثة في احتتاكهم باحتتاكهم في الأموال والأولاد ، فما ذا تعني مشاركتهم في الأموال والأولاد؟ ومن الأموال والأولاد ما تختص بالشيطان ومنها ما تشتراك؟

هذه الشركة تتمثل في الأموال والأولاد التي تحصل بغير حق او تصرف في غير حق ، او يجمع فيها بينهما من باطل الى باطل ، ام تحمد وتكتنز بباطل.

فأية حالة باطلة في مال او ولد . وهم قوام الحياة الإنسانية . إنها شركة شيطانية ، اختص بها الشيطان أم شارك فيها ، كما الشرك بالله ، إذ لا يعني . فقط . ان يعبد الله مع خلقه ، بل وان يعبد خلقه دونه كالكثيرين من المشركين .

إن مثلث التحصيل والصرف والكتز للمال حراما ، تماما او بعضا ، كلّه من شرك الشيطان ، فلشرك الشيطان . أيا كان . دركات كما لتوحيد

(١) نهج البلاغة السيد الشريف الرضا عن الإمام علي (ع).

الرحمن واليمان درجات ، فأسفل الدرجات في الأموال ثالوث الحرم تحصيلا وصرفها وكثرا دون حلّ فيه ، وأعلاها الحرم في واحد على حلّ فيه وبينهما متوسطات.

كما الأسفل في الأولاد هو الاستيلاد بالسفاح^(١) ثم التربية الشيطانية ، ثم الاستعمال في مختلف الشيطانات ، والأعلى نكاح محروم على حلّ ، أو تربية او استعمال فيه شرك شيطان وبينهما متوسطات ، وقد يشمل النكاح دون ذكر الله لكي يصبح الولد صالحًا متخللا حياته عن شرك الشيطان^(٢).

فأية حالة شيطانية في الأموال والأولاد هي من شرك الشيطان أيا كان ، وقليل هؤلاء الذين يتخلصون عن أي شرك للشيطان ، وهم عباد الله المخلصون ثم المخلصون وهم قلة اللهم اجعلنا من هذه القلة.

ومن شرك الشيطان بغض الامام علي (عليه السلام) حسب المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول : «والله يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحيا ولا من الأنصار إلا يهوديا ولا من العرب إلا دعيا ولا

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٤ ح ٢٩٥ تفسير العياشي عن عبد الملك بن اعني قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول : إذا زن الرجل ادخل الشيطان ذكره ثم عملا جميرا ثم تختلط النطفتان فيخلق الله منها فيكون شركة الشيطان.

(٢) المصدر ص ١٨٥ ح ٣٠٠ عن يونس بن أبي الريبع الشامي قال كنت عنده (الباقر ع) ليلة فذكر شرك الشيطان فعظم له حق افزعني فقلت جعلت فداك بما المخرج منها وما نصنع؟ قال : إذا أردت الجماعة فقل باسم الله الرحمن الرحيم الذي لا اله الا هو بديع السماوات والأرض اللهم ان قضيت مني في هذه الليلة خليفة فلا يجعل للشيطان فيه نصيبا ولا شركا ولا خطأ واجعله عبدا صالحًا مخلصا مصغيا وذرته جل ثناءك.

من سائر الناس إلا شقيا ولا من النساء إلا سلقلقية وهي التي تحيسن في دبرها ...^(١)».

وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ... خطوة رابعة من خطوات الشيطان

الوعد الكذب الغرور ، فإنه كاذب غرور.

(١) ملحقات الأحقاق ج ١٤ : ٦٥٥ . الحكم الحسکاني في شواهد التنزيل ج ١ : ٣٤٣ ط بيروت بسند متصل الى جابر بن عبد الله الأنصاري عن علي (ع) قال : كنا مع النبي (ص) إذ أبصر برجل ساجد راكع متطلع متضلع فقلنا يا رسول الله (ص)! ما احسن صلاته؟ فقال : هذا الذي اخرج أباكم آدم من الجنة فمضى اليه علي غير مكترث فهو هزا ادخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى ثم قال : لأقتلنك ان شاء الله فقال : لن تقدر على ذلك ان لي أجلا معلوما من عند ربی ما لك تزيد قتلي؟ فو الله ما أبغضك احد الا سبقت نطفتي في رحم امه قبل ان يسبق نطفة أبيه! ولقد شاركت ببغضك في الأموال والأولاد وهو قول الله في محكم كتابه **وَشَارِكُوكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** فقال النبي (ص) صدقة والله يا علي! الا يبغضك ... ثم اطرق مليا فقال : معاشر الأنصار! اعدوا أولادكم على محبة علي ، قال جابر : كنا نبور أولادنا في وقعة الحرفة بحب علي فمن أحبه علمنا انه من أولادنا ومن أبغضه اشفينا منه.

وبإسناد متصل آخر من حبة العرقى ، قال سمعت علي بن أبي طالب يقول : دخلت على رسول الله (ص) في وقت كنت لا ادخل عليه فيه فوجدت رجلا جالسا عنده مشوه الخلقة لم اعرفه قبل ذلك فلما رأي خرج الرجل مبادرا قلت يا رسول الله (ص) : من ذا الذي لم أره قبل ذي؟ قال : هذا إبليس الابالسة سألت ربی ان يرينيه وما رأه احد فقط في هذه الخلقة غيري وغيرك قال (ع) فعدوت في اثره فرأيته عند أحجار الزيت ، فأخذته بمجامعه وضررت به البلاط وقعدت على صدره فقال : ما تشاء يا علي؟ قلت : أقتلك قال : انك لن تسلط علي قلت : لم؟ قال : لأن ربك انظرني الى يوم الدين خل عني يا علي فان لك عندي وسيلة لك ولأولادك قلت : وما هي؟ قال : لا يبغضك ولا يبغض ولدك احد الا شاركته في رحم امه ليس الله يقول **وَشَارِكُوكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ**؟

وبإسناد متصل عن جعفر بن محمد في حديث عبد الرحمن بن كثير قلت جعلت فداك بأيش تعرف ذلك (يعني شرك الشيطان) قال : بجينا وبغضنا ... قال الحسکاني : والرواية في هذا الباب كثيرة وهي في كتاب طيب الفطرة في حب العترة مشروحة.

«عدهم» هنا يعم الوعد الخير والوعيد الشر ، وعدا ينفيهم ترغيبا الى الشهوات :

يَعْدُهُمْ وَيُنَسِّبُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٤ : ١٢٠) ووعيدها ترهيبا عن المكرمات :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفُحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا : ٢﴾ (٢٦٨).

ثم ولا يخص وعده ترغيباً وترهيباً يوم الدين ، بل وكذلك الأخرى ، وعدا يشகّهم في

الآخرة ، وأخر برجيهم رحمة الله فيها ام يغلب رجاءهم على خوفهم ، وثالثا بمحفظة في شفاعة

اما هيه ، وقد تعنيهما فيما تعنيه **لَا يَنْهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ** (١٧ : ٧) حيث

الآخرة هي ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ إذ يستقبلونها متوجهين إليها ، والدنيا هي «من خلفهم» إذ

پستدیرو نکا مولّین عنها.

وَوَعْدُ الشَّيْطَانِ أَيَا كَانَ لَيْسَ إِلَّا غَرُورًا فَإِنَّهُ غَرُورٌ ۝ فَلَا تَفْرَنُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۝ وَلَا

.. يَغْرِيْكُم بِاللّٰهِ الْغَرُورُ ﴿٣٥﴾ . (٣١ - ٣٣) ..

خطوات اربع كبريات تحمل كافة الشيطانات ، وهى هي مجالات واسعة النطاق

للسلطات الشيطانية ، لا ينجو منها إلّا عباد الله الخصوص ، واما عباد الشيطان فلا عنـت

له في تمشيهم فيها ، والعباد المشركون المشتركون يمشيهم كما يتمشون فياخذ نصيبه منهم

كما يحتكون ، ثم يتخلص العباد المخلصون بالله والمخلصون الله :

انَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرِبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) :

ولو لا الوكالة الربانية لـ «عبدادي» المخلصين المـ

ن ، فلا كفاية للإنسان أيا كان إلا بهذه الوكالة.

لعبدة الله ، وطأوعوا في ذوات نفوسهم لطاعة الله ، واستعادوا في كل ذلك بالله ، بعد ما قدموا طاقاتهم كلها لسلوك سبيل الله ، فمنهم من اصطفاهم الله برسالته فعصمهم عن الأخطاء كلها ، تلقيا من الله وإلقاء وتطبيقا . فهم معصومون في هذا المثلث البارع ...

ومنهم من أيدهم وسدّدهم دون تلكم العصمة البارعة فخلصهم من سلطان الشيطان دون العصمة العلمية ، وقد يعنيهما « عبادي » هنا مهما اختص المعصومون في مجالات أخرى : ﴿ وَلَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصُونَ ﴾ (١٥ : ٤٠) كدرجة أولى ورتبة أعلى من « عبادي » ، ومن ثم درجة ثانية ليسوا من الغاوين مهما لم يكونوا من المخلصين :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

فعباد الله الحالصون لله مخلصين كانوا ام مخلصين ليسوا من الغاوين ، فلا سلطان عليهم من شيطان ، (١) ولا على غيرهم إلّا دعوة ودعابة متحللة

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٥ ح ٣٠٢ في تفسير العياشي عن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يذكر في حديث غير خم انه لما قال النبي (ص) لعلي (ع) ما قال واقمه للناس صرخ إبليس صرخة فاجتمعت له العفاريت فقالوا : سيدنا ما هذه الصرخة؟ فقال : ويحكم يومكم كيوم عيسى والله لا أضلن فيه الخلق ، قال : فنزل القرآن ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ طَهَرَ فَأَتَبَعَهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « فقال : فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا : يا سيدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال : ويحكم حكى الله والله كلامي قرآنا وانزل عليه ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ ... ﴾ ثم رفع رأسه الى السماء ثم قال : وعزتك وجلالك لا لحقن الفريق بالجميع ، قال فقال النبي (ص) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ قال : فصرخ إبليس صرخة فرجعت اليه العفاريت فقالوا : يا سيدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟ قال : والله من اصحاب علي ولكن وعزتك وجلالك لأزيدن لهم المعاصي حتى بعضهم إليك قال : فقال ابو .

عن البرهان : ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ...﴾ (١٤) :
 ٢٢) فلأن دعوه تافق الشهوة لا يطلب منه عليها دليل .

عبد الله (ع) : والذي بعث بالحق محمدا للغاريق والأيالسة على المؤمن أكثر من الزناير على اللحم والمؤمن
 أشد من الجبل والجبل تدناوا اليه بالفأس ففتحت منه المؤمن لا يستقل عنه دينه .

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦)
 وَإِذَا مَسَّكُمُ الصُّرُثُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ كُفُورًا (٦٧) أَفَأَمْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا مُّمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقُكُمْ
 بِمَا كَفَرْتُمْ مُّمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَهَمْلَنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَرَزَقْنَا هُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ
 بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أَوْتَنَا كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ

وَلَا يُظْلِمُونَ فَتِيَالاً (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)
 وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَشُونَكَ عَنِ الدِّيَارِ أَوْ حِينَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخْدُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْ
 لَا أَنْ ثَبَّشَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَا دَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
 الْمَمَاتِ تُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِنْ كَادُوا لِيَسْتَفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
 وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ حِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
 تَخْوِيلًا (٧٧)

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتُتَبَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦).

الرب الوكيل الكافي هو **﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾** والإزجاء هو الدفع للانسياق ، ف «ربكم» يدفع الفلك لصالح الناس ابتغاء فضله ، دفعا بالرياح قوات اخرى بترويلية اماهيه ل «انه كان» قبل

خلقكم ﴿بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وإجزاء الفلك هو من مظاهر الرحمة الرحيمية الربانية .
 أنتم تنساقون على الفلك بتنسيق رب ، فكونوا في الحياة كلّها على النسق الذي
 يسوقكم رب ، ولا تدعوا من دونه أربابا ، لكنكم توحدونه عند الضر وتشركون به حين
 النجاة ! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ
 وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧).

هنا لك إجزاء رخي بغية الرحمة ، وهنا اضطراب عتي ، مشهد لطيف عظيف يجمع
 بين الرخاء الرجاء ، ومكافحة العناء ، حيث تحس القلوب الواجهة المتعلقة بكل رجفة وهزة
 كالريشة الصغيرة المزيلة في مهب الرياح القاصفة على ثبع البحار والموح الجبار ! ﴿وَإِذَا
 مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ في خضم هذه الرحمة المزجية «ضل» عن قلوبكم ونفوسكم وتعلقاتكم ﴿مَنْ
 تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ﴾ حيث القلوب حالة الرخاء المتعلقة بالله وسواء ، تحسب أن من سوى الله
 دخلا في نجاة ونجاح ، فإذا وقع في واقع منقطع عنمن سوى الله كالبحر الملتهط ، ينسى
 الركب في الفلك المتداوح بين الأمواج كل قوة وسناد إلا الله ، إذ لا يرى إلا الأمواج ،
 وحينذاك تظهر بارقة الفطرة المتعلقة في عميقها بالله ، ويزيل رجاء واحد ليس إلا بالله ، رغم
 خفاءه عن الأ بصار ، وجلاء سواه للأ بصار ، فهنا تتفتح البصيرة المغشية وتغمض الأ بصار ،
 ويظهر رب للبصائر كالشمس في رايعة النهار !

﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ ... فحين تنجلی الغمرة ينمحی نور الفطرة حيث
 الإنسان هو الإنسان كأن كيانه النسيان ، يضل هنا عنه الله ، كما ضل عنه قبله من سواه ،
 حيث تتقادفه الأهواء ، وتتجاذبه إلى غير الله

فيعرض عن الله.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُوراً ﴿كأنه يضرب الى عمق الماضي في عمق الذات ، رغم أن الذات الفطرة متوجهة الى الله ، ولكنما اللذات والشهوات تحول دون المقام في مقام الذات!

..

وهكذا يكون الإنسان النسيان ، يذكر ربه وحده حين البأساء والضراء ، وينساه حين النعما ، فليذكر أنه هو ربه لا سواه ، حين يضل من يدعوه إلا إياه.

هذا البحر الملطم نجوم من ضره الى بره ثم أعرضتم ، فهل أنتم آمنون من ضر البر؟!

أَفَأَمْنَتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبَاً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ .

فأين الأمان **وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَقْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا** ﴿٤٠﴾ (٢٩) وكما في

قارون : **فَخَسَقْنَا بِهِ وَيَدَاهُ الْأَرْضَ** ﴿٢٨﴾ (٨١) .

ليس هول الغرق منحصرا في البحر منحصرا عن جانب البر ، فأنتم الآن نجوم عن البحر الى البر فما ذا يؤمنكم **أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ** ﴿فلما ذا أعرضتم عن الله وأنتم بعد عرضة الخسف وهو أشد وأنكى؟ ... أنتم في قبضة الله في البحر والبر ، ولا أمن عن غرق في البحر أم خسف بزلزال وبركان في البر﴾ **أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبَاً** ﴿: ريجا مهلكة ترمي بالحصباء والحصا ، عاصفة بركانية ام ماذا؟ تقدفك بالحمم والماء والطين والأحجار! فأنتم المهزال الأذلاء في مثلث الغرق بحرا وبرا ام جوا **ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا** ﴿ينجيكم عن غرقكم.

هُب إِنْكُمْ أَمْنَتُمُ الْبَرَّ حَالًا كَمَا امْنَتُمُ الْبَحْرَ تَرْحَالًا فَمَا ذَا يَامِنْكُمْ إِنْ يَعِدُكُمُ الْبَرُّ
الْبَحْرُ؟ .

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدُكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسَلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٩).

وَهُب إِنَّهُ أَمْهَلَكُمْ فِي الْبَحْرِ فَمَا أَغْرَقْتُمْ ، ثُمَّ أَمْهَلَكُمْ فِي الْبَرِّ فَمَا خَسَفَ بِكُمْ وَلَا
أَرْسَلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ، فَكَيْفَ تَأْمُنُونَ إِنْ يَعِدُكُمْ فِي الْبَحْرِ مَرَةً أُخْرَى فَيُرْسَلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا
مِنَ الرِّيحِ تَقْصُفُ الصَّوَارِيَّ وَتَحْطُمُ السُّفُنَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِقَاصِفِ الْبَحْرِ تَبِيعًا
يَلْاحِقُ فِي نَجَاتِكُمْ؟

أَيْتَهَا الْحَشْرَةُ الْهَزِيلَةُ الْذَلِيلَةُ ، الْعَائِشَةُ بَيْنَ أَخْطَارِ الْغَرقِ وَالْخَسْفِ وَالْحَاصِبِ وَالْقَاصِفِ
، بَحْرًا وَبَرًا وَجْوًا ، لِمَاذَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ الْحَمْقَاءُ ، هَذَا الْكُفُرُ الْمُتَوَالِ فِي النَّكْرَانِ وَالْعَصِيَانِ ،
وَهُنَّا لَكَ الْقَدْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ تَتَصَدِّيُ لَكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ عَلَيْهِ وَكِيلًا وَلَا تَبِيعًا؟!
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠).

آيَةُ عَدِيمَةِ النَّظِيرِ فِي صِيغَةِ التَّعْبِيرِ ، إِذْ تَحْمِلُ بَعْدِينَ بَعْدِينَ لِلْمُحْتَدِ الْإِنْسَانيِّ وَمَنْزِلَتِهِ
عَلَى «مِنْ خَلْقِ» كُلِّ : ﴿كَرَّمْنَا ... فَضَّلْنَاهُمْ ...﴾ !

كَرَمَةُ مُطْلَقَةٍ بَيْنَ «مِنْ خَلْقِ» فِي تَأْكِيدَاتِ ثَلَاثَ : «لِ» «قَدْ» . «كَرِمَنَا» :
فَالْتَّكَرِيمُ يَفْوَقُ الإِكْرَامَ عَدَدًا وَعَدْدًا ، ثُمَّ «وَلَقَدْ» يُؤكِّدُهُ مَرْتَيْنِ ، بَيْنَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُعَصُومُونَ
﴿عِبَادُ مُكَمُّونَ﴾ (٢١ : ٢٦) خَلُوا عَنْ هَذِهِ الْثَلَاثَ ، وَمِنْ ثُمَّ «نَا» فِي كَرِمَنَا هَذِهِ حِيثُ
تَعْنِي جَمِيعُ الْصَفَاتِ.

وَفِي سَائرِ الْقُرْآنِ تَصْرِيُّحَاتٍ وَتَلْمِيُّحَاتٍ بِهَذِهِ الْكَرَمَةِ الْعَلِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ ، فَانْهُ فِي التَّيْنِ
﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وَفِي الْأَنْبِيَاءِ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

وفي آيات عدة مسجود الملائكة أجمعين ، ثم لا نجد للملائكة ولا تلميحة على هذه الكرامة المطلقة! أليس لأنه في أعلى قمم القوامة وأحسنها بكلّه وجزئيه ، وان خلقه في سائر الخلق استوجب توصيف الخالق ب ﴿أَخْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وكما هو أحسن من سائر الخالقين في خلقه أجمعين.

ولو لم يكن مفضلا على الملائكة أجمعين لما أمروا ان يسجدوا له أجمعين ، وقد أمروا!
ولأن في صلبه أهل بيت الرسالة الحمدية (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن حذى حذوهم من المؤمنين ^(١).

ذلك التكريم الرباني لبني آدم كما يشمل جزئهم قلبا وقالبا في أصل الخلق ، كذلك في كرامة التقوى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ فلو لم يكن فيهم الأتقى لم يكن ذلك التكريم : «والملائكة خدام المؤمنين» ^(٢) ثم

(١) نور الثقلين ٣ : ١٨٨ ح ٣١٧ علل الشرایع عن الامام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) حديث طويل يقول فيه «فإن الملائكة لخدمانا وخدم محبينا. يا علي! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا علي لو لا نحن ما خلق الله آدم ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسببيحة وتقديسه إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وامر الملائكة بالسجدة تعظيمًا لنا وإكراما وكان سجودهم من الله عز وجل عبودية ولآدم إكراما وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟

(٢) المصدر ١٨٩ ح ٣٢٠ في اصول الكافي عن أبي جعفر (ع) قال : ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم على الله عز وجل من مؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين وان جوار الله للمؤمنين وان الجنة للمؤمنين وان الحور العين للمؤمنين ...» وفي الاحتجاج عن النبي (ص) يا رسول الله (ص) أخبرنا عن علي هو أفضل ام ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله (ص) : وهل شرفت الملائكة الا بمحبها محمد وعلي وقبول ولايتهما؟ انه لا احد من محبي علي (ع) نظف قلبه من الغش والدغل والعلل ونجasse الذنوب الا كان اظهر وأفضل من الملائكة.

ويشمل النشأتين الدنيا والآخرة ، تكريماً في مثلث قاعده التقوى ، وهي تتبنى تكريمه تكويناً ، وتنتج تكريمه في ميزان الله دنيا وعقي ! .

وأهم المظاهر في هذا التكريم نراه في «حملناهم . رزقناهم . فضلناهم» وإن كان الأخير يحمل حملهم ورثتهم أم ماذا؟ .

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حملًا فيهما مع بعض على سفيتنا الفضائية في خضمّ

البحر : الفضاء الحيط : **﴿إِنَّمَا تَجْعَلُ الْأَرْضَ كِفَافًا ، أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾** (٢٥ : ٧٧) !

وحملًا في البحر لبني آدم كلهم في الفلك المشحون : **﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَسْحُونَ﴾** (٤١ : ٣٦) حملناهم وهم ذرية في تلك الأصلاب : **﴿إِنَّا لَمَّا طَعَى الْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾** (٦٩ : ١١) .

وحملًا فيه لركاب البحر على مر الزمن على السفن فوق البحريّة وتحت البحريّة ، وحملًا في البر ب مختلف الحمولة الحيوانية وسواها **﴿وَالْخَيْلَ وَالْبَيْلَانَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكِبُوهَا وَزِينَةً وَكُلُّقَ ما لَا تَعْلَمُونَ﴾** (٨ : ١٦) فهم في رباعية الحمل براً وبحراً أم ماذا؟ .

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما تستطعيه النفوس السليمة الإنسانية مأكلًا ومشربًا

ومسكنًا ومنكحاً إماً ذا من متطلبات الحياة ، أو أنها ككل حياة طيبة في كافة جنباتها : **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْسِنَنَّ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾** (٩٧ : ١٦) ومن أفضلها طيبة النفس ، وطيبة الذرية : **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً﴾** (٣٨ : ٢) وأن يصبح الإنسان كلمة طيبة **﴿كَشَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾** (١٤ : ٢٤) :

فمن أفضل الرزق الطيب العلم ^(١) وقد فضل فيه الإنسان على

(١) نور الثقلين ٣ : ١٧٨ ح ٣٠٧ تفسير القمي عن أبي جعفر (ع) ان الله لا يكرم روح .

الملائكة كما في آدم ، فرزق الإنسان كحيوان مفضل على سائر الحيوان ، ورزقه كإنسان مفضل على من في عالم الإمكان ، اللهم إلا من يوازيه من القلة في هذه الكرامة.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا﴾

هنا تفضيل لبني آدم على كثير ، فهناك قليل لم يفضلوا عليهم ، فمنهم ، وهل هم أمثلهم في الفضل أم هم مفضلون عليهم؟ ...

آية التين حيث يجعل خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وهي تصريحية قيمة انه لا أحسن منه ، ولو لا آية التفضيل لكان الإنسان في قمة لا توازي ، ولكنها تستثنى قليلا ، فهم كالإنسان في أحسن تقويم ، ولا نعرفهم حتى الآن من هم.

ويكفي أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأن في ذريته آل بيت الرسالة الحمدية ، أنهم ككل أفضل من الملائكة.

ولأننا لا نجد هذه القلة هنا فهم من ساكني سائر الأرضين أم سائر الكارات كما تحت لهم آية الشورى ﴿وَمَنْ آتَاهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٤٥ : ٢٩).

ذلك التكريم وهذا التفضيل يجعلان الإنسان في قمة التكوين بأحسن تقويم في صورته وسيرته ، لو تبنّاه بطاقاته وإمكانياته لأصبح في أحسن تقويم ثان ، كما أنه في تغافله وبتحاله عن أحسنه في التكوين يرد إلى أسفل سافلين ، فلا أحسن منه إن أحسن ، ولا أسفل منه ان سفل ! «فمن

. الكافر ولكن كرم أرواح المؤمنين وإنما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم.

غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»^(١). فالصورة الإنسانية ككل بجزئيه «هي أكرم الصور على الله»^(٢) فـ«الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي وصوري فأحسن صوري وزان مني ما شان من غيري وأكرمني بالإسلام»^(٣).

وكونها أكرم الصور تلمح أن القليل الموازي للإنسان هو ايضاً في تقويم الإنسان مهما سمي باسم الإنسان ام سواه ، إلا ان لأهل بيت الرسالة الحمدية فضيلة تفوق الفضائل ، فلا أحد يساوينهم أو يساميهم في العالمين.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٢).

تلكم الكراهة والفضيلة سلباً وإيجاباً في تبني العقائد والأعمال تسريح في مسرح القيامة ، مشهد يشهد فيه كل أنس ما قدم وما أخر ، فإنه يوم الطامة التامة.

(١) المصدر ح ٣١١ : في علل الشريعة بسانده عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله (ع) فقلت : الملائكة أفضل ام بنو آدم؟ فقال قال امير المؤمنين (ع) : ان الله عز وجل ركب في الملائكة عقا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله ...».

(٢) المصدر ح ٣١١ في كتاب الحصول فيما علم امير المؤمنين (ع) أصحابه : إذا نظر أحدكم في المرأة فليقل ...

(٣) نور الثقلين ٣ : ح ٣٠٨ تفسير القمي عن علي (ع) في حديث «... فاما ملك منهم ففي صورة الآدميين وهي أكرم الصور على الله ...».

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أنس الخير الناس يدعون بإمام الخير ، وأناس الشر الناس يدعون بإمام الشر !

ففي واجهة الخير رسول كل أنس إمامهم ، وخلفائه أئمتهم ، وكتاب شرعتهم إمامهم ، وكتاب اعمالهم إمامهم وكما يروى عن إمام الأئمة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «يدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم»^(١) وكذلك واجهة الشر ، حيث الإمام هو من يؤتمن به إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فكل رسول من أولي العزم الخمس يدعى به انسه ، وكل إمام من خلفاء الرسول (عليهم السلام) يدعى به قرنه كما يدعى الكل برسولهم^(٢) ، وكل كتاب من الخمس يدعى به أتباعه ، كما وكل كتاب من كتب الأعمال يدعى به ناسه وانسه وكتاب السقوط والنجاج نتيجة حساب الأعمال.

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٤ . اخرج ابن مardonie عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) **﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** قال : يدعى ... وأخرجه في عيون الأخبار عن الرضا (ع) عنه (ص) ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٩٠ ح ٣٢٥ في محسن البرقي ... عن يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبي عبد الله (ع) **﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** فقال : يدعوا كل قرن من هذه الأمة بإمامهم . قلت : فيجيء رسول الله (ص) في قرنه وعلى (ع) في قرنه والحسن في قرنه الذي هلك بين أظهرهم به قال : نعم .

أقول : ولكن قرن الرسول يعم القرون كلها وهم الأمة الإسلامية اجمع كما في ٣٢٩ عن عبد الله بن غالب عن أبي جعفر (ع) قال : لما نزلت هذه الآية **﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** قال المسلمين يا رسول الله (ص) السنت امام الناس كلهم أجمعين ! قال : فقال رسول الله (ص) انا رسول الله الى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من اهل بيتي يقومون في الناس في Kiddibon وظلمتهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم فمن والهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني ألا ومن ظلمهم وكذلك فليس مني ولا معني وانا منه بريء .

أئمة خمس مل من هي له ، واربعة مل من عاش رسوله دون خلفائه.

الرسول لكل ناس هو الإمام الناطق الأصيل وكتابه هو الإمام الصامت الأصيل ثم خلفاء كل رسول هم الفرع الناطق^(١) ، وستته هي الفرع الصامت ، ومن ثم كتاب الأعمال إمام صاحبه حيث يأتم به يوم الجزاء ، فالأعمال أئمة تقود أصحابها بخيرها وشرها في الآخرة الأولى وفي الدنيا أحيانا ، كما كتب النجاح والسقوط أئمة.

وقد نطق القرآن بامامة كل من الخمسة ، فكتاب الأعمال من إمام مبين : ﴿وَنَكْتُبُ
ما قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٦ : ١٢) وكتاب النجاح او السقوط : ﴿فَإِنَّمَا مَنْ أُوتَ كِتَابَهُ يَسِّمِنُهُ فَيَقُولُ هَا وُمْ اَقْرَؤُوا كِتَابِيَهُ وَأَنَّمَا مَنْ أُوتَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتْ كِتَابِيَهُ﴾ (٦٩ : ١٩ و ٢٥).

وكتاب الوحي إمام : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ (٤٦ : ١٢) فباحتى القرآن إمام بل هو إمام الأئمة من سائر الوحي.

ورسول الوحي إمام : ﴿إِنَّمَا جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (١٢٤ : ٢)

(١) ملحقات الأحقاق ١٤ : ٦٣٧ الحكم الحسکاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٦ ط بيروت عن الحسين بن سعيد عن الحسن بن سعید عن جبان عن ابیان بن تغلب سألت جعفر بن محمد (ع) عن قول الله تعالى ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ قال : نحن اهل البيت وبسند آخر عن أبي هارون عن أبي سعيد في قوله ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ قال : علي (ع).

وفيه قدم ورد (توصيفه) (ص) عليا بالإمامية بعناوين مختلفة وقد تقدم نقل الأحاديث المأثورة عنه (ص) في انه الامام بعده في ٤ : ٨٦ وامام كل مسلم ٤ : ٣٣١ وامام الأمة ٤ : ٤ وامام ١٤٩ ، ٩٣ : ١٦١ ، ٣٣٠ وامام الأتقياء ٤ : ١١٨ وامام كل مؤمن ومؤمنة ٤ : ١٣٩ وامام من أطاع الله ٤ : ١٦٧ وامام القوم ٤ : ٢٨٤ وامام المسلمين (٤) : ٢٨٤ وامام من يدخل الجنة ٤ : ٢٨٩ وامام الأولين والآخرين ٤ : ٣٦٢ وامام المتقيين ٤ : ١١ . ٣٨١ و ٩٩ و ٢٨٤ و ٣٣٤ و ٢٠ .

فباHarry محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فانه إمام الأئمة من سائر حملة الوحي :
 ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (٢١ : ٧٣).

ورثة الرسل أئمة بعدهم بالوراثة النيابية : ﴿مِنْ أُرْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخُرْبَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٥ : ٣٢).^(١)

ولا يخلو أي زمان من إمام ناطق بالحق إما ظاهرا أو غائبا : «اللهم انك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك ومنارا في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة الى رضوانك وافتراضت طاعته وحضرت معصيته ، وأمرت بامتثال امره والانتهاء عند نحيه ولا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر».^(٢).

وترى ان إمام كل أناس هو كل من افترض عليهم طاعته وإن لم يطعوه؟ فلا يدعى إذا باي امام ضال؟ والدعوة تعم أئمة الهدى وأئمة الضلال! ام يدعى كل أناس بمن اعتقادوه لهم إماما وان لم يعتمدوه عمليا؟ والاهتمام لا يخص جانب العقيدة ، فانه الایمان والعمل الصالح ! فالإمام الناطق والصامت من هاد او مضل هو المقتدى عقيديا^(٣)

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٤٤ ح عن بشير الدهان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : أنتم والله على دين الله ثم تلا ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ثم قال : علي امامنا ورسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) امامنا . كم من امام يحيى يوم القيمة يلعن أصحابه ويلعنونه ونحن ذرية محمد وامنا فاطمة.

(٢) عن الصحيفة السجادية عن الامام السجاد (عليه السلام).

(٣) المصدر ح ٣٢٧ في كتاب الحصول بسانده الى الأصبغ بن نباتة قال : أمرنا امير المؤمنين (عليه السلام) بالمسير الى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حرث في سبعة نفر فخرجوا الى مكان بالحيرة يسمى الخورنق فقالوا : نتنزه فإذا كان الأربعاء خرجنا فللحنا علينا قبل ان يجمع ، فيبينا هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب .

وعمليا بدرجاتهما ، وكتاب الأعمال هو مسجلة الصور والعقائد والأصوات

. فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال : بايعوا هذا امير المؤمنين فبایعه السبعة وعمرو ثامنهم وارتحلواليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وامير المؤمنين (عليه السلام) يخطب ولم يفارق بعضهم بعضا وكانوا جميعا حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : ايها الناس ان رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) أسر الى الف حدیث في كل حدیث الف باب لكل باب الف مفتاح واني سمعت الله جل جلاله يقول ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِ﴾ واني اقسم لكم بالله ليبعشن يوم القيمة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت ان اسميهم لفعلت قال : فلقد رأيت عمرو بن حريث سقط كما سقط السقفة حباء ولوما . وفي مصباح الشریعة قال الصادق (عليه السلام) : قال الله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِ﴾ اي من اقتدى بمحق قبل ورکى .

وفي الخرائج والجريح في أعلام أبي محمد العسكري قال ابو هاشم بعد ان روی کرامته له (عليه السلام) فجعلت أفكرا في نفسي عظم ما اعطي الله آل محمد وبكيت فنظر الي وقال : الأمر أعظم مما حدثت به في نفسك من عظم شأن آل محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) فاحمد الله أن يجعلك متمسكا بحبهم تدعى القيمة بهم إذا دعي كل أنس بإمامهم إنك على خير» وح ٣٣١ في رجال الكشي عن حمزة بن الطيار قلت لا يعبد الله جعلني الله فداك لو فلقت رمانة فاحللتها بعضها وحرمت بعضها لشهدت ان ما حرمت حرام وما أححلت حلال فقال : حسبك ان تقول بقوله وما انا الا مثلكم لي ما لهم وعلى ما عليهم فان أردت ان تحييء مع الذين قال الله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِ﴾ فقل بقوله . وح ٣٤٥ عن إسماعيل بن همام قال الرضا (عليه السلام) في الآية إذا كان يوم القيمة قال الله : أليس عدل من ربكم ان تولوا كل قوم من تولوا؟ قالوا بلى قال : فيقول : تميزوا فيتميزون و ٣٤٦ عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ان كنتم تريدون ان تكونوا معنا يوم القيمة لا يلعن بعضا فاتقوا الله وأطليعوا فان الله يقول : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِ﴾ .

أقول : هذه الأحاديث كلها دليل على أن إمام كل أنس هو من يأتون به عقائديا وعمليا دونما ادعاء

خاو !

كما كانت وصدرت ، وكتاب النجاح او السقوط هو حصيلة الحساب في كتاب الأعمال . فالظاهر يدعى بإمام طاهر والغادر بغادر «يجيء كل غادر بإمام يوم القيمة ما يلا شدقه حتى يدخل النار» ^(١) .

وهل الكتاب المؤتي هنا باليمين هو كتاب الأعمال؟ فيقرأه كل بصير وأعمى حجة له او عليه : ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٧ : ٤)؟ وهنا القراءة لمن يؤتاه بيمنيه ، وغيره أعمى لا يستطيع قرائته !

ام هو كتاب السقوط او النجاح؟ ولقراءه كل ساقط وناجح : ﴿وَمَا مَنْ أَوْتَ كِتَابَهُ إِشْمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَّةً. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً﴾ (٦٩ : ٢٦) وهنا الأعمى لا يقراء كتابه! او هو يقراء عذابا فوق العذاب .

او هو كتاب شرعته الإلهية حيث توجّب عليه اتباعها ﴿فَمَنْ أَوْتَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ يوم الاخرى كما قرؤوه يوم الدنيا فهو هنا بصير كما كان هناك بصيرا . ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ (الدنيا) «أعمى» لم ينظر الى كتاب شرعته ، او نظر وبسر وأدب واستكبار ، ام اي نظر لم تلحقه عقيدة او عمل ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَغْمَى﴾ لا ينظر الى كتاب شرعته مهما حاول ﴿وَأَضَلُّ سَيِّلًا﴾ إذ كان له في الدنيا أن ينظر ولم ... وليس له هنا ان ينظر ولن ^(٢) وقد كان له في الدنيا توبة ما دام فيها أن ينظر بعد ما ترك ،

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٢ ح ٣٣١ . الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ...

(٢) المصدر ح ٣٥٨ عن ثواب الأعمال بسانده الى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) انه قال : ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله عز وجل يوم القيمة أعمى فيقول : .

وَلَا يُفِيدُهُ هَنَا النَّظَرُ فَلَا يُنْظَرُ ، وَلَا يُنْظَرُ وَلَا يُنْظَرُ (١).

وقد تعني وحدة الكتاب «كتابه» وحدته الشخصية فإما كتاب الشريعة او كتاب النجاح ، ام وحدته في الحقيقة فيشملهما حيث النجاح او السقوط من مخلفات تطبيق كتاب الشريعة وعدمه.

وترى إذا كان في الآخرة أعمى فكيف يقرء كتاب عمله او كتاب سقوطه ، او يتراهى
أهل النار واهل الجنة؟

الجواب ان العمى هنا لك نسبة وقتية ، فقد يعمى وقد يبصر وكلاهما عذاب فوق العذاب ، وهو فيها أعمى القلب مهما يبصر. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَنْكِ أَيَّاً نَنْسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (٢٠ : ٩٧). ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْنِيًّا وَبِنَكْمًا وَصُنْمًا﴾ (١٧ : ٩٧).

فهمما هم يخشرون عميا وبكما وصما ، عميا ، عن كتاب الشريعة ، وبكما عن الحاج واللجاج ، وصما عما يلذ ، ولكنهم يرون كتاب أعمالهم وسقوطهم عذابا فوق العذاب ، كما حشرهم عميا وبكما وصما عذاب فوق العذاب ، وسماعهم لما يسمعون ونطقهم بما يتكلمون عذاب فوق

. ﴿رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَنْكِ آيَاتُنَا فَنَسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ فيؤمر به الى النار.

(١) المصدر ح ٣٤٠ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) انه إذا كان يوم القيمة يدعى كل بإمامه الذي مات في عصره ، فان انتبه اعطي كتابه بيديه لقوله ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فان اوي كتابه بيديه ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمْ أَفْرُوا كِتَابِيَّهُ ... إِنِّي طَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّهُ﴾ الآية والكتاب الامام فمن نبذة وراء ظهره كان كما قال نبذوه وراء ظهورهم ومن أنكره كان من اصحاب الشمال قال الله ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَاءِ فِي سَمَوَاتِهِمْ وَهُمْ مُوْلَىٰ وَهُمْ مُوْلَىٰ﴾ .

العذاب ، فلا هم هناك صم بكم عمي ما هم هناك ، ولا هم يسمعون ويتكلمون ويرون ما هم هناك ، فقد يعذبون عذابا فوق العذاب فقدانا هذه ، وقد يعذبون وجданا لها ، مهما كانوا عميما عن الحقائق الموجودة»^(١).

وتراهم يقرءون كتابهم إن كانوا من أصحاب اليمين ولا يظلمون فتيلا ، فهل يظلم أصحاب الشمال العمى كما لا يقرءون كتابهم؟

كلا! ﴿إِلَيْهِمْ تُخْرَجُ كُلُّ نَفْسٍ إِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤٠) :

(١٧) وقد اختص هنا أصحاب اليمين بنفي الظلم لأنهم بذلك أحق وأحرى.
وقد لا يعني ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عمى من قراءة كتابه ألا يستطيعها ، وإنما عمى القلب عن الحقائق الموجودة^(٢) مهما قرأ كتاب شرعته وأعماله وسقوطه ، فالآخرة نسخة كاملة عن الدنيا باعمالها حيث تظهر فيها

. من **جَهَنَّمَ** إلى آخر الآية أقول : من استدلاله (عليه السلام) بقوله تعالى ﴿هَأُولُو افْرَوْا كِتَابَهُ ...﴾ يعرف أنه كتاب الشريعة ، وعلما مراد ان في الآية.

(١) نور الثقلين ٣ : ١٩٥ ح ٣٥٠ في عيون الاخبار في باب مجلس الرضا (عليه السلام) مع اهل الأديان والمقالات في التوحيد كلام الرضا (عليه السلام) مع عمران وفيه : إياك وقول الجهال اهل العمى والضلال الذي يزعمون ان الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب والثواب والعقاب وليس موجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود الله عز وجل نقص واحتضان لم يوجد في الآخرة ابدا ولكن القوم تاهوا وعموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني أعمى عن الحقائق الموجودة.

(٢) المصدر ح ٣٥٢ في كتاب التوحيد بسانده عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ قال : من لم يدلله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجبيات على ان وراء ذلك امر أعظم منه ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

الحقائق ، و «أعمى العمى عمى الضلاله بعد الهدى وشر العمى عمى القلب»^(١).
فلا بد لكل أنس من إمام يأتم به في حق ، و «من مات بغير امام مات ميتة
جاهلية»^(٢).

﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكُمْ عَنِ الدِّينِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخْذُنُوكُمْ خَلِيلًا﴾
(٧٣) **﴿وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكُمْ لَقَدْ كِدْنَا تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾**

«وان كادوا (من كان في هذه أعمى) ليفتنتوك (ايها الرسول) عن الذي أوحينا إليك
لتفترى علينا غيره (كما يشتهون) وإذا لاتخذنوك خليلا (يتخللونك حبا ووفقا بما تخللوا فيك
فرية ونفاقا جزاء وفاقا)! **﴿وَلَوْ لَا ...﴾**

«كادوا» من الكيد وهو هنا مقارفة الاحتياط المذموم ، ام الكود مقاربة للفعل المذموم
، وعلهمـا هنا معنيـان انـهم احتـالـوا الفتـنة واقـتبـوا هـا لـو لا ...
الفـتنـة الشـيـطـانـية مـهـما اـجـهـتـ الى الرـسـول بـكـلـ كـيدـ وـخـدـعـةـ ، وـلـكـنـها لـا تـصلـهـ بـما
يـحـذـرـهـ هو وـيـحـذـرـهـ اللهـ عـصـمـةـ ذاتـ بـعـدـينـ : **﴿وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ﴾**

(١) المصدر ح ٢٥٦ من خطبة للإمام علي (عليه السلام). ٣٥٦

(٢) نور الثقلين ٣ : ح ١٩٤ ح ٣٤٣ تفسير العياشي عن عمار السباطي عن أبي عبد الله (عليه السلام) لا ترك الأرض بغير امام يحل حلال الله ويحرم حرام الله وهو قول الله : **﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنْسِ بِإِمَامِهِمْ﴾** ثم قال : قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : من مات بغير امام مات ميتة جاهلية فمدوا أعنفهم وفتحوا أعينهم فقال ابو عبد الله (عليه السلام) أليست الجاهلية الجهلاء؟ فلما خرجنا من عنده قال لنا سليمان : هو والله الجاهلية الجهلاء ولكن لما رأكم مددتم أعنافكم وفتحتم أعينكم قال لكم كذلك.

عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ : ﴿٥٠﴾ وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ... ﴿٤٩﴾

وَلَا سِيمَا الْفَتْنَةُ الَّتِي تَحْمِلُهُ عَلَى الْفَرِيْدَةِ فِي رَسُولِهِ الْإِلَهِيَّةِ وَ ﴿إِنَّمَا يُفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (١٦ : ١٠٥) ﴿وَإِذَا تُنْذَلِي عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَنَاٰ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَئْتِ بِقُرْآنٍ خَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدَلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠ : ١٥).

وَمِمَّا كَانَتِ الْفَتْنَةُ كِيدًا فِي اسْتِلَامِهِ آهَتْهُمْ سَمَاحًا فِي اسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ^(١) امْ دُخُولًا فِي دِينِهِ^(٢) امْ طَرْدًا لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنْ سَقَاطِ النَّاسِ وَمَوَالِيهِمْ حَتَّى يَتَّبِعُوهُ^(٣) امْ مَاذَا مِنْ الْفَتْنَةِ الْمُكَيْدَةِ لِهِ الْقَرِيبَةِ إِلَيْهِ ... فَكُلُّ ذَلِكَ بُعْدُ عنْ سَاحِتِهِ بِعَصْمَتِهِ وَمَا تَحْذَرُ بِمَا حَذَرَهُ اللَّهُ ، مِمَّا كَانَ قَرِيبًا إِلَيْهِ كَبْشَرًا. ﴿وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ !

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٤ . اخرج ابن حجر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يستلم الحجر فقالوا «ندعوك تستلمه حتى تستلم آهتنا» فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فأنزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ ...﴾ .

(٢) المصدر اخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردوه عن ابن عباس قال : ان امية بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالا من قريش أتوا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقالوا تعال استلم آهتنا وتدخل معك في دينك وكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يشتند عليه فراق قومه ويحب إسلامهم فرق لهم فأنزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا ... نَصِيرًا﴾ .

(٣) المصدر اخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير ان قريشا أتوا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقالوا له : ان كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ ... أقول «فركن إليهم» خلاف نص الآية «لقد كدت تركن إليهم فليكن فكاد ان يركن إليهم .»

فما يروى من ركونه إليهم او افتراءه على الله في قصة العرانيق^(١) وأمثالها إنما مضروبة كلها عرض الجدار حيث العصمة الإلهية تسده عن هذه وتلك.

والشيطان أيا كان ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٦) ٩٩ : فاني له ذلك السلطان على اول العبادين ورسول المؤمنين المتوكلين !.

فهنا لك العصمة الربانية ﴿وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتَنَا﴾ عصمتة عن وصمة مقاربة الركون إليهم وإن شيئاً قليلاً ، بعد ان عصمتة العصمة البشرية . بعون الله . مقارفته وان ﴿كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا﴾ دون اي ركون ام قريه شيئاً كثيراً !^(٢) :

﴿إِذَا لَأَذْقَنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥).

ترى وماذا تعني «إذا» ظرفاً لضعف الحياة والممات؟ هل هو قرب الركون إليهم شيئاً قليلاً ﴿لَقَدْ كِدْتَ ... قَلِيلًا﴾؟ وليس هذا تقصيراً منه

(١) المصدر وخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال : انزل الله ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَ﴾ فقرأ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْلَّادُثَ وَالْغَرَّ﴾ فالقى عليه الشيطان كلمتين : تلك العرانيق العلى وان شفاعتهن لترجحـي . فقرأ النبي (صلـى الله عليه وآلـه وسلم) ما بقـي من السورة وسجد فانزل الله :

﴿وَإِنْ كَادُوا لِيَقْنِطُونَكَ ...﴾ فـما زـال مـعمومـا حتى انـزل الله تـعالـى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مـنْ قـبـيلـكـ مـنْ رـسـوـلـ وـلـا نـبـيـ ...﴾.

(٢) هذا التثبت الإلهي ليس العصمة التي اوتى بـداء رسـالـته ، إذ لا يـوكلـ في العصـمة ولا يـخـولـ فيها ، وـانـماـ هي تدرـيجـيةـ استـمرـارـيةـ بمـشـيـةـ اللهـ ، فـلـئـنـ وـكـلهـ إـلـىـ نـفـسـهـ طـرـفةـ عـيـنـ لـرـكـنـ إـلـيـهـ!.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى يَسْتَحْقَ ضَعْفَيِ الْعَذَابِ! فَانْهَا حَاولَ غَايَتَهَا بِشَرِّيَا قَدْرَ
الْمُسْتَطَاعِ! وَلَيْسَ . إِذَا . إِلَّا تَرَكَ التَّشْبِيهَ الإِلَهِيَّ وَلَيْسَ تَرَكَهُ مِنْ فَعْلِهِ ، وَمِنْ ثُمَّ فَلَا عَذَابَ إِلَّا
عَلَى وَاقِعِ الرَّكُونِ ، وَلَيْسَ هَنَا إِلَّا قَرِيبَهُ قَلِيلًا دُونَ وَاقِعِهِ! .

أَمْ هُوَ الْأَفْتَنَانُ عَمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ ، فَافْتَرَأَهُ عَلَى اللَّهِ غَيْرِهِ ، وَهَنَالِكَ الطَّامِنُ الْكَبِيرُ ،
وَهَنَالِكَ ضَعْفُ الْحَيَاةِ وَضَعْفُ الْمَمَاتِ ﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ ، لَا حَدَّنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
، ثُمَّ لَقَطَّعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٦٩ : ٤٧) وَكَمَا هَنَا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ
لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ .

أَمْ إِنَّهُ يَعْنِي الْفَرِيَةَ وَالرَّكُونَ حِيثُ يَنْبَعَانُ مِنْ نَبْعَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ التَّخْلُفُ عَنِ الرَّسَالَةِ
الْإِلَهِيَّةِ ، وَتَرَى مَاذَا الْأَسْعَافَانِ وَهُمَا أَرْبَعَةُ ، اثْنَانٌ فِي الْحَيَاةِ وَآخَرَانِ فِي الْمَمَاتِ؟ ﴿وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (٦ : ١٦٠) ثُمَّ وَلَيْسَ الدُّنْيَا دَارِ جَزَاءٍ؟

الْجَوابُ : أَنَّ الْعَذَابَ يَقْدِرُ بِقَدْرِ الْعَاصِيِّ وَالْعَصِيَّانِ ، وَهُنَّ الرَّسُولُ أَعْلَى مُحْتَدَاهُ مِنْ
سَوَاهُ ، وَعَصِيَّانُ الرَّسَالَةِ أَخْطَرُ مَا سَوَاهُ ، فَلَيْكُنَّ الْعَذَابَ ضَعْفًا لِهِ عَمَنْ سَوَاهُ وَلَا سَمْحُ اللَّهِ!
وَإِذَا تَجاوزَ الْعَصِيَّانَ حَدَّهُ ، جَاوزَ إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا فِي قَرْوَنَ أَهْلَكَتْ.
ثُمَّ الْضَّعْفُ لَا يَعْنِي . فَقْطَ . مَرْتَيْنِ ، وَأَنَّا الْمُضَاعِفَ زِيَادَةً عَنْ مَرَّةٍ وَالِّيْعَشَرَاتِ
وَعَشَرَاتِ .

كُلُّ هَذِهِ التَّهَدِيدَاتِ الْبَعِيْدَةِ الْمَدِيِّ ، الْمُسْتَحِيلَةِ فِي وَاقِعَاتِهَا لِمَكَانِ عَصْمَةِ الرَّسُولِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِنَّهَا تَنْبِيَهَاتٌ لِعَظِيمِ الْخَطَرِ فِي مُحْتَدِ الرَّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، حِيثُ
الْمَحاوِلَاتُ بِكُلِّ أَلوَانِ الْمُكَيْدَاتِ تَتَبَرَّصُ دَوَائِرَ السُّوءِ الْأَنْحَرَافِ وَالْأَنْحَرَافِ بِالرَّسَالَاتِ السَّامِيَّةِ!
فَقَدْ حَاوَلُوا مُسَاوِمَتِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَ قَبْلَ

أن يترك التنديد بالهتّهم ، أو أن يجعل أرضهم حراما كالبيت الحرام ، او يطرد سقاط الناس حتى هم يؤمنوا به دونهم ، او يستسلم آهتّهم حتى يسمحوا له باستلام الحجر ، أما ذا من أنصاف حلول التي تجمع بين الجانبين !

هذه وأمثالها هي محاولات أصحاب الشهوات مع أصحاب الدعوات ، لتنحرف الدعوة في بدايتها عن استقامتها ثم يهون أمر استصالها ، فإنهم لا يتطلّبون من صاحب الدعوة أن يترك دعوته كلها ، وإنما تنازلا عن حدتها وشدة لها لكي يتزاولوا هم أيضا عن معارضتها او علّهم يتقبلونها ، وهنا لك الشيطان يدخل على حامل الدعوة . ان استطاع . من هذه الثغرة المغيرة : أن خير الدعوة وصلاحها في كسب أصحاب السلطان وإن بالتنازل عن جانب منها !

ولكنها ثغرة رخيصة ، وإن كانت في البداية طفيفة خفيفة خفية حيث تنهار عند بزوغها ، فيتداء غروبا في طلوعها ، إذ يشجع أعداءها على تفتح الثغرة ، فاستصالها عن آخرها بالمرة !.

فأهم الفرائض على أصحاب الدعوة الإلهية الصمود الكامل والاستقامة الدائمة ، ولكي تتنسق في نهايتها على نسق بدايتها ، وحدة متناسقة دائبة .
كما أخطر التخلفات لأصحاب الدعوة التنازل وإن كان طفيفا في طرف منها ، فكل أطرافها عظيمة عزيمة ، دون فرض فيها ونافلة ، حيث الكل فرض كوحدة متكاملة متناصرة ، لا يجوز الغض عن البعض بغية قبول البعض ، او تصديقهم للبعض ، وإلا ف ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لا نقبل أنصاف حلول وتقسيم البلد بلدين !.

وأنت يا حامل الدعوة الأخيرة لست من يستفز عن دعوته ، وإنما الشيطان يستفز ويختنك الغاوين ، وأنت أقوى المهددين والعابدين لكن :

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦).

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ كيدا وقربوا دنوا ﴿لَيَسْتَفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ لم يتمكنوا من استفزاز واستخفاف دعوتك ورسالتك ولا طرفا منها ، فيكيدون إذا كيدهم لاستفزازك عن أرض الوطن وعاصمة الدعوة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ إخراجا للدعوة واستفزازا للرسالة عن عاصمتها «إذا» حيث يخرجونك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ بعدهك وفي خلافك ، «إلا قليلا» كما لم يلبثوا إلا عشرا ، وفي خاللها غزوات وانهزامات ام ماذا من معركتا!.

ترى ولما إذ تأتي مكة هنا في صيغة عامة «الأرض» على لأنها أصل الأرض حيث مكّت وبكت من تحتها ، وأنها عاصمة الرسالة الإسلامية فاستفزاز الرسول عنها استفزاز له عن الرسالة كلها ، أو أن في تنحية له الرسول عن ارض الوطن العاصمة الى الغربة النائية عن العاصمة تنحية له عن دعوته ولكن : ﴿إِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوْكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٨) : (٣٠) مكرًا في الحفاظ عليه إذ هو في الغار ، ومكرًا في ارجاعه الى مكة بفتح مبين.

ولماذا خلافك ، تأتي هنا بمعنى بعده وخلفك وقد تنافيه فصاحة التعبير؟ لأن «خلافك» هنا تعني الخلف والخلاف! فهم خلف اخراجك من الأرض لا يلبثونه ولا خلافك إلا قليلا ، وقد زالت هذه الخلفية بفتح مكة ان رجع إليها فاتحا ، ورجعوا هم عن خلافهم الى وفاقه طوعا او كرها ، وهذه من الإنباءات الغيبية القرآنية ، تبشره برجوعه الى العاصمة بعد قليل ، وان المشركين المستفزين سوف يرجعون مسلمين او مستسلمين!

﴿سُنَّةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسْتَنَا تَقْوِيلًا﴾ (٧٧).

سنة إلهية سلبية للرسل على الذين يستفزونهم ليخرجوهم من أرض الدعوة ، أنهم لا يلبثون خلافهم إلا قليلا ، كما حق عليهم في مكة ان رجع إليها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته منها فاتحا ، وكذلك في المدينة. ﴿لَئِنْ لَمْ يَتَّنِعْ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَفُوا أَخِذُوا وَقْتَلُوا تَقْبِيلًا . سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَدِينَ خَلَوَا مِنْ قَبْلٍ وَلَئِنْ تَجِدُ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٣٣ : ٦٢) . ﴿فَإِنَّمَا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْقُعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (١٢ : ١٧).

ثم سنة ايجابية لهم ان الله يثبتهم ان كانوا ليغتصبوا عن الذي اوحى إليهم ! وهذه السنة لن تتتحول في أية رسالة مهما اختلفت عن بعض في درجاتها ومتطلباتها.

﴿فِي الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ الْلَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا حَمْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحُقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا (٨١) وَنَزَّلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِيدُ الطَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤْسَأً (٨٣) فَلَمَّا كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدِي سَبِيلًا (٨٤) وَيَسْتَأْلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِينَمِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذَهَبَنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُنَكَ

بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعْتِ الْإِنْسَنُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَيَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخْيَلٍ وَعَنْ بِهِ فَتَفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُحْبَرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقْبِكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا

عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾

﴿قَمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨).

الصلوة هنا تعني المفروضات اليومية الخمس ، فان دلوك الشمس وغسق الليل والفجر لا تناسب سائر المفروضات كصلوة الآيات والأموات واضرابها لأنها واجبة بأسبابها دون اوقات لها معينة كهذه!

الدلوك في الأصل هو الميل وهو الانخفاض بعد كمال الارتفاع ، فهل ان ميل الشمس هنا غروبها؟^(١) وليس غروبها ميلها ، بل هو نتاج الميل الأخير لها عن قرصها! ولو عني بدلوكها غروبها لكان الفصيح الصحيح «لغروب الشمس» لا لدلوكها!

ام هو زوالها عن كبد السماء^(٢)؟ وهو بداية ميلها لا ميلها كلها! ولو كان فقط زوالها لكان الفصيح الصحيح «من زوالها» لا «لدلكها» ولا «لزوالها» حيث اللام لا تعني البداية وجاه «إلى» النهاية ، وإنما تعني لزام وقت واسع كما بين زوالها وغروبها! ..

ام هو ميلها منذ زوالها الى غروبها؟ ويوافقه مطلق الميل الدلوك حيث يشمل دلوك الزوال ودلوك الغروب وما بينهما ، جمعا لاوقات الظهرين على درجاتها ، وملازمة لصيغة التعبير. «لدلكها» حيث اللام لزام والدلوك

(١) في مفردات القرآن للراغب ولسان العرب لابن منظور الافريقي انه غروبها وفي الدر المنشور ٤ : ١٩٤ . اخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي (رضي الله عنه) قال : دلوكها غروبها.

(٢) لسان العرب انه زوالها ...

نعم منذ زوالها الى غروبها ، وهو وقت الظهرين إجزاء ، وبذلك يجمع بين اللغة والرواية المفسرة لدلكها بزوالها وغروبها ، بل هو لغة من لغاتها^(١) والسنة القطعية تقول : انه زوالها^(٢) وعنهما تعني مطلق زوالها منذ البداية عن كبد السماء ، وحتى النهاية في غروبها من قرصها ، وفيما تختص بالزوال الاول تعني اول وأفضل زوالها :

إذا فهذه الآية المكية تشمل الصلوات الخمس من بداية زوال الشمس

(١) لسان العرب وروى ابن هانئ عن الأخفش انه قال : دلوك الشمس من زوالها الى غروبها .
وقال الرجاج : دلوك الشمس زوالها في وقت الظهر وذلك ميلها للغرب وهو دلوكها ايضا ، ومثله قال الرجاج والفال : اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ومالت للغرب ويقال للشمس دالكة إذا زالت نصف النهار وإذا أفلت .

(٢) الدر المنشور ٤ : ١٩٥ . اخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس قال : لزوال الشمس» أقول : عله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني مطلق الزوال ، وان كان يعني بداية الزوال في لفظ آخر كما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتاني جبرئيل (عليه السلام) لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر واخرج ابن مردويه عن انس (رضي الله عنه) قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي الظهر عند دلوك الشمس وروى الواحدي في البسيط عن جابر انه قال : طعم عندي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا حين دلكت الشمس» وروى في الكشاف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : اتاني جبرئيل (عليهم السلام) لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر .

أقول : واتفقت رواية اهل البيت (عليهم السلام) ايضا انه زوالها ، كما اتفقت الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما رواه عن علي (عليه السلام) لا يعني الا الدلوك الأخير للشمس لا دلوكها كلها .

إلى فجرها : فالظهران **﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** ولو كان الدلوك خصوص البداية لما شملت العصر ، ولا الظهر بعد الظهر ، والعشاءان **﴿إِلَى غَسْقِ اللَّيْلِ﴾** و **﴿فِرْآنَ الْفَجْرِ﴾** فجراً وكما في أحاديثنا.

وغسق الليل غاية ظلامه في منتصفه ومنحدره كما الليل العاصف هو المظلم ، ولأن بداية الليل هي مغرب الشمس دقائق بعد غروبها ، ونهايته بدقائق قبل طلوعها ما صدق الليل بداية ونهاية ، فمتصف الليل هو الوسط بينهما ، لا بين المغرب وطلع الفجر ، فإنه ليس غسق الليل مهما كان وسطاً لما يسمى ليلاً شرعاً ، وتفسير غسق الليل بمنتصفه في أحاديثه تفسير لغوي دون اصطلاح شرعي خاص ^(١) :

غسق الليل هو بداية زواله ونهاية كزوال الشمس ، كما يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب السائل : «زوال الشمس نعرفه بالنهار فكيف لنا بالليل؟ . قال (عليه السلام) : للليل زوال كزوال الشمس ، قال فبأي شيء نعرفه؟ قال . بالنجوم إذا انحدرت» ^(٢) وعن

(١) نور النقلين ٣ : ٢٠٠ ح ٣٧٠ عن تحذيب الأحكام باسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سأله عما فرض الله من الصلاة؟ فقال : خمس صلوات في الليل والنهار فقلت : هل سماهن وبينهن في كتابه؟ فقال : نعم قال الله عز وجل لنبيه **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ اللَّيْلِ﴾** ودلوكها زوالها ففي ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل اربع صلوات سماهن وبينهن ووقتهن وغسق الليل انتصافه ثم قال : وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً بهذه الخامسة.

أقول : وفي تفسير العياشي يروى زرارة وحرمان ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) تفسير الغسق بالانتصاف ، ومثله فيه عن زرارة عن أبي عبد الله (عليه السلام).

(٢) وسائل الشيعة باب ٥٥ من أبواب المواقف ح ١ و (٢) ح ٢ .

أقول : وليس انحدار النجوم إلا في غاية الظلام وهي وسط بنى غروب الشمس وطلعها لا فجرها ، وكذلك زوال الليل ، وليس الحساب بين الطلوعين في باب .

الإمام الباقر (عليه السلام): «دلوك الشمس زوالها وغسق الليل بمنزلة الرزوال من النهار» إذا فالأشبه الأقوى اعتبار الغسق وسطاً بين بداية الظلام ونهايتها.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ عطف على الصلاة فتعني : وأقم قرآن الفجر : الفجر الصادق للشمس ، لا كاذبه ولا طلوعها ، وإنما فجرها حيث يشق ضوءها ظلام الليل فيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

قرآن الفجر هي صلاته صلاة الصبح حيث تبتعد من فجر الشمس إلى ما قبل طلوعها ، وكما صلاة العصر إلى ما قبل غروبها : **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾** (٢٠ : ١٣٠) :

وكما دلوك الشمس يشمل بين الوقتين كذلك فجرها فإنها تشتق وتفجر ظلام الليل شيئاً فشيئاً حتى تطلع فيتم الفجر ، فالظهaran هما صلاة الدلوك والصبح هي صلاة الفجر حيث يتنفس حتى يزيل آخر رمق من الليل.

ولماذا **﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾** دون صلاته وجاه الصلوات الأربع **﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ الْلَّيْلِ﴾**? تلميحاً لمزيد الأهمية فالاهتمام بصلاة الفجر : أنها قرآن وإن كانت كل صلاة قراناً واجبة القراءة والمتابعة ، إلا أن قرآنها أهم وأتم من قرأنها ، لـ **﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾** دون سائر القرآن ، فمهما تشهد قرآن الدلوك ملائكة النهار ، وتشهد قرآن الليل إلى غسقه ملائكة الليل^(١) فقرآن الفجر تشهد ملائكة الليل والنهار ، وبين

. الصلاة والصوم من النهار دليلاً على كونه منه في كافة الأبواب وحتى فيما يخالف الحسن من كون غسق الليل قبل غسقه إذ تحسب نهايته بداية الفجر.

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٦ . أخرج عبد الرزاق والبخاري ومسلم وابن حجر وابن أبي حاتم وابن مردوخ عن أبي هريرة عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم .

الطلوعين لا هو من ساعات الليل ولا من ساعات النهار ، أم هو من ساعات الليل والنهار ، ولذلك تجمع لشهودها ملائكة الليل والنهار !

وقد تكون صلاة الفجر هي الصلاة الوسطى المأمور بها خاصة في آيت ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٣٣٨) لأنّيّتها المصر بها هنا بين الخمس وأنّها الوسطى بين الصلوات الليل والنهار ، وأنّها من الصلاة الوسطى حيث الظهر أيضاً وسطى بـ الصلوات النهارية ، فلا تعني الوسطى إلّا وقتياً لا في الفضيلة فأنّها

. ﴿ وَقُرْآنُ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ وآخر الحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن جرير والطبرانى وابن مردوه عن أبي الدرداء قال : قرأ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ قال : يشهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار ، أقول : شهادة الله تعمها وسائر الصلوات إلا أن يعني بما هنا شهادة تخصّها بما كرمها فضلها على سواها .

ثم أقول : وروها أئمة أهل البيت (عليه السلام) دون خلاف واختلاف كما رواه في الكافي بأسناده عن يزيد بن خليفة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) وبأسناده عن إسحاق بن عمارة عنه (عليه السلام) وبأسناده عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وفي تفسير العياشي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عنهم (عليهما السلام) ... وفي علل الشرائع بأسناده إلى سعيد بن المسيب قال سألت علي بن الحسين (عليه السلام) ... واقرّ الفجر على ما فرضت بمكة لتعليل عروج ملائكة الليل إلى السماء ولتعجّيل ملائكة النهار إلى الأرض فكانت ملائكة النهار وملائكة الليل يشهدون مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صلاة الفجر فلذلك قال عز وجل : ﴿ وَقُرْآنُ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ يشهد المسلمين ويشهد ملائكة النهار وملائكة الليل .

وفي العلل أيضاً بأسناده إلى الحسن بن عبد الله عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى أن قال : وهي الصلاة التي يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار .

الكبير ، ولا وقتية وسطى إلّا صلاة الظهر وهي وسطى النهارية ، والفجر وهي الوسطى المطلقة بين الليلية والنهارية! كما وان صلاة الجمعة من الوسطى فانها مكان الظهر والجمعة هي قلب الأسبوع فهي إذا وسطى من جهتين.

هنا صرحت بصلوة الفجر وأجملت عن الأربع الأخرى ، وفي سائر القرآن تصريحات او تلميحات بالأخرى الا المغرب : ﴿... مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ...﴾ (٢٤ : ٥٨) ﴿وَإِذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَار﴾ (٣ : ٤١) ^(١).

إذا فصلوات الفجر والظهيرة والعصر والعشاء مذكورة ، ثم لا تجد تصريحة بالمغرب اللهم إلا تلميحة في آية الدلوك ، والصلاحة الوسطى منها كما بينا هي الفجر ثم الظهيرة . آية الرلف ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ (١١ : ١١٤).

هذه ، إلّا أننا لا نجد آية تشمل الخمس إلّا آية الدلوك وان كانت لا تصرح إلّا بقرآن الفجر ، وقد نلمس الفضيلة الكبرى بين الخمس لقرآن الفجر ، حيث تختص بالذكر هنا وفي سبع اخرى : ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ (٢٠ : ١٣٠ و ٥٠ : ٣٩) و ﴿صَلَاةُ الْفَجْرِ﴾ (٢٤ : ٥٨) والإبكار ^(٢) عدد أبواب الجنة.

ومن ثم الظهيرة فانها من الصلاة الوسطى ، وتلمح لها او تصرح بها آيات عده كالدلوك والظهيرة (٢٤ : ٥٨) .

(١). نجد التسبيح والدعاء بالعشي والإبكار في ٦ : ٥٢ و ١٨ : ٤٠ و ٤٠ : ٥٥ . ايضا.

(٢). كما في ٣ : ٤١ و ٦ : ٥٢ و ١٨ : ٢٨ و ٤٠ : ٥٥ .

ثم العصر كما في آية الدلوك وآيتي «قبل غروبها وقبل الغروب» وآيات العشي الخمس ، وطفي النهار .

ثم العشاء كما في آية الدلوك العسق ، وآية العشاء ﴿مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (٤٢) وآيات العشي .

ومن ثم المغرب داخلة في تلميحات كآية الدلوك وزلفا من الليل :

آيات بيّنات تبيّن موقف كل صلاة وصلاة تلو الأخرى وكما الروايات على أضوائهما . وقد تدلنا او تلمح لنا آية قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وآيات العشي والإبكار أن الفرض كان في البداية ثنتين : صلاة الفجر والعصر ، ثم آية الزلف والظهيرة أنه تحول إلى ثلاثة او اربع ، ثم آية الدلوك وآية العشاء والظهيرة إلى خمس ، وهي مكية فلتكميل الفرائضخمس في مكة على فترات .

وإذا كان البعض من آيات العشي والإبكار مدنية فقد تعني البعض من المفروضات لا كلها ، وإن كانت ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ المكية تعني كلها لمكان القرينة في المدنية دون المكية .

﴿وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (٧٩).

المحدود هو النوم كما الماجد النائم ، والتهجد إزالة النوم كالإطاقه ازالة الطاقة والتمريض ازالة المرض بمراقبة المريض .

ولأن التفعل تكليف فقد تعني هنا التكليف في التيقظ ، ومن الصعب التيقظ بعد النوم في بدايته كما يصعب في نهايته او وسطه هو درجات حسب الصعوبات .

هنا يؤمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) شخصياً بالتهجد فاختصاص الأمر به إضافة إلى صيغته يدلان على وجوب **﴿نافِلَةُ لَكَ﴾** و **﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾** يعني بعضه ، اقتسام له إلى ثلاثة أبعاض : بعض للعشائين وسائر الحاجيات ، ومن ثم النوم بين العشائين أم بعدهما ، ثم التهجد المقدر في أكثره ثلثي الليل وفي اقله ثلثه ، وفي متوسطه بنصفه **﴿فُمُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** ، **﴿نِصْفَهُ أَوِ انْفُصْنُ مِنْهُ قَلِيلًا﴾** ، **﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾** (٤ : ٧٣) ولأن «من الليل» يعني بعضه المفسر في المرقم فـ «به» تعني هذا البعض تهجداً به ، قياماً في عبادته ، صلاة وقراءة للقرآن أم ماذا؟

ثم **﴿نافِلَةُ لَكَ﴾** حيث تعني زائدة خاصة بالرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) صلاة أو طاعة نافلة على فرضه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دون الأمة في فرض صلاة أم وقراءة ، لا زائدة على فرض الأمة حتى تعني مقابل الفريضة ، حيث النافلة المستحبة على فرضهم لا يخصه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ! إذا فهي فريضة زائدة عليه بين سائر المكلفين ^(١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٠ في تحذيب الأحكام بأسناده عن عمارة الساباطي قال : كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) ما فقال له رجل : ما تقول في النوافل؟ فقال : فريضة . قال : ففرعنوا وفزع الرجل فقال أبو عبد الله (عليه السلام) إنما أعني صلاة الليل على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إن الله عز وجل يقول : **﴿وَمَنِ الْلَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نافِلَةُ لَكَ﴾**.

وفي الدر المنشور ٤ : ١٩٦ عن ابن عباس في قوله : نافلة لك يعني خاصة للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أمر بقيام الليل وكتب عليه وآخر الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن عائشة إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : ثلاث هن على فرائض وهن لكم سنة : الوتر والسوالك وقيام الليل.

وهي «له» حيث ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً حَمُوداً﴾ وان كانت عليه تكليفا ، ولأنه من أفضل الخاشعين وهو أول العابدين فليس العادة له حملا وكبيرة ﴿فَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

ولأن الصلاة هي المذكورة مسبقا دون القرآن ، إذا فهـي ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ صلاة زائدة لك على فرضك ، مهما شملت قراءة القرآن في صلاة وسواها ، إلا أن آيات المزمل بشأن ترتيله في قيام الليل تضم ترتيل القرآن إلى صلاة الليل ، قرآن الصلاة ام سواه : ﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ كما وأن القرآن هو روح الصلاة!

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً حَمُوداً﴾ ... بذلك التهجد الصارم ولأنك أفضل الخلق أجمعين وانك أول العابدين «عسى ...» مما هو ذلك المقام الحمود؟ هل إنه الرسالة الختامية؟ وقد بعث بها! ام إلقاء قول ثقيل ﴿قُمِ الظَّلَلَ ... إِنَّا سَلَقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؟ وذلك حتم في تلـكم الرسالة موعد «سنلقي» ، و «عسى» موضع ترج دون حتم! ام إنه العصمة العليا والقمة الأعلى من مقامات الولاية؟ فما هي وانـي؟!

بما انه لا حمد إلا لله ولا حمود إلا لله ، اللهم إلا ما عساه يبعثه الله ﴿مَقَاماً حَمُوداً﴾ فليكن قمة في الاولى واخرى في الاخرى ليست لأحد من العالمين وهي الولاية الكبرى هنا والشفاعة الكبرى هناك ، حيث الحمد مطلق ، فلتشمل ولايته في الدنيا كل العالمين ، ان تشمل شرعاـته كل العالمين﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤٨ : ٢٨) كما وأن ولايته الرسالية تشمل كافة المسلمين ﴿وَإِذْ أَحَدَ اللَّهُ مِيشَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرْمُ وَأَخَذْمُ عَلَى ذِكْرِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٣ : ٨١) ثم سلطانـه النصـير في فتح العاصـمة الرسـالية بعد ما

ضاقت

عليه بما رحبت وذاق منهم أشد الأذى في العهد المكي والمدني ، ومن ثم شفاعته الكبرى التي تشمل كل العالمين ، مزيدا على محتد النبيين ، وترفيعا للمؤمنين ، وغفرانا للفاسقين ، وخفيفا عن الكافرين كما تظافرت به الروايات عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعن عترته (عليهم السلام).

ولماذا «عسى» وليس إلا للترجي والله لا يترجى ما هو باعثه لا سواه؟ ... إنه ليس ترجيا من الله ، فعساه ليس إلا ترجيا لرسول الله ، دون تحتم على الله ، فالظروف الرسالية هذه ، وهجده أم ماذا من لياقته ولباقيه ، هذه وتلك موقع لترجي المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

ولأن «مقاما» مصدر ميمي واسم زمان ومكان ، فمقامه المحمود مجموعة من قيامه المحمود ، وزمن القيام ومكان القيام المحمود ، وقد قام قيامه المحمود في خير مكان «مكة المكرمة» وخير زمان ، وكما يقوم في شفاعته يوم القيمة قياما ممودا في خير زمان وخير مكان ، وقد يجمع ذلك كله محتده المحمود في كافة المجالات.

وبعثه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مقاما ممودا لا يعني إلا إرساله استجاشة ذلك المقام ، لا إلى مقام محمود ، ولا جعله وإجلاسه مقاما ، خلاف ما يروى شانيا أنه تعالى «يجلسه معه على السرير»^(١) ولا . فقط .

(١) الدر المثور ٤ : ١٩٨ . اخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الآية : يجلسني معه على السرير .

إنطاقه بما ينطق «لبيك وسعديك :»^(١) وان كان هذا من مخلفات مقامه المحمود! ومهما يكن من شيء فالمقام المحمود الذي عساه يبعث إياه أمر مستقبل تتبناه عصمة الرسالة الأخيرة والولاية العامة الإلهية على كونه دائباً قائماً الليل سابع النهار سبعاً طويلاً.

﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨٠).

ولسلطانه النصير هو من مقامه المحمود هنا ، كما شفاعته الكبرى من سلطانه النصير هناك! فقد جعل الله له سلطاناً نصيراً في الأولى والأخرى! .

تلك دعاء يحتاجها الرسول ولكري يجبث ويحتاج كل عراقيل الدعوة ، يؤمر على طول خط الدعوة الرسالة إدخال صدق وإخراج صدق ، وسلطاناً نصيراً حينهما وبعدهما ، دعاء مثلثة الزوايا تجمع مجتمع الخيرات لصاحب هذه الرسالة السامية.

فالصدق هنا مطلق دون قيد ، صدق في العلم والإيمان ، وصدق في

(١) المصدر اخرج ابن أبي شيبة والنسائي والبزار وابن حجر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابو نعيم في الخلية وابن مردوية والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياماً لا تكلم نفس الا باذنه ينادي يا محمد فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلّا إليك تبارك وتعالى سبحانك رب البيت فهذا المقام المحمود.

النية والعمل ، تطابقا في جنباته كلها ، دون نفاق وشقاق ، ودون اية كذبة ولا نقيرا! صحيح أن على الإنسان أيا كان أن ينتظم دخوله في كل مدخل وخروجه عن كل مخرج بصدق صارم قاطع ، ولكنما هناك العرائيل التي تحول دونه وما يريد متغلبة على ما يريد وإن قليلا ، فليطلب من الله أن يدخله ويخرجه بصدق ، عصمة عن المزال وحفظا عن الضلال ، والعصمة القيمة التي مالها من سباق هي العصمة المحمدية التي يطلها رب ليل نمار. وإن ذلك استسلام تام للرب تبارك وتعالى ، أن يستضيف إلى حوله حول الله ، والى قوته قوة الله ، والى ارادته ارادة الله ، بل يرى انه «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيجعل نفسه مجالا لمشيئة الله ، فلا يشاء ألا ما يشاء الله ، بعد ما يكرّس كل طاقاته في تحقيق وتطبيق مرضات الله ،

لقد كان للرسول خروج عن مكة هجرة الى المدينة دخولا فيها ، ومن ثم دخول في مكة يوم الفتح ثم خروج عنها متتصرا مظفرا^(١) ، وبين ذلك دخولات وخروجات في مداخل وخارج شتى لتحكم الدعوة وتدعيم الرسالة ، وكل ذلك تشمله دعاءه ﴿وَقُلْ رَبِّ...﴾ كما ادخله وأخرجه صدقا ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا﴾^(٢) نصيرا سلطانا من لدن الرب

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٨ . اخرج احمد والترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وبيان مردودية وابو نعيم والبيهقى معا في الدلائل والضياء في المختارة عن ابن عباس قال : كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) بمكة ثم امر بالهجرة فأنزل الله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَذْخُلْنِي...﴾ .

تبارك وتعالى. نصيرا له في دعوته الرسالية العالمية في كل مدخل وخرج وكل مقام ومقام^(١). ان السلطان النصير أيا كان يختص بالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فلا نجد في سائر القرآن سلطانا مبينا من سواه إِلَّا سلطانا مبينا هو معجزة الرسالة وهي لزام الرسالات كلها ، وقد بدء الرسول بما في قرآنه فإنه أفضل سلطان وأخلده.

ومن سلطانه النصير نظيره وزيره علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فانه شاهد لبينة الرسالة حيث يتلوه : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمامًا وَرَحْمَةً ...﴾ (١٧ : ١١)^(٢).

كما وان من سلطانه النصير استقامته وهيبته وسيطرته ، فقد زوده الله بسلطات ربانية متصلة به ومنفصلة عنه ، ولأن هذه الرسالة السامية عالمية خالدة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحُقْقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤٨ : ٢٨).

ومن سلطانه النصير في آخر الزمان القائم المهدى (عليه السلام) من

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٨ . اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن قتادة في الآية قال : أخرجه الله من مكة مخرج صدق وادخله المدينة مدخل صدق . قال : وعلم نبي الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه لا طاقة له بهذا الأمر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله تعالى وحدوده وفرازضه واقامة كتاب الله تعالى فان السلطان عزة من الله تعالى جعلها بين عباده ولو لا ذلك لغار بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم.

(٢) ملحقات الاحقاق. اخرج الحاكم الحسكناني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٨ ط بيروت بإسناد متصل عن عبد الله بن عباس في الآية قال : والله لقد استجاب الله لنبينا دعاءه فأعطاه علي بن أبي طالب سلطانا ينصره على أعدائه.

عترته المعصومين (عليهم السلام) : فبه . لا سواه . «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً» ، وفي الحق إن هذه الدولة المباركة هي تحقيقة شاملة وتطبيقة كاملة لرسالته في العالمين ، كما تحققت على ضوءها كافة الرسائلات الإلهية.

إذا فهي حصالة غالية من كل سلطانه النصير ، المنقطع النظير في كل سلطان نصير ، فانها انتصاره صارمة لرسالة السماء في الأرض ، بعد كل تشرد له بتمدد مارد من المرسل إليهم طوال التاريخ الرسالي ، والآية التالية تبشيره لطيفة بحق ذلك السلطان النصير :

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحُقْقُ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوفاً﴾ (٨١).

اجل ﴿لَنْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصْفُونَ﴾ (٢١ : ١٨) ! ﴿فَلَنْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْعِيُوبِ﴾ . قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩ : ٣٤).

«انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زيد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الأمثال» (١٣ : ١٧) ! ﴿وَمَثَلُ
كَلِمَةٍ خَبِيْةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْةٍ اجْتَهَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَوْرَاءِ﴾ (١٤ : ٢٦).

لقد قال الرسول هذه الكلمة الطيبة فيما قال في سلطانه النصير عند ما فتح مكة وأخذ يكسر الأصنام ^(١) وإذا لم يزهق الباطل في صورته زهاقه في

(١) الدر المثور ٤ : ١٩٩ . اخرج ابن أبي شيبة وابو يعلى وابن المنذر عن جابر (رضي الله عنه) قال : دخلنا مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا فامر بها رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فأكبت لوجهها .

سيرته زمن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى الآن فسوف يزهق تماماً زمن الدولة المباركة الإسلامية العالمية في قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فـ«إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»^(١) فان للحق دولة وللباطل صولة وجولة ، يتنفس ويتنفس ولكنه هشّ سريع العطب كشعلة الهشيم!

وقد كانت هذه الآية مكتوبة على ذراع المهدي (عليه السلام) الأيمن لما ولد^(٢) حيث تعني أن مجيء الحق تماماً وزهاق الباطل تماماً ليس إلا بيمين

. وقال : **﴿جَاءَ الْحُقْقُ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَفَوْقًا﴾** وأخرجه مثله الطبراني في الصغير وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذمي والنمسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردوية عن ابن مسعود عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بزيادة الآية **﴿جَاءَ الْحُقْقُ وَمَا يُبَدِّي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِدُ﴾** ومثله في امالي الطوسي باسناده الى سليمان بن خالد قال حدثنا علي بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه قال : وفي كفاية الحscarام . ان هيل وهو اكبر الأصنام التي كانت على جدران الكعبة ااما نزلها وكسراها علي (عليه السلام) بأمر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حين وضع قدمه على ظهره الشريف ، رواه ابو بكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن امير المؤمنين (عليه السلام) عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن حابر بن عبد الله الانصاري قال : كنا مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حين دخل الكعبة ...

ورواه ابو المؤيد موفق بن احمد بسنده عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...

(١) نور الثقلين ٣ : ٢١٢ عن روضة الكافي باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في الآية قال : إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.

(٢) المصدر ص ٢١٣ ح ٤١٠ في الخرائج والجرائح عن حكيمه في خبر طويل وفيه لما ولد القائم (عليه السلام) كان نظيفاً مفروغاً منه وعلى ذراعه الأيمن مكتوب **﴿جَاءَ الْحُقْقُ ...﴾**.

المهدى (عليه السلام) لا سواه ، مهما بذر بذوره الرسول البشير النذير ، حيث بذر بلا اي تبذير :

وفي الحق ان الحق كيانه الانجلاء والقرار ، والباطل كيانه الجلاء والاندحار ! ... والحق وان كان جائيا قبل ذلك الحق ولكن لم يكن بالذى لا ينسخ ولا يحرف ، وأما ذلك الحق فكتابه حق لا ينسخ او يحرف ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكَمِ حَمِيدٍ ﴾ (٤١ : ٤٢) ورسوله لا يزول فان رسالته مؤبدة ، ودولته سوف تفوق الدول وتشمل العالم أجمع ، إذا ف ﴿ مَا يُنْدِيُ الْبَاطِلُ ﴾ نفسه أن يبدأ حياته من جديد ﴿ وَمَا يُعِيدُ ﴾ ما كانت من حياته البائدة ، فلا بدء له بعد ولا عود ، وانما هما الآن وعلى مر الزمن والأجيال للحق !

الحق الحالص الصارم بمن له من أنصار صامدين ، ثابت لا حول عنه ، والباطل زاهق مهما كان له من أنصار ... فالباطل شجرة خبيثة اجتشت من فوق الأرض ما لها من قرار حيث لا يطمئن الىحقيقة مهما تنفع وتنفخ فانه هش سريع العطب ... وهو زيد يطفو على الماء وينخيل الى من غربت عقولهم أنه عال ، ولكنه يذهب جفاء ويقى الماء .

في معرتك الحق والباطل ، القوة كلها للحق حيث يضرب على الباطل فيدمغ ﴿ وَلَكُمُ الْوَلْيُ إِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ومهما انحزم أهل الحق أحيانا ولكن الحق لا ينهزم ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحَقُّ الْحُقْقَ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤٢ : ٢٤).

إن الحق من الله وهو مع الله ومن ورائه الله ، والباطل من الشيطان ومن وراءه الشيطان ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ !

الباطل كلما أرعد وأبرق وعربد لا يملك عقولا صافية وحقولا ضافية ، مهما ملك غاربة من سنته وفي مجراه ، ولكنما الحق يملك عقولا وتنصح به عقول ، مهما عارضه من لا يعقلون !

لقد جاء الحق في القرآن (٢٥٤) مرة ولم يجيء الباطل إلا (٢٦) مرة ، ولأن دلائل الحق تحيط بنا وليس للباطل دلائل إلا زورا وغورا ! ﴿وَجِدَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيَدْحُضُوا بِهِ الْحَقَّ وَأَخْذُلُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذِرُوا هُرُوا﴾ (١٨ : ٥٦) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصْفُونَ﴾ (٢١ : ١) ﴿وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيَدْحُضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخْذُلُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٌ﴾ (٤٠ : ٥٠) ؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢١ : ٢٤) لذلك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٢٣ : ٧٠) :

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ ليحق ويقوى ﴿وَرَهْقَ الْبَاطِلُ﴾ لأن حقه الرهاق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ﴾ منذ وجد وفي أعماق الزمان والمكان «زهوقا» لاثبات له فلا مساك له ولا سماك لبنيه وإنما يبقى امتحانا وبلاء في دار البلاء ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ :

﴿وَتُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢). القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ومزيد خسار للظالمين ، ولا تعني «من» تبعيضا في القرآن ، بل هو بيان لكيان القرآن أي كان كما ﴿فَاجْتَنَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ فالرجس هو طبيعة الأوثان ، والشفاء والرحمة هما طبيعة القرآن ولكن من؟ «للمؤمنين» ! أترى إذا اختص القرآن في شفائه ورحمته بالمؤمنين فما بال غيرهم يؤتّبون ويعذبون ولا يشملهم هدى القرآن؟ رغم انه ﴿هُدَىٰ لِلنَّاسِ

وَبَيْنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿١﴾! ثم الشفاء والرحمة حاصلتان للمؤمنين بالإيمان ، وغيرهم يحتاجونها حتى يحصل الإيمان! والظلم داء عضال فكيف لا يشفيه القرآن.

«المؤمنين» هناك «المتقين» في **﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾** تعني من يتبع الإيمان أصلاً أو مزيداً ، ويتحقق خلاف الإيمان أصلاً أو مزيداً ، فالكافر أيا كان . إذا فتش عن الإيمان ، وكفره قصور وشك مقدس ولما يصل إلى برهان الإيمان . هو هنا من «المؤمنين» فإنه : **﴿هُدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (٢٠٣ : ٧).

واما المتعنت المتمعمد في كفره وظلمه فهو الظالم الذي لا يزيده القرآن إلا خسارا ، وإن كان منسلكا في سلك المسلمين كالمافقين ، ام المؤمنين الضعفاء **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** (١٠٦ : ١٢)

فالقرآن هو منبع الشفاء والرحمة بجاذب الإيمان من نظفت فطرته ولطفت سيرته ، وإن لم يصل قبل الإيمان في القرآن إلى واقع الإيمان .
والظالم نفسه والظالم آيات ربه ، الذي غربت فطرته لا يزيده هذا القرآن إلا خسارا
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (٣ : ٤٠)

ليست الشفاء إلا عن مرض أيا كان في الروح أم في البدن ، ولا الرحمة إلا مزيد قوة بعد نقاهة ، وليس إلا للذين يؤمنون : **﴿فُلُونَ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدَى وَشَفَاءٌ﴾** (٤١ : ٤٤)
مهما خطط بما الناس أجمعون **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٤٠ : ٥٧) فالشفاء هنا وهناك هي الشفاء ، تخلية عن الأمراض ، والرحمة هي الموعظة والهدي تخلية وبخلية للأرواح ، وهي مزيد سلامه للأبدان!
إن القرآن شفاء ورحمة لحد سمي شفاء ورحمة ، شفاء في مثلث الآيات

ورحمة في عشرات : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلَّهُمَّ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) : ﴿هَذَا بِصَائِرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ٢٠٣) ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢ : ١١١) ف «يؤمنون» هنا وهناك تلمح الى معنى «المؤمنين» في آية الشفاء والرحمة ، كما بياناه.

فهو «شفاء» عن أمراض الفطرة والعقل ، ومضايق الصدر وعمى القلب ، عن ظلمات الأفكار ام ماذا؟ وعن أمراض الأبدان ما كان لها شفاء (١) ملن دخل مستشفى القرآن ، فانه «الشفاء الأشفي» ... «من استشفى به شفاء الله» (٢) «شفاء لا تخشى اسقامه» (٣) : «شفاء» ومن ثم «رحمة» ف «إنه هدى من الضلاله وتبيان من العمى واستقالة من العترة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلاكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم» (٤) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٥ ح ٣١٣ طب الائمة قال ابو عبد الله (عليه السلام) ما اشتكي احد من المؤمنين شكایة قط وقال يا خلاص نية ومسح موضع العلة ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسْرًا﴾ الا عوبي من تلك العلة اية علة كانت ومصداق ذلك في الآية حيث يقول ﴿شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ وباستناده الى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : يا بن سنان لا بأس بالرقية والوعادة والتشربة إذا كانت من القرآن ومن لم يشهده القرآن فلا شفاء الله وهل شيء ابلغ في هذه الأشياء من القرآن أليس الله يقول : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٢) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ عن رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) في خطبة مفصلة حول القرآن راجع ج ٣٠ المقدمة من الفرقان.

(٣ ، ٤). نجح البلاغة الخطبة ١٩٣ ص ٢٠٢ . راجع مقدمة الفرقان ج ٣٠ .

«وَأَنَا الشَّفَاءُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ^(١) لِلأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ ، لِلْمُؤْمِنِينَ بِدَرَجَاتِهِمْ ، عَالِيَّةٌ فِي أَئِمَّةِ الْهُدَى^(٢) وَنَازِلَةٌ لِمَنْ ذَاقَ طَعْمًا مِنَ الْإِيمَانِ^(٣) ، فَالشَّفَاءُ وَالرَّحْمَةُ لِكُلِّ قَدْرِ الْإِيمَانِ^{﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾} :

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَتَأَيَّدَ بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤْسَأً﴾(٨٣).

تنديد بنسیان الإنسان نعمة ربها حين ينعم عليه ، ويأسه حين يمسه الشر «والدھر لك يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر» ولكن **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغِي أَنْ رَآهُ اسْتَغْفَنَ﴾**! فحين يترك الإنسان بلا شفاء ولا رحمة يعيش دهره خسارا في يوميه : حيث يسيطر إذا أنعم الله عليه فاعرض ونقا بجانبه ، ويئس حين يمسه الشر ، فمن طبيعة النعمة أنها تطغى وتبطئ ما لم يذكر المنعم واهبها فيحمد ويشكر ، والشر والضر يقمع ويئس ما لم يرجو الله ويأمل ، وهنا لك تتجلى القيمة القمة لشفاء القرآن ورحمته ، او خساره ونقمته ، وكل يعلم على بشاكته.

﴿فُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِئَتُكُمْ أَعْلَمُ مِنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾(٨٤) :

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٢ في ٢١٣ في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : وَأَنَا الشَّفَاءُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ : تَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ . لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ لِأَهْلِهِ لَا شَكٌ فِيهِ وَلَا مُرْيَةٌ وَأَئِمَّةُ الْهُدَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ**﴿مَمْ أَرْبَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**.

(٢) المصدر بنفس السند عنه (عليه السلام) قال : أَنَا الشَّفَاءُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ**﴿مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** لأهله لا شك فيه ولا مريء آه.

«قل» يا رسول المدى «كل» من المؤمن والظالم **يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** متبنياً كلما
يعمله من عمل الإيمان واللا إيمان على شاكلته الخاصة به «فربكم» : أنت العاملون ، الخالق
المدبر لكم **أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدِي سَبِيلًا** حيث الرب يعلم عمل المربوب بشاكلته !

ترى وما هي شاكلة كل عامل يتبعها في عمله تقوى او طغوی؟ مع العلم انها ليست
الشاكلة الصورية؟ الشاكلة صفة لموصوف مذوف فهل هي فطرته؟ وهي لا تختلف فيمن
فطر عليها! ولا تتخلص عما هي عليها!

ولا تتبعها الأعمال إلا من لم يحجب عنها! ثم ولا تكفي حكماً لكل صغيرة وكبيرة ،
فإن لها احكاماً عامة يشتراك فيها كل المفطوريين عليها! ام هي العقلية وال فكرة؟ وهما على
اختلافهما بين العاملين ، لا تكفيان تبنياً للأعمال ، فكثير هؤلاء الذين يعملون اعمالاً
خلاف فكرهم وعقلياتهم!

ام هي مطلق العقيدة التي تتبعها العقلية وال فكرة؟ ورب معتقد بشيء يخالفه في قوله
او عمله ام فيهما؟!

ام هي النية التي تتبنى العقيدة ، ان صالحة فصالحة وإن طالحة فطالحة؟ وكأنها هي
«فالنية هي العمل» حيث العامل الأخير لكل عمل هو النية التي تستتبع الإرادة ثم العمل!
ثم ترى النية الحاصلة من عقيدة وهي حصيلة العقلية وال فكرة ، هل تنتهي إلى سجية
علينية او سجينية هي لزام كل انسان ، إذا فهل الشاكلة الأصلية لكل عامل ، والنية
وعواملها هي كلها حصيلة تلك السجية ، دون تدخل لإرادة العامل؟ وهو جبر في الأعمال
التكليفية ويخالف العقل والنقل وحديث «الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في
بطن امه» مفسراً بعلم الله ، فإنه يعلم من سوف يشقى ويسعد وهو في بطن امه ،

فليست السجية المسيرة هي الشاكلة ، وإنما النية الميسرة وهي حصيلة شاكلة العقيدة الحاصلة عن العقلية وال فكرة ، فان ابتدأت هذه من الفطرة غير المحبوبة وتمشت مع الوحي أنتجت الأعمال الصالحة ، وإن تخلفت بداية في سيرها أنتجت الطالحة ، وإن كانت بين ذلك عوانا خلقت عملا صالحا وآخر سيئا.

فالنية الصالحة هي التي تتبع من الایمان وتتفق سنة الله كما يروى : «لا قول إلا بعمل ولا قول إلا عمل إلا بالنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابة السنة» ^(١).

فنية كل إنسان على جذورها وفروعها هي شاكلة الإنسان وماهيته حيث تشكل عمله ويشكلها عمله ، فانها حصيلة فعلية لطاقاته الروحية كلها ، إذا فالإنسان هو النية كما «ان النية هي العمل» ^(٢) ف «إنما الأفعال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وقد عبرت عنها بالشاكلة لكي تشملها وكل ما تتباين النية وتتبناها في العمل.

ولأن النية هي النبعة الأصلية فالحق يقال «نية المؤمن خير من عمله ونبة الكافر شر من عمله» فللإنسان سبيلان سبيل المدى وسبيل الردى **﴿فَرِبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدِي سَبِيلًا﴾** : شاكلة ، فالسبيل هي الطريقة الشاكلة هدى أو ضلال ، وما العمل إلا صورة بينة عن سيرة وسيرة خفية ، وهي هي الصورة الإنسانية او البهيمية! كما النية هي شاكلة العمل.

(١) الكافي بسانده الى الامام الصادق (عليه السلام).

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢١٤ ح ٢١٧ في اصول الكافي بسانده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : النية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل ثم تلا قوله عز وجل : «فَلَمَّا يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ». يعني على نيته.

وليس الجزء إلّا بالعمل اللهم إلّا في النية الحسنة ولما تصل إلى العمل ام لا يصل عذرا ، فلا عقوبة على النية السيئة خلاف ما يروى^(١) اللهم إلّا على العقائد السيئة فانها من اعمال القلوب.

ولأن الآية تأتي بعد الایمان والظلم الالايمان المختلفان فيمن وجهه إليهم القرآن ، فليكونا عملا يستتبع الشفاء والرحمة او الشقاء والخسار والزحمة ، عملا يتبنى السيرة النية.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلًا﴾(٨٥).

نجد الروح في سائر القرآن . اي روح كان . تذكر في واحد وعشرين موضعا ، يجمعها معنويا : ما به الحياة ، على مختلف درجات الحياة و مجالاتها ، من روح الإنسان : **﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾** (٩٠ : ٣٢) (٢)
وروح الایمان : **﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** (٥٨ : ٢٢)

(١) نور الثقلين ٣ : ٤١٨ ح ٢١٤ على بن ابراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن احمد بن يونس عن أبي هاشم قال : قال ابو عبد الله (عليه السلام) : انما خلد اهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدو فيها ان يعصوا الله ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا فالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى **﴿فَلَمَّا كُلُّ شَيْءٍ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾**.

أقول : قد فصلنا البحث عن الخلود وحدوده في بابه أوائل هذه السورة وفي النبأ ، وهنا أقول ليس المخلدون في النار كلهم على هذه النية ولا المخلدون في الجنة ، والآيات الماحصرة الجزء بالعمل تنافي العقوبة على النية ، وإنما الثواب على النية فمن فضل الله !.

(٢) كما وفي : «**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**» (١٥ : ٣٨ و ٧٢ : ٢٩).

وروح الوحي أيا كان : ﴿يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (٤٠ : ١٥) ﴿بَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٢ : ١٦) من كتاب سماوي وروح قديسي وقد يخص روح القرآن والروح القدسي لرسول القرآن : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَنْفُسِنَا﴾ (٤٢ : ٥٢) ام روح القدس بوجه عام : ﴿فَلَنْ تَرَكُنْ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رِبِّكَ ...﴾ (١٠٢ : ١٦) ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾ (٢ : ٨٧) والروح المتنزل مع الملائكة ليلة القدر والقائم والعاج معهم يوم القيمة : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ...﴾ (٩٧ : ٤) ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ...﴾ (٧٨ : ٣٨) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ...﴾ (٧٠ : ٤).

فالروح . إذا . هو ما به حياة انسانية . ايمانية . حياة الوحي والروح القدسي ، ام حياة منفصلة كالروح الأمين والروح زعيم الملائكة ، فالروح القدسي والوحى هما روح الأرواح المتصلة كما الأخيران همان روح الأرواح المنفصلة ، مهما كان قبل الخمسة روح النبات وروح الحيوان.

وآية الروح . هذه . أعم آياتها تحردا عن قيود ، وأهمها جوابا عن كيانه أيا كان ، فهي الآية الأم دلالة ومدلولا ، وإن كان الروح القدسي وروح القرآن هما القدر المعلوم المتيقن هنا حيث احتفت بـ ﴿وَنَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ ...﴾ و : ﴿لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ! ولكنه لا يخص روح القرآن حيث الفصيح إذا «عن روح القرآن . او عن وحي القرآن» وإنما عناه كما عنىسائر الأرواح من نباتية وإلى قدسية في القمة ، متصلة ومنفصلة ! ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ المضارع ، رغم مضي السؤال تلمح بالأسئلة المستقبلة

طول سني الرسالة الإسلامية ، إضافة إلى الأسئلة الماضية^(١) ، من أي كان في أي زمان وعن أي من الأرواح **﴿عَنِ الرُّوحِ﴾** كجنس يستغرق الأرواح كلها ، ومن أية ناحية حول الروح . فكل سؤال في العهدين : المكي والمدني حول الروح أيا كان في الفترة الرسالية زمن الرسول ، وكل سؤال يطرح في عهد الإمامة او يطرح زمن الغيبة الكبرى والى يوم الدين ، تشمله **﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾** كما و **﴿عَنِ الرُّوحِ﴾** تشمل الأرواح بجنابتها ، اسئلة تضرب إلى اعمق الماضي الرسالي ومستقبله ، فليكن الجواب : **﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾** جوابا عن كل سؤال طرح او يطرح حول اي من الأرواح : هل هي مادية ام مجرد؟ ازلية ام حادثة؟ وعلى حدوثها فمن ذا الذي أحدها وما هي ذاتها وكتنها؟

و **﴿أَمْرِ رَبِّي﴾** هو بين الشيء والفعل و مقابل النهي تكوينيا او تشريعيا ، ولا معنى لـ «من شيء ربی»! فهل شيء ذاته؟ فإشراك! ام من شيء غيره؟ فلما ذا الشيء بدل الفعل ! :

ولا يعني «من فعل ربی» حيث الفعل قد يكون بحاجة الى تدرج

(١) الدر المنشور ٤ : ١٩٩ . اخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذى والنسائى وابن حجر وابن المنذر وابن حبان وابن مرودة وابو نعيم والبيهقي معا في الدلائل عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : كنت امشي مع النبي (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في خرب المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسأله فقلوا : يا محمد! ما الروح؟ فما زال يتوكأ على العسيب وطننت انه يوحى اليه فأنزل الله **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** وأخرجه مثله جماعة من هؤلاء عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه وآلہ وسلم) بزيادة قالوا : أتينا علما كثيرا أتينا التوراة ومن اتي التوراة فقد اتي خيرا كثيرا فأنزل الله : **﴿فَلَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِه مَدَادًا﴾**.

ومعذات قد لا تحصل وليس هكذا فعل ربى ، ولا من أمره التشريعي وان كان هو الوحي ، إذ يصدر بأمر تكويني مهما حمل تشريعيا أم سواه ، إذا فهو الأمر التكويني بمجرد الإرادة بتدرج ام دون تدرج ، فمن أفعاله تعالى ما فيه تدرج لحكمة تتطلبها كتبديل مادة الى اخرى ، ومنها ما لا تدرج فيه كخلق المادة الأولية لا من شيء ، ولا يتصور في إبداعها التدرج ، وخلق الروح الانساني إذ يخلق بعد كمال البدن حصيلة وسلامة عن البدن دون تدرج ، مهما كان من الأرواح الأخرى ما فيها التدرج كروح القرآن المفصل ، واما روح العصمة القدسية وروح الائمان فلا تدرج فيها إلا في مراتبها ، و **﴿أَمْرٌ رَّبِّي﴾** الارادة التكوينية تشمل المتدرجة وغيرها سواء ، فبأمره وإرادته تحصل الأرواح نباتية وحيوانية وانسانية وإيمانية وقدسية متصلة ومنفصلة وروح الوحي ، دون ان يكون للخلق شأن فيها إلا ظرفا يقبل منها لهذا الأمر ، دون ان يكون الأمر لزامه إلا **﴿مِنْ أَمْرٌ رَّبِّي﴾** !

فالروح أيها كان هو من شؤون ربوبيته الخاصة ، مهما كان الجسم متظمرا بفعل الخلق حسب طاقته !

وتلكم الأسئلة الاربعة مضروبة في الأرواح السبعة تصبح ثمانية وعشرين سؤالا ثم و **﴿مِنْ أَمْرٌ رَّبِّي﴾** اجابة جازمة عما سوى اسئلة الكنه والذات ، **﴿مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** يعمها وعدم الاجابة عن الذات .

فعن روح القرآن : الوحي . هل إن كلام الله حادث او قدیم؟ انه **﴿مِنْ أَمْرٌ رَّبِّي﴾** وكل امر ربی حادث فإنه فعله دون ذاته وصفاته.

وهل إنه نتيجة تکامل العقل ، فهو . إذا . يوحى الى صاحبه؟ ام هو عند تمامه وكماله يوحى اليه من ربی ، فهو هناك «من أمرنا» وهنا نتيجة حاصلة عن «أمرنا» وفيهما هو من امر الإنسان مهما اختلفا ، والجواب **﴿مِنْ**

أَمْرِ رَبِّي من فعله وارادته مهما يطلب ظرفاً يناسبه هو كمال العقل وتخلص القلب عن كل كدرة وظلمة ، فهو من فضل ربِّي ببداية وعلى كدح مني ، ثم **﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾** خاتمة : ثم وروح الإنسان حادث بارادة ربِّي . إذا . فمادية ، حيث الأمر الفعل من ربِّي . وهو خلقه . لا يشبهه تجرداً إلهياً ، فليس إلا مادياً مهما كان رقيقاً كأنه تحددي .

الروح مخلوق كما الجسم مخلوق وهو من أصل المادة على اختلافها في الشفافية والكدرة ، ولكنما الجسم في غير المادة الأُولى يخلق تبدلاً على تدرج اللهم إلا في خوارق العادات كقلب العصى حية تسعى ، وأما الروح فهو مخلوق للمح البصر ، اللهم إلا في روح الوحي المفصل كتفصيل الكتاب ، وسائر الأرواح مخلوقة لمح البصر أو هو أقرب ، ولذلك يقيد إلقاءه بـ «من أمره» ووحيه كروح القدس المتصل بقلوب المعصومين «من أمرنا» .

لا يعني الأمر في الروح إيجاد المجرد مقابل الخلق إيجاداً للمادة وكما تقولوا في **﴿أَلَا لَهُ الْخُلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** (٧ : ٥٤) فإنه أمر التدبير بعد الخلق ، فكما له خلق الكون بروحه وجسمه ، كذلك أمر الكون بتدبيره ، ويشهد لذلك الآية نفسها **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيشًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثُّجُومَ مُسَحَّرًا بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخُلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** فان استواءه على عرش الخلق بروحه وجسمه هو أمر التدبير ، فكما له أمر التكوين كذلك له التدبير دونما ندّ له في اي الأمرين .

ولو كان الأمر هو إيجاد المجردات لم يخص تدبيره بالأمر في **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾** (٣ : ١٠) **﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾**

(٣١ : ١٠) بل عَمَّهُ وَخَلَقَ!

ثم ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٤ : ٥٠) قد يعني أمر القيامة ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (٦١ : ٧٧) أم إذا شملت الإرادات التكوينية الإلهية ف «واحدة» تفسرها على سبيل البديل ، فكل خلق لنا واحد حقيقي دوننا حاجة إلى معدات مركبات ، وإنما كلمة «كن» التكوينية!

لنا أدلة من القرآن والسنة والعقل على أن الروح مادية الحدوث والبقاء ، فلا هو مجرد حدوثاً وبقاء ، ولا مجرد بقاء على مادتيه في الحدوث ، وإنما القرآن.

فقد توحى لكون الروح الانساني من عالم المادة ، مهما لطفت لحد لا تبصر ولن . آية الإنشاء : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ حَمَماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٢٣ : ١٤).

ف «الإنسان» لا جسمه فقط او روحه فقط . تلمح كتصريحه أنه مجموعة الإنسان ، وأخرى بروحه ان يعنيه凡ه ما به الإنسان انسان !

هذا الإنسان مخلوق بجزئيه من سلاله من طين كأصل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ في أنساله ، وكما بدء في أصله الاول . آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسَلَةً مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ (٣٢ : ٨) ومفترق الطريق بين الإنسان الاول ونسله ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسَلَةً﴾ و ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ حَمَماً﴾ تبيينا لمراقب خلقه التكامل في جسمه لائحا ، وأما الروح المزج في أصله مع جسمه فلا يلوح منه شيء حتى الآن وإلى ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .

هنا خلق اول بجزئيه من طين ثم نطفة فعلقة فمضغة فعظام مجردة ، فكسونا العظام لاما وفي كل هذه المراحل هو في خلقه الأول ، مهما كان روحه باجزاءه الأولية مندغما في جسمه ولما يظهر ويتبلور باثاره ، فهناك في مراحله الأربع قبل كمال البدن ، ليس البدن والروح إلا بالقوة ومع اكمال البدن يصبح البدن بالفعل والروح فيه بالقوة القريبة الى الفعل ، و ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا هُنْكُمْ حَلْقًا آخَرَ﴾ إظهار للروح الى الفعلية! ﴿حَلْقًا آخَرَ﴾ ليس هو الأول وإنما ذا الإنشاء بعد خلقه ، ولماذا الآخر بعد وجود الاول!

هذا الخلق الآخر ليس هو الاول بعينه ، ولكن من الاول تبديلا له بعضا لا كلاما الى خلق آخر ، حيث البدن الظاهر هو البدن ، فليكن الآخر شيئا منه غير مرئي ، كان كالاول ثم تبدل بذلك الإنشاء سلالة لطيفة منه غير مرئية ، وكما انه في جسمه سلالة السلالات ، ترى وما هو الدليل أنه منه رغم أنه آخر؟.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا﴾ تصريحه بإنشاء مركب ، فلم يقل «ثم انشأنا له خلقا آخر» حتى يكون الروح خلقا آخر يختلف عن البدن تماما ، بانفصال مطلق دون اتصال ذاتي ام ولادي ، حتى يحتمل كونه مجرد عن مادة!

ولأن ﴿أَنْشَأْنَا هُنْكُمْ حَلْقًا آخَرَ﴾ بمعنى خلق البدن كما هو مرة اخرى تحصيلا للحاصل ! وإنما إنشاء للبدن بعد تمامه ، خلقا آخر منه بعضا لا كلاما ، فالخلق الآخر الروح او المركب منه والجسم ، منشأ بعد كمال البدن ، انشاء كسلالة خاصة من البدن ، حتى يصح القول ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا هُنْكُمْ حَلْقًا آخَرَ﴾ ، فكما البدن هو سلالة السلالات ، كذلك الروح سلالة لطيفة من أجزاء بدنية لها صلاحية الإنشاء روحانا دون سواها ، ولعله يعنيه الحديث «انه من الملوك» : حقيقة غير مرئية وسلالة خفية من الجسم فهو من الملك والروح من الملوك! حيث الملوك هي حقيقة الملك ، ومنها ما

هي مع الملك كونا وكيانا ، وهو كل خلق لا يرى ومنه الروح أيا كان ، ومنها ما ينفصل عن الملك كونا وكيانا وهي ما عند الله من حقيقة الإرادة التكوينية ومنها.

فكمما تتسلل سلالة من الوردة هي العطر ثم تمزج بالوردة غير المزج الأول ، فالعطر كان مع الوردة ما كانت وردة ، ثم أخذ عصرا عنها سلالة ، ثم مزج بالوردة ، فالعطر أولا هو الوردة كجزء منها مزيحة ، وثانيا هو خلق آخر مزج في الوردة ، وهنا يصح القول في عطر الوردة : **﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾** وإن كان بين الوردة وعطرها ، والبدن وروحه بون ، حيث

البدن ظاهرا هو البدن قبل تسلل الروح منه وبعده ، دون الوردة!

فآية الإنشاء تجعل الروح سلالة لطيفة من البدن بعد اكتماله ، كما تجعل النطفة سلالة من طين ، وبينهما عوan في السلالات التكاملات ، والروح بأصله مخلوق مع سلالة النطفة من طين ، ولكنما الفعلية الروحية الحية ليست إلا بعد **﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ حَمَّاً﴾** بتراخ كما توحى به «ثم».

فكمما «ثم» في تسلل النطفة من طين تتطلب تراخيها ، كذلك «ثم» في تسلل الروح من البدن ، ومن ثم التكاملات العوان بين ذلك متفرعة على بعض بالفاء ، لا للفصل الزمني فحسب ، بل والفصل في المكانة ، فأين طين ومني يعني سلالة من طين ، ونطفة تجعل في قرار مكين ، ومن ثم أين الخلق الأول من الإنسان المكتمل في الهيكل البدني وأين الخلق الآخر : روحه المتسلل من ذلك الهيكل؟

ومحتملات إنشاء الروح بعد اكتمال البدن كالتالي :

١. انشأه الله لا من شيء كما المادة الأولية؟ ولا يناسبه «أنشأناه» فإنه إنشاء ثان

للبدن ، وليس إنشاء بسيطا للروح لا من شيء!

٢ . أَنْشَأَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ غَيْرَ الْبَدْنَ ، مُجْرِداً إِمَّا مَادَةً؟ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ ! ٣ . أَنْشَأَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ذَاتَهُ سُبْحَانَهُ؟ فَكَذَلِكَ ! إِضَافَةً إِلَى اسْتِحْالَتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَإِنَّ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا «مِنْ شَيْئِهِ الذَّاتِي» ! .

٤ . أَنْشَأَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ بَدْنَهُ ، إِنْشَاءً مَرْكَبًا يَعْنِي تَبْدِيلِ الْبَدْنِ بَعْدِ خَلْقِهِ الْأُولَى خَلْقًا آخَرَ بِتَمَامِهِ؟ وَالْبَدْنُ هُوَ الْبَدْنُ فَأَيْنَ الْآخَرُ؟ !

هَكُذا وَلَكِنَّهُ تَبْدِيلٌ لِأَجْزَاءٍ لَا نَعْلَمُهَا مِنَ الْبَدْنِ إِلَى رُوحٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ لَا كَوْنَهُ قَبْلَ إِنْشَاءِ الثَّانِي فَإِنَّهُ الْخَلْقُ الْأُولُ ، وَإِنَّمَا تَبْدِيلًا لِأَلْطَفِ اجْزَاءِهِ ، إِمَّا تَلْطِيفًا لِمَا يَصْلَحُ إِنْشَاءَهُ رُوحًا ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ ، فَهُوَ إِنْسَانٌ مَنْشَأُهُ خَلْقًا آخَرَ حَيَا يَعْقُلُ ، بَعْدَ مَا انشَأَ خَلْقًا أُولَى مِيتًا لَا يَعْقُلُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي حَيَاةِ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيْوَانِيَّةٍ جَرْثُومِيَّةٍ هُمَا مَعَ النَّطْفَةِ إِلَى الْعَظَامِ وَكَسُوهَا لَحْمًا ، فَمِيزَةُ الْخَلْقِ الْآخَرِ لِيُسْتَ بِذَلِكَ الْبَدْنِ بِرُوحِهِ حَيَوَانًا جَرْثُومِيَّا وَنَبَاتِيَّا ، وَانْمًا بِالرُّوحِ الإِنْسَانِيِّ عَقْلًا وَالرُّوحِ الْحَيْوَانِيِّ لِإِنْسَانٍ .

هَذِهِ آيَةٌ مُحَكَّمةٌ بِيَابَانِ مَكِينَةٍ مَتَبَيَّنَةٍ كَمَا نَفَهُمُ لِكَيَانِ الرُّوحِ ، أَنَّهُ مَنْشَأُ مِنَ الْبَدْنِ بَعْدِ اكْتِمَالِهِ : فَمَنْفَوْخٌ فِيهِ بَعْدِ انْفَسَالِهِ ، كَمَا تَدَلُّ عَلَيْهِ آيَاتُ النَّفَخَةِ ، إِذَا يَنْتَطَلِبُ كَوْنُهُ خَارِجًّا بَدْنَهُ حَتَّى يَصْحُّ نَفَخَتِهِ ، وَآيَةُ إِنْشَاءِ تَحْكُمِ بَخْلُقَهُ مِنَ الْبَدْنِ ، وَنَتْيَاجُ التَّجَاوِبِ بَيْنَهُ وَإِنْشَاءِهِ مِنَ الْبَدْنِ ثُمَّ نَفَخَتِهِ فِيهِ !

هَذَا وَمِنْ ثُمَّ آيَاتُ النَّفَخَةِ^(١) وَالبعضُ مِنْ رَوَايَاتِ الرُّوحِ «إِنَّهُ جَسْمٌ

(١) . فَالَّتِي تَقُولُ «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» تَدَلِّلُنَا عَلَى أَنَّ الرُّوحَ تَمَكَّنَ فِي الْبَدْنِ ، لَا خَارِجَهُ وَلَا دُونَ مَكَانٍ ، وَالْحَجْرُ عَنِ الْجَسْمِ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ ، حِيثُ الْمَكَانُ أَيَا كَانَ مَحْدُودًا وَالْحَجْرُ لَا مَحْدُودٌ ، ثُمَّ الرُّوحُ الْمَاكِنُ فِي الْبَدْنِ لَهُ حَدُودٌ وَابْعَادٌ مُمْثَلٌ مَا لِلْبَدْنِ إِمَّا أَقْلَى وَلَا حَدُودٌ وَابْعَادٌ لِلْحَجْرِ عَنِ الْمَادَةِ .

رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً^(١) «مادته من الدم» ... «ليس لها ثقل ولا وزن»^(٢) : ودليل العقل^(٣) شهود ثلاثة على عدم التجرد المطلق للروح الإنساني ، وإنما تجرد نسيج يعني أنه طاقة عاقلة تبثق من الهيكل الإنساني بعد اكتماله فهو مادي دون تجرد ، سلالة من البدن تدبره وهي حياته كسائر الحياة في نشأة البرزخ والقيمة ، ثم لا نجد ولا إشارة أو تلميحة عن عقل أو كتاب أو سنة أنه مجرد عن المادة إطلاقاً ، بل هو طاقة مادية

(١) نور الثقلين ج ٣ ح ٤٢٣ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل : أخبرني عن السراج . أى قوله . : والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ... قال : فأين الروح؟ قال : في بطن الأرض حيث مصعر البدن إلى وقتبعث قال : فمن صلب أين روحه؟ قال : في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض ، قال : فأخبرني عن الروح غير الدم؟ قال : نعم الروح على ما وصفت لك مادته من الدم ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك ، فإذا جمد الدم فارق الروح البدن ، قال : فهل توصف بخفة وثقل وزن؟ قال : الروح منزلة الريح في الرزق إذا نفخت فيه امتلاً الرزق منها فلا يزيد في وزن الرزق ولو جها فيه ولا ينقصها خروجها منه كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن».

(٢). المجرد في ذاته غني عن موجود أو محوّل ومبدل فلا يخلق وإنما يخلق ، فلو أن الله خلق الروح مجردًا عن المادة ، جاز أن يكون هو أيضًا مخلوقًا ، وعدم جواز المحوّل لذات الله ليس إلا لتجردّه عن مطلق المادة فأذلي غني عنها ، فبحدوث الروح إذا يعني كونه مادياً ، كما أزلته تعني تجراه ، وتجردّه يعني أزلته! ...

وضرورة مجازنة العلة والمعلول ليست إلا في العلة الوالدة حيث تلد المعلول ، أما بتحولها تماماً إلى المعلول أمبعضاً أما ذا ، وأما العلة الحالقة فالضرورة فيها عدم المجازنة حتى يمكن إيجادها الشيء لا من شيء ، والضابطة القائلة «الفاقد للشيء لا يعطيه» ليست إلا في العلة الوالدة ، وأما الضابطة في العلة الحالقة فهي «ان تجد العلة القدرة على إيجاد المعلول لا من شيء او من شيء هو خلقه» وأما ان تجد ذات المعلول في ذاتها فذلك يحيل خالقيها إلى الوالدية!

تساكن بدننا ما وبها حياته ، مادي الولادة ، ومادي البقاء ، ومادي التعلق في مثلث الحياة : وترى هل للروح ثقل وأبعاد ولون أم ماداً كما للجسم؟ لا ريب في أن له كلما للجسم كجسم لا ك أجسام خاصة ، فالروح تشارك سائر المادة في أصل المادة الطاقة ، وتحالفها في الحياة والتعقل أما من شئون فلا هي مادة كسائر المواد ، ولا طاقة كسائر الطاقات ، بل هي طاقة خاصة حية شاعرة عاقلة ، وطبعاً لها أبعاد وثقل وإن لم توزن بما عندنا من ميزان ، ولا تحدّ بما عندنا من مقياسات ، ولأنها لا تحس ولا تلمس ولا تدرك بالحواس الخمس . وما في الحديث ان «ليس لها ثقل ولا وزن» نفي لما عندنا من موازين الثقل والوزن ، فكما ان الريح في الرزق لها وزن ، كذلك الروح في الجسم ، مهما لم نسطع على وزنه! . وفي حديث مجانية الروح للريح تصريح اهتما مثلان في الطاقة المادية والطاقة ، مهما اختلفا في الطاقة العقلية والحيوية ككل! كما وتنبأ آيات النفح ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ .

رُوحِي

- (١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٩ ح ٢١٦ في كتاب التوحيد باسناده الى عبد الحميد الطائي عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كيف هذا النفح؟ فقال : إن الروح متحرك كالريح وإنما سمى روحًا لأنه اشتق اسمه من الريح وإنما أخرجت على لفظ الروح لأن الروح مجنس للريح ، وإنما اضافه إلى نفسه لأنه اصطغها على سائر الأرواح . كما اصطفى بيته من البيوت فقال : «بيتي» وقال رسول من الرسل : «خليلي» وأشار به ذلك وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر .
- وفي ح (٢٣٤) في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده عن محمد بن علي الثاني (الإمام الجواد (عليه السلام)) قال : أقبل أمير المؤمنين ذات يوم ومعه الحسن بن .

فالتجرد المطلق للروح هرطقة مطلقة ، ان تكون مجردة الذات ولادة او بقاء و مجردة التعلق ، كذلك وان الروح هي الهيكل الجسماني او الدم ام ماذا ما يرى ، ويبلوها تجرده في كونه وتعلقه في كيانه ، بل هو طاقة عاقلة متسللة عن البدن ، يدبر البدن ولا يعيش إلا في بدن أي كان من الثلاثة ، اللهم إلا أرواح عالية لا تحتاج الى بدن إلا تجربة وامتحانا.

و **﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّ﴾** بيان لكيان الروح أنه من فعل الله وإرادته في كلمة التكوين «كن» فهو حادث دون تجرد مطلق ، وأما ما هي حقيقته وملكته فلا جواب إلا انه «من الملائكة» وليس الروح إذا تجردي الحدوث والبقاء ، ولا مادي الحدوث تجريدي البقاء ولا عكسه بل هو مادي

علي وسلمان الفارسي وامير المؤمنين (عليه السلام) شك على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على امير المؤمنين (عليه السلام) فرد عليه السلام فجلس ثم قال : يا امير المؤمنين (عليه السلام)! اسألك مسائل الى ان قال في جواب السؤال : اخبرني عن الرجل إذا نام اين تذهب روحه . والمكلف في الجواب الحسن (عليه السلام) : اما ما سألت عنه من امر الإنسان إذا نام اين تذهب روحه؟ فان روحه معلقة بالريح والريح معلقة في الهوى الى وقت ما يتحرك صاحبها للقيقة فإذا اذن الله برد تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهوى فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها وان لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها جذب الهوى الريح وجذبت الروح فلم ترد الى صاحبها إلا الى وقت ما يبعث ...».

وفي الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل وفيه قال السائل : فاخبرني ما جوهر الريح؟ قال : الريح هواء إذا تحرك سمي رحبا فإذا سكن سمي هواء وبه قوام الدنيا ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض ونن وذلك ان الريح منزلة المروحة تذبذب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطهيه فهي منزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن وتحفظ تبارك الله احسن الخالقين».

الحدث والبقاء^(١).

فالقول ان لا جواب في الآية إلّا الالاجواب ، فلأنكم ما أتيتم من العلم إلّا قليلا ، إذ لا تحملونه إلّا قليلا فلا جواب إذا عن الروح ، إنه ليس في شيء من الصواب ، فالالاجواب يكفيه ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾ و ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ جواب ، حيث ينفي كونه امرا مستقلا دون الرب فأزليا مجرد ، ام حادثا بغير امر الرب !.

كما القول : إنما جواب بتجرد الروح ، حيث الأمر يقابل الخلق ، كما ﴿أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ﴾ (٧ : ٥٤) فالامر هو كلمة «كن» في إيجاد المجردات دون تدرج ، والخلق في إيجاد الماديات بتدرج ... ذلك ايضا تأويل عليل خال عن الدليل.

فالقرآن يعبر عن كل حادث بالخلق ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٢٥ : ٢٥) فهل الروح لا شيء ، ام شيء ازلي إلهي ، ام شيء حادث ، والشيئية الحادثة مخلوقة دونما استثناء : ﴿وَ (٢) خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ﴾ (٦ : ١٠٢) ﴿إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ﴾ فكل شيء مخلوق لله ، وما أمره في خلق كل شيء إلّا واحدة. ارادة واحدة . كلمح بالبصر^(٢) خلاف

(١). في الاحتمال الثاني وعكسه تناقض ، فمادة الحدوث يجعل كيانه طاقة مادية ساللة عن البدن ، فكيف إذا بالإمكان انتقاله عن ماديته إلى تجرد ، تحولا لنفيض إلى نفيض آخر ، ام ولاقل تقدير الآن المشترك بين المادة والتجرد وهو آن التتحول هو مجمع النفيضين ، فمهما تكامل الروح ولا يصل إلى حد التجرد وانما يرق ويتلطف أكثر مما كان تقدما في العلم والمعرفة دون طفرة وقفزة من نفيض إلى نفيض !.

(٢) راجع ج ٢٧ ص ٥٠٣ تفسير الآية «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ».

كل أمر ومريد سوى الله ، حيث يحتاج في تحقيق مراده الى مقدمات قد لا يقدر عليها ، او تحتاج الى مضي زمن ام ماذا ، ولكن الله ليس أمره إذا يأمر إلا واحدة. ارادة واحدة لكل وحدة خلقية ، دون حاجة الى معدات اخرى.

فـ **﴿أَمْرٌ رَّبِّي﴾** يعني فيما يعني : أن الروح «خلق من خلق الله ، وانه يزيد في الخلق ما يشاء» ^(١).

واية الخلق والأمر لا تعني الا إيجاد الكون وتدبيره انما من الله ، لا أنه الخالق والمدبر غيره ، او انه المدبر والخالق غيره وكما تبينه الآية نفسها.

فعالم الخلق هو الارادة التكوينية لاي شيء مكون ، وعالم الأمر هو الإرادة التدبيرية لاي مكون ، دون تفلت وتختلف هنا وهناك.

ان تفسير الأمر بإيجاد المجردات تنافي اللغة والآيات ، فالامر شيء وفعل و مقابل النهي ، فـ **﴿فُلِّ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَّبِّي﴾** لا يعني انه من شيء ربى ، انه جزء من الشيئية الربوبية ، وانما من فعل ربى ورادته ، كما ان العالم كله من فعله ورادته ، سواء كان متدرج الكون ام دفعي الكون ، فالمادة الاولية دفعية الوجود ، وغير الاولية منها دفعية ومنها تدريجية ، وتفسير الأمر التكوين للله بانه كلمح البصر او اقرب لا يعني إيجاد المجردات ، وانما الإيجاد اي إيجاد ، فلا تدرج في حصول مرادات الله ، مهما نرى تدرجا في خلق الله! فـ **﴿إِنَّا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ : فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** (٣٦) .^(٨٣)

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٢٥ ح ٢١٥ في تفسير العياشي عن زراة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوْحِ فُلِّ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَّبِّي» قال : خلق ...

هنا ملك وهنا لك ملوكوت ، والملك هو الظاهر من كل شيء ، والملوكوت هي حقيقة ملكه وتعلقه بالله وهي كلمة «كن» التكوينية ، فكما ان لكل شيء ملكا كذلك له ملوكوت ، ملكه ظاهر وملوكاته باطن :

او ان الكون ينقسم الى ملك هو الظاهر كالجسم ، والى ملوكوت هو الباطن كالروح .
ام ان المعنيين هما معنيان فالروح من عالم الملوكوت أيا كان ، ولها ملوكوت هو حقيقة التعلق بالله .

وهنا ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ تفسير «من روحي» في آياتها ^(١) أن «من» هنا لك نشووية لا جنسية ، فليست الروح جزء من ذات الله ولا متولدة منها إذ ليس للرب روح وجسم حتى يكون الروح من روحه ، وإنما ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ : فعله وإنشاءه !
هذا روح الإنسان ومن ثم روح الإيمان ^(٢) فإن كتبه وتأييده من الله مهما

(١) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَجَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (٣٢ : ٩) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٣٨ : ٧٢) و (١٥ : ٢٩)

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْبَمْ وَرُوحُ مِنْهُ﴾ (٤ : ١٧١). فالروح أيا كان هو من أمر الله وليس من ذاته .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٦ و ٤ تفسير العياشي حمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) عن قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قالا : ان الله تبارك وتعالى احد صمد والصمد الشيء الذي ليس له جوف ، فانما الروح خلق من خلقه بصر وقوة وتأييد يجعله في قلوب المؤمنين والرسل .

وفيه عن اصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن أبي أيوب الخنجر عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال : خلق أعظم من جبريل وميكائيل لم يكن مع احد من مضى غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهو مع الأئمة يسدهم وليس كلما طلب وجد .

كانت عقيدته وعمله في البداية من الإنسان : ﴿أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِعْيَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (٥١ : ٢٢).

كذلك روح العصمة القدسية ^(١) روح الوحي : «وكذلك أوحينا إليك روها من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا اليمان ، ولكن جعلناه نوراً هدي به من نشاء من عبادنا (٤٢ : ٥٢) ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١٦ : ٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنَذِّرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ (٤٠ : ١٥) ^(٢).

وكذلك الروح الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٢٦ : ١٩٤) وهو روح القدس ﴿فَلَمْ يَرَهُ إِلَّا رُوحًا حَمِيمًا مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (١٦ : ١٠٢) ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧ : ١٩) ومن ثم «الروح» زعيم الملائكة وليس منهم : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٩٧ : ١٤) ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٧٨ : ٣٧) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (٧٠ : ٤). وكل هذه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ .

ففي وحي الرسالة الحمدية يتنزل الروح الأمين من أمر الله بأمر الله ، وعلى روح الرسول الأمين من أمر الله بأمر الله ، بالروح القدسي الرسالي من أمر الله بأمر الله ، وبالروح الوحي القرآني من أمر الله بأمر الله ، أرواح أربع كلها «من امر ربى وبأمر ربى» كونا وكيانا وزنولا ونازلا ومنزا :

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع لتفصيل آخر عن الروحين وسواهما إلى سورة الشورى عند الآية «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا» وكذلك سورة القدر.

فالروح القدسي الرسالي الحمدي بوحيتها هي روح الأرواح كلها ، وسائل الأرواح أبدان لها ، من سفلية هو روح الإنسان ومن علوى هو روح الرسالات غيرها وبينهما متوسطات عوائـ.

تلكم الروح القدسية في محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والحمديين من عترته أعظم من جبريل وميكائيل ومن الروح زعيم الملائكة وهي كسائل الأرواح من أمر الله دون سواه .
 ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

هنا مثلث من الاحتمالات في مخاطب ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾ انهم هم المشركون ام السائلون عن الروح أم العقلاء اجمع ، ثم العلم قد يعني العلم المطلق ، واخرى مطلق العلم وحيا او سواه . وثالثة العلم بحقائق الأشياء ، ثم قليلا قد يعني قليلا من العلم واخرى قليلا منكم ، فمجموعه المحتملات ثمانية عشر ، قد تعنيها الآية كلها ، على مراتبها في درجاتها اديبا ومعنويا ! وقد تصدق بعضها روائيا .

فهم «الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمشابهة فيما جهلوا به فلذلك قال ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس له شبه ولا مثل ولا عدل» ^(١) فتعالى ان تكون الروح شيئا من ذاته المقدسة كما يهرفه الخارجون ويكتذبه العارفون .
 وهو الخلق أجمعون ف «لم يؤت من العلم إلا أناس يسير فقال ﴿وَمَا

(١) نور الثقلين ح ٤٣٩ كتاب التوحيد بسانده الى حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) حديث طويل يقول فيه «ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم منهم .

أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾

فـ«قليلًا» من العلم قلة في قلة في قلة أوطها العالمون اجمع مهما كان نصيب اصحاب الوحي على مراتبهم أوفى ثم من يليهم ، و «قليل» أتوا قلة واحدة هي «من العلم المطلق» هم رحالات الوحي وأضراهم ، إذ لم يتوانا على علاّهم إلّا قليلاً من علم الغيب ، مهما كان كثيراً وجاه الآخرين ، فانه قليل وجاه رب العالمين «وما أُوتِيْتُمْ كثِيرٌ فِيكُمْ قَلِيلٌ عِنْدَ اللَّهِ» ^(٢).

فأين هذه القلة القليلة من العلم والنيل من حقيقة الروح كما الله يعلم ، وقد يعلم من حقيقتها أولياء الخصوص بعضاً لا كلام ، حيث العلم المطلق بحقيقة شيء هو القدرة المطلقة على إبداعها ، و **﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾**? ثم لا يعلم هذه القلة سائر الخلق ، وإنما يعلمون بما

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٣٨ ح ٢١٩ تفسير العياشي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر (ع) في قول الله **﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** قال : تفسيرها في الباطن انه لم يؤت العلم الا أناس يسير فقال : **﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** «منكم» أقول وقليلًا في نصبهما استثناء عن العلم ورفعها استثناء عن ضمير الجمع في **﴿مَا أُوتِيْتُمْ﴾** ويجوز ان يرادا معاً واللفظ منصوب لرجاحة احتماله على الآخر.

(٢) المصدر ح ٤٣٧ تفسير القمي ان اليهود سألوا رسول الله (ص) عن الروح فقال **﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾** **﴿وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** قالوا : نحن خاصة؟ قال : بل الناس عامة ، قالوا : فكيف يجتمع هذان يا محمد! تزعم انك لم تؤت من العلم الا قليلاً ولقد أتيت القرآن وأتينا التوراة وقد قرأت **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾** وهي التورات **﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾** فأنزل الله تبارك وتعالى **﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٍ وَالنَّحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِ سَبْعَةِ أَنْجُو ما نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾** يقول : علم الله اكبر من ذلك وما أُوتِتُمْ كثِيرٌ فِيكُمْ قَلِيلٌ عند الله.

اوحى الله مثلا من علم الروح كما تفيده ﴿قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ حدوثاً ومادية في كونه وانه ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ في كيانه.

فإذ لا علم بالروح إلا قليلا للأقلين ثم القليلين فبآخرى لا طاقة لخلقه وتحصيله لأحد من العالمين ! فما الروح أيا كان ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ! ويروى «لقد قبض الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) وما يعلم الروح»^(١) بحقيقةه أيا كان ، اللهم إلا قليلا ، وله في وحيه مثلث الروح : متزلا هو روح العصمة في قلبه ، ومتزلا به هو روح القدس جبريل ام الروح عظيم الملائكة ، ومتزلا هو روح الوحي قرآننا وسواه من وحي .

وكمثال على عدم استقلاله (صلى الله عليه وآلها وسلم) على مكانته العليا ، في تحصيل الروح أيا كان ، من وحي وروح العصمة القدسية ، يتهده ربه خطابا يا ياك اعني واسمعي يا جارة ، ان ليس الوحي ومثله حصيلة كمال العقل ونبوغه (وحي العقل) ولا ان ذلك علة تامة في حصوله لكي تقتضي بقاءه على اية حال ، وإنما هو أمر من أمر الرب يهبه من يشاء ويصرفه عنمن يشاء : ولعن ...

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا. إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٦).

لو ان هذه الروح او تلك كان من أمرك ككل أمر منك ، فلا تذهب إذا عنك ، حيث الاستقلال في الحصول على شيء يمنع الاستغلال في الذهاب به دون خيره المستقل .

رغم أننا ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من روح قدسية ومن وحي ...

لقد شاء الله ان يختبئ الوحي عن رسوله لفترة قصيرة لحكم شتى ،

(١) الدر المنشور ٤ : ٢٠٠ . اخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ عن عبد الله بن بريدة قال .

منها التبيين انه من امر الله لا من أمره دون ودع ولا قلى : ﴿مَا وَدَعَكَ رِبُّكَ وَمَا قَلَى ...﴾ ولئن شاء لذهب بكل الذي اوحى اليه من روح النبوة والوحي ولكنه لا يشاء حيث اصطفاه برسالته على علم.

فربه هو يقرره وحيه وهو الذي يبقيه ولا ينسيه ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسِي﴾ وهو الذي يسدده دوما حتى لا يكاد يرکن الى غيره ولو شيئاً قليلاً ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبَشَّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا﴾ إذا فـ ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ لا أمري فضلا عن غيري !

إن الروح الأمين هو من أمره وينزل بالروح إليك من أمره ، فليس هنا وهناك في امر الوحي إلا أمره لا سواه.

إنه تعالى لا يريد ولن ان يذهب بالذى اوحى اليه «وقد يعلم ما لا يريد ابدا»^(١)

«وان كان قادرا على ما لا يريد ابدا»^(٢).

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٤٠ ح ٢١٩ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا (ع) مع سليمان المروزي حديث طويل وفيه قال الرضا (ع): يا جاهل فإذا علم الشيء فقد اراده؟ قال سليمان : اجل . قال : فإذا لم يرده لم يعلمه؟ قال سليمان : اجل ، قال : من اين قلت ذاك وما الدليل ان ارادته علمه وقد يعلم ما لا يريد ابدا وذلك قوله : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو يعلم كيف يذهب ولا يذهب به ابدا؟ قال سليمان : لأنه قد فرغ من الأمر فليس يريد فيه شيئاً ، قال الرضا (ع) : هذا قول اليهود فكيف قال : ادعوني استجيب لكم «قال سليمان : انا عنى بذلك انه قادر عليه ، قال : أفيعد ما لا يفي به؟ قال ﴿يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وقال عز وجل : يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده علم الكتاب وقد فرغ من الأمر؟ فلم يحر جوابا وفي كتاب التوحيد مثله سواء.

(٢) المصدر ح ٤٤١ في كتاب الاجتماع للطبرسي عن الرضا (ع) حديث طويل وفي آخره قال سليمان ان الارادة هي القدرة ، قال الرضا (ع) وهو يقدر على ما لا يريد ابدا لا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فلو كانت الارادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به بقدراته ، فانقطع سليمان ...

وفيما لو ذهب بالذى اوحى اليه من روح النبوة او روح الوحي ﴿لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ توكله او يتوكلا عنك في استرجاعه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ﴾ هي الوكيل لك لا سواها ف «إن الله غالب على أمره» والروح من أمره! ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ كما استمر في وحيه عليك بعد انقطاعه ردها من الزمن دون وعد ولا قلى.

واما انقطاعه لوعد او قلى حيث هما في خيانة الرسالة لا سواها : ﴿وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ فانه انقطاع دائم لا رجوع فيه ولا رحمة تعترى به : ﴿لَا حَدَّنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنَ﴾ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ... ﴿٦٩ : ٤٦﴾ ! ولكنه ليس بالذى يخون في رسالته او يزيف^(١) او يخطر بخلده ، وليس الله ليبعث من يخون.

وحين يتهدى ربنا رسوله بذهاب ما اوحى إليه لو زاغ ، فهل يشمل ذلك التهديد الأمة الاسلامية ان يذهب بالقرآن من بينهم وحتى من صدورهم إذا خانوا وزاغوا وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله

(١) الدر المنشور ٤ : ٢٠٠ . اخرج الحكيم الترمذى عن ابن عباس قال لما قدم وفد اليمن على رسول الله (ص) فقالوا : أبىت اللعن؟ فقال رسول الله (ص) سبحان الله ابا يقال هذا للملك ولست ملكا أنا محمد بن عبد الله! فقالوا : انا لا ندعوك باسمك . قال : فانا ابو القاسم ، فقالوا : يا أبو القاسم انا قد خبأنا لك خبيعا . فقال : سبحان الله ابا يفعل هذا بالكافر والكافر والكهنة في النار فقال أحدهم فمن يشهد لك انك رسول الله فضرب بيده الى حفته حصا فأخذها فقال : هذا يشهد اني رسول الله ، فسبّح في يده فقلن نشهد انك رسول الله فقالوا : أسمعنا بعض ما انزل عليك فقرء والصفات صفا حتى انتهى الى قوله : فاتبعه شهاب ثاقب ، فانه لساكن ما ينبض منه عرق وان دموعه لتسقيه الى لحيته فقالوا : انا نراك تبكي امن خوف الذي بعثك تبكي؟ قال : بل من خوف الذي بعثني ابكي ، انه بعثني على طريق مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم قرأ ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ .

وسلم) : «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك ، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله . فنحن نقولها»^(١) . او يأتي «على الناس زمان يرسل الى القرآن ويرفع من الأرض»^(٢) او «ينسج من القلوب والمصاحف»^(٣) «فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية»^(٤) او «لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن»^(٥) .

وترى ما هو الذنب الذي به يرفع القرآن؟ هل هو الكتب التي يكتبوها مع كتاب الله

^(٦) ومؤيد القرآن منه وشارحه من سنة ام ماذا يسانده ، ومخالفه منه يعرض على الحائط وكما في أحاديث العرض ، اللهم إلا ان يعني الكتب التي تحمل القرآن منسيا!

(١) المصدر ١ .٢ . اخرج الحاكم وصححه البيهقي عن حذيفة قال قال رسول الله (ص) ...

(٢) المصدر اخرج ابن عدي عن أبي هريرة عن النبي (ص) ...

(٣) المصدر . اخرج الديلمي في مسنن الفردوس عن معاذ بن جبل قال : خرج علينا رسول الله (ص) فقال : اطيعوني ما دمت بين أظهركم فإذا ذهبت فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه فإنه سيأتي على الناس زمان ...

(٤) المصدر . اخرج ابو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن حذيفة وأبي هريرة قالا قال رسول الله (ص) يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح.

(٥) المصدر اخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله (ص) لا تقوم الساعة.

(٦) المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر قالا خطب رسول الله (ص) فقال : ايها الناس ما هذه الكتب التي بلغني انكم تكتبونها مع كتاب الله يوشك ان يغضب الله لكتابه فيسري عليه ليلا لا يترك في قلب لا ورق منه حرف الا ذهب به فقيل يا رسول الله (ص) فكيف بالمؤمنين والمؤمنات قال : من أراد الله به خيرا أبقى في قلبه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

أم إن رفعه يعني رفع علومه وتطبيق احكامه؟^(١) وهو واقع في امة اتخذت هذا القرآن مهجورا ، وقد يعنيه انسياخه عن القلوب حيث تقلب عنه وعن المصاحف حين تحجر تفقها وتعلما أم وقراءة.

وفي الحق ان القرآن منذ بعيد زمن منسبخ مرفوع عن ارض الإسلام وعن القلوب وحتى عن الحوزات العلمية ، فدرسه مندرس ، وآياته لا تدرس ، ومن أقبل الى درسه يرفض او يتهم بالجهالة والباطلة وإلا فلما ذا القرآن؟ وهنا لك كتب علمية عميقة هي التي تشكل علوم الحوزات وتنصب أعلامها! كما يهرفه المارفون!

وأما ان يرفع القرآن عن بكرته. فلا يوجد لمتحري الحق ، فهذا رفع للحججة عن المؤمنين به والكافرين ، وثم إذا استحق العصاة رفعه بما ذنب المؤمنين ألا يبقى لهم منه إلّا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؟! ولا تنهض الآية برفع القرآن إلّا الرسول تدليلا على ان الروح : القرآن وسواه ، إنما هو من امر الله لا سواه ، وفي التي تنهض الرسول أخذنا باليمين لو تقول على الله بعض الأقوایل ، تدليل على عصمة القرآن وانه حجة بالغة على المكلفين ، ثم لا تجد تصريحة ولا تلویحة تحدد العصاة برفع القرآن. إلّا ان هذه الشفاء والرحمة للمؤمنين لا تزيد الظالمين إلّا خسارا ، ومن ثم فالفضل الكبير للرسول هو للمؤمنين دونما انقطاع : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧ : ٣٣) او يعقل انقسام القرآن في كونه بين المؤمنين فكائين وبين غير المؤمنين فغير كائين ، اللهم إلّا في شفاءه ورحمته.

ذلك الروح القرآن كسواه من أرواح «من امر بي» لا سواه ، فلو تعاضد الانس والجبن . وأنت معهم دون وهي . لن يأتوا بمثل هذا القرآن!

(١) كما أخرجه محمد بن نصر عن الليث بن سعد قال : إنما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب ويكتبون عليها ويتركون القرآن.

كما لن يحيط بعلمه رحمة ظاهرة كالقرآن أم خفية كروح الإنسان أو القدسي الرسالي أم ماذا؟ :

﴿فَلَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ طَهِيرًا﴾^(١). (٨٨)

ومثل المتحدى فيه ليس فقط القرآن كله ، وإن كان أعضله ، بل وببعضه ما يسمى قرآن كسوة مثل الكوثر ، أم آية تامة ، حيث الآية الإلهية هي الدالة بنفسها على أنها إلهية ، وكل جملة من القرآن آية فالتحدي بإثبات المثل تشمله كما تشمل سورة وعشراً وإلى كلها . كما الماثلة المتحدى فيها تعم جنبي اللفظ والمعنى ، فإنه القرآن فيهما ، وليس كلهم عرباً يتحدثون به لفظياً.

وطالما حاول الناكرون أن يأتوا بمثله فرجعوا خاسرين ، **﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ طَهِيرًا﴾** بعض من الإنس مع أنسه^(٢) ، وبعض من الجن مع جنه ، أم انس مع جن ، ولو تظاهروا طول الزمان وعرض

(١) راجع تفسير الآية **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مَا نَرَلَنَا عَلَى عَبْدِنَا ...﴾** في البقرة. تجد فيه بحثاً فاصلاً عن اعجاز القرآن.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٢٠ ح ٤٤ في الخرائج والجرائح في أعمال أبي عبد الله (ع) ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدهريات اتفقوا على أن يعارض كل واحد منهم ربع القرآن وكانوا يمكرون وعاهدوا على أن يجتمعوا بمعارضة في العام القابل فلما حل الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم قال أحدهم : ألم رأيت قوله : **﴿يَا أَرْضُ ابْنَاعِي مَاءُكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ﴾** كنفت عن المعارضة ، وقال الآخر : وكذا أنا لما وجدت قوله : فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً «أليس من المعارضة ، وكانوا يسترون ذلك إذ مر عليهم الصادق (ع) فالافتت إليهم وقرأ عليهم **﴿فَلَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾** فبهتوا.

المكان ، ولو كرسوا طاقاتهم كلها ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ أفليس إذا الروح القرآن من امر الله لا سواه ^(١).

وقد تلمح الآية بامكانية اجتماع الانس والجن ، وإن أحالت ان يأتيوا بنتيجة الاجتماع بمثله ، فلو استحال الاجتماع لم يكن هناك تحدّ ، وإنما تحيل ما بالإمكان توفر وسائله لا المستحيل بداية ونهاية !

وترى هذا الانس عرفنا عيّهم عن الإتيان بمثله حتى الآن ، فكيف لنا التعرف الى عي الجن في هكذا إتيان؟.

نقول : لأن الإنسان مخلوق في احسن تقويم فلا احسن منه أيا كان ، فعدم إتيانه بمثله دليل على عدم الإتيان من في مستوى ، فضلا عن الجن الذي هو ادنى من الإنسان! ثم لو كان للجن مثله لعارضوا القرآن بواسطة إخواهم من الانس ولما ولن! ثم والحكمة الهدایة الإلهية قاضية ان لو كان بإمكان الجن الإتيان بمثله لوجب إظهاره للإنسان كما للجان حتى يتبيّن التدجّيل في هذا القيل ، ولما ولن!

ان معجزة القرآن كافية لكل انس وجان في اي حقل من الحقول واي عقل من العقول من القوى السمع وهو شهيد ﴿أَوْلَمْ يَكُنْهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً وَدِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ بَيْنَنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٩ : ٥٢) والشهادة الإلهية ظاهرة في

(١) الدر المثور ٤ : ٣٠٣ . اخرج ابن إسحاق وابن حجرية ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال أتى رسول الله (ص) محمود بن سيحان ونعيمان بن اصماد ومحزئ بن عمرو سلام بن مشكم فقالوا : يا محمد! هذا الذي جئت به حق من عند الله فانا لا نراه متناسقا كما تتناسق التوراة فقال لهم : اما والله لتعرفون انه من عند الله قالوا : انا نجئوك بمثل ما تأتي به فأنزل الله ﴿فَلَمْ يَأْتِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ﴾ الآية»

خلوا من الخلود في حجتها ، ام خلوا من حجة :

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩).

التصريف هو التكرار والمثل هو مواصفة المقصود بما يمثله ويقربه من الأفهام ، والله يكرر الأمثال في ضربها دون تضارب ، يضرب الأمثال تصريحاً لمازيد الانتباه ، دون إبقاء على مثل لتمثيل الحق المرام تقريباً للأفهام إلا وهو ضاربها مصرياً إليها **﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾** : كفراناً بالأمثال وكفراً باللمثلات **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾** ! والاكثريه الكفور في مثلث الكفران بعد ايمان في ترك من شروط الایمان ، ام نكران بعد ايقان **﴿وَجَحَدُوا إِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ﴾** وهو اعمق الكفر ، ام تباعد عن ايات الایمان كمن **﴿جَعَلُوا أَصْبَاعَهُمْ فِي آذَنِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾** كيلا يثبت لهم الحق مخافة ان يؤمنوا به وهو أحمق الكفر **﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾** عن اتجاه الى الحقائق القرآنية بأمثالها «إلا كفورا» في زاوية من هذه الثالث : هكذا قصرروا في إدراكهم فقصرت عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنية تعندا وتعنتا . فأخذدوا يتطلبون خوارق مادية في حسابهم ، متعنتين في اقتراحاتهم بكل طفولة ما لا يعنيهم . ام ويفغويهم ، او يتبعجرون في ذات الألوهية دون ادب ولا تخرج ، لم ينفعهم او يفهمهم تصريف القرآن من كل الأمثال . :

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخِيلٍ وَعِنْبٍ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَبِيَلًا (٩٢). أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُحْبُوفٍ أَوْ تَرْقِي فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيقٍ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ

سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩﴾ .

اربعة عشر شخصا من صناديد قريش يطالبون الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بسبعين من المعجزات في زعمهم ^(١). بعد معجزة القرآن . وان هي إلا هرطقات هارفة ، خلوا عن اية حجة لو جاء بها ، ام فيها حجة ضئيلة أمام القرآن ، هؤلاء الجهنميون يتطلبون في تعنت وتزمر هذه السبعة من أبواب الجحيم ، والقرآن فاتح للعلميين أبواب الجنة والنعيم !

(١) الدر المنشور ٤ : ٣٠٣ . اخرج ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلان من بيبي عبد الدار وأبا البختري أخا بيبي اسد والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن بيبي أممية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحاجاج السهميين اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابتعثوا الى محمد وكلموه وخاصصوه حتى تذدرروا فيه فبعثوا اليه ان اشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فجاءهم رسول الله (ص) سريعا وهو يظن ائمهم قد بدأ لهم في امره بدء وكان عليهم حريضا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد انا قد بعثنا إليك لتعذرنا وانا والله ما نعلم رجالا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيح الا وقد جئتكم فيما بيننا وبينك فان كنت انا جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انا تطلب الشرف فيما سودناك علينا وان تزيد ملكنا ملكنا علينا وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك و كانوا يسمعون النابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلك اموالنا في طلب طلب حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال رسول الله (ص). ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا فيئكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله إليكم رسولا ونزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونديرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيبي وبينكم . : أقول : وما وصل امره الى هنا اقتربوا عليه مطاليب لهم مادية تخسيوها معجزات ، تذكر الآيات أمها تها السبع كالسبعين أبواب الجحيم.

وفي الحق ان هؤلاء الحماقي الطغاة ما تطلّبوا هذه السبعة وأضرابها طلبا للحجّة ووصولا الى الحجّة ، وإنما إفحاما على الرسول فيما تعنتوا حيث يقول قادتهم «لقد استفحتم أمر محمد وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكّيته وتوبّيخته والإحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره فلعله ينزع عما هو فيه من غيه وباطله وترده وطغيانه ، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر»^(١).

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٤٦ ح ٢٢١ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) قال : قلت لأبي علي بن محمد (ع) هل كان رسول الله (ص) ياظر اليهود والمرشكين إذا عابوه ويحاجهم؟ قال : مرارا كثيرة . إن رسول الله (ص) كان قاعدا ذات يوم بمكة بفضاء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وابو البختياني بن هشام وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهيمي وعبد الله بن امية المخزومي وكان معهم جمّع من يليهم كثير ورسول الله (ص) في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله امره ونبيه فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحتم امر محمد ... قال ابو جهل : فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن امية المخزومي ، انا الى ذلك ، أما ترضاني له قرنا حسبيا ومجادلا كفيما؟ قال ابو جهل : بلى . فاتوه بأجمعهم فابتدا عبد الله بن امية المخزومي فقال : يا محمد! لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالا هائلا! زعمت انك رسول رب العالمين وما ينبغي لرب العالمين وخلق الخلق أجمعين ان يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا يأكل كما نأكل ويمشي في الأسواق كما نمشي ، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولا الا كثير مال عظيم حال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعيبد وخدام ، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده ، ولو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك ونشاهده ، بل لو أراد الله ان يبعث إلينا لكان انا يبعث إلينا ملكا لا بشرا مثلنا ، ما أنت يا محمد الا مسحور ولستبني.

فقال رسول الله (ص) هل بقي من كلامك شيء؟ قال : بلى . لو أراد الله ان يبعث إلينا رسولا لبعث اجل من فيما بيننا مالا وأحسنه حالا ، فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم ان الله أنزله عليك وابتغلت به رسولا على رجل من القرطين عظيم : اما الوليد بن المغيرة بمكة واما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال رسول الله (ص) هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله! فقال : بلى : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ...

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْجُرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠).

باب اولى من سبعهم «تفجير ينبع لهم من الأرض» ... و «لن» تصريحه قاطعة منهم ان ايامهم للرسول مستحيل على ضوء القرآن العظيم وهو الشهيد الكافي إلهيا على رسالته ، فاستحالة اليمان على هذه الأضواء والبصائر الكافية لمحري الحق تحيله في تحقيق متطلباتهم لو أمكنت وصلحت أكثر من بصائر القرآن!

فلو ان الشمس لا تضيء لهم عن ظلماتهم ، فهل ان القمر وأخفى منه نورا او ما لا

نور له ، هل ان هذه تضيء لهم؟

انهم في قوله «لن» أحالوا ايامهم له على اية حال ، فلو لم يكن في متطلباتهم محال ، ام استجيبوا في التي تمكن على اية حال ، ما كانوا ليؤمنوا كما بدأوا به المقال ﴿وَقَالُوا لَنْ﴾ ...

إذا إلتحابتهم في هذه السبع غلطة رسالية فيما أمكنت ، إغراء بجهلهم في غير الحارقة المعجزة ، وإبقاء على كفرهم في إلحة الحارقة حيث هي ادنى من معجزة القرآن التي أحالوا ايامهم على ضوءه ... ومن ثم يبقى المستحيل رادعا عن ايامهم حيث الإلحة فيه مستحيلة ، حتى ولو استجيبوا في مكناته خارقة وغير خارقة.

إذا فهذه السبع في مجموعاتها هرطقات هراء وربنا في رسالته منها براء! حيث تركوا وتغافلوا عن آماد بعيدة من معجزة القرآن الخالدة ، واخلدوا الى أهوائهم المتطفلة الباردة الماردة ، طلبا لآجن ماجن^(١) بعد ما أضاء عليهم معجز مakan.

(١). فانك اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته ورسول الله يرتفع من ان يغتنم جهل الجاهلين ويحتاج عليهم بما لا حجة فيه. ومنها ما لو جاءك به لكن معه هلاكك. وانما يوثق بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله اليمان بما لا .

ترى وما هو المعنى من تفجير الأرض ينبعوا؟ أينبوعا بمكة هذه ، فانها ذات أحجار
وعرة وجبار ، تكسح ارضها وتحفرها وتجري منها العيون فإنما الى ذلك محتاجون»؟
فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله ، لو فعلت هذا كنت من اجل هذانبيا؟
لا! .

أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين ، اما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها
وذلكتها وكسحتها وأجريت فيها عيونا استتبطتها؟ بلـ! وهل لك فيها نظـاء؟ بلـ! ...
فصرت بذلك أنت وهم أنبياء؟ لا! ... فكذلك لا يصـير هذا حجـة لـحمد (صـلـى الله عليه
وآلـه وسلـمـ) لو فعلـت على نبوـته ، فـما هو إـلا كـقولـك : لن نـؤمن لك حتى تـقوم وتمـشي على
الأـرض او حتى تـأكل الطـعام كما يـأكل النـاس ! (١).

فتـفجير الأـرض يـنبعـا ، إـظهـارـا لما خـفي تحتـه من مـاء لا يـحتاج إـلى معـجزـة رسـالـية ،
وإنـما عمـارة اـرضـية ، اـمـ هـندـسـة تحتـ الأـرضـية ، أـفـكـلـ مـعـمـارـ او مـهـنـدـسـ . إـذـا . هو من
الأنـبيـاء؟.

وإـذا يـعنـي منه تـفـجـرـا بـتفـجـرـ الإـرـادـة الـخـارـقة ، دونـ أـيـة وـسـائـل ظـاهـرـية ، فـتـرى انـ تـفـجـرـ
الـقـلـوبـ المـيـتـةـ بـمـيـاهـ الـمـعـرـفـةـ الـقـرـآنـيـةـ أـرـقـىـ خـارـقةـ وـأـنـبـلـ ، اـمـ

. ليـهـلـكـواـ بـهـا ، فـانـماـ اـقـتـرـحتـ هـلـاكـ وـربـ الـعـالـمـينـ اـرـحـمـ بـعـبـادـهـ وـاعـلـمـ بـمـاصـلـحـهـمـ منـ انـ يـهـلـكـهـمـ كـماـ يـقـتـرـحـونـ ،
وـمـنـهاـ اـحـالـ الذـيـ لاـ يـصـحـ وـلـاـ يـجـوزـ كـوـنـهـ وـرـسـولـ رـبـ الـعـالـمـينـ يـعـرـفـ ذـلـكـ وـيـقـطـعـ مـعـاذـيرـكـ وـيـضـيقـ عـلـيـكـ سـيـلـ
مـخـالـفـتـهـ وـيـلـجـئـكـ بـمـحـجـجـ اللـهـ اـلـىـ تـصـدـيقـهـ حـتـىـ لاـ يـكـوـنـ لـكـ عـنـهـ مـحـيدـ وـلـاـ مـحـيـصـ ، وـمـنـهاـ ماـ قـدـ اـعـتـرـفـ عـلـىـ نـفـسـكـ
انـكـ فـيـهـ مـعـانـدـ مـتـرـدـ لـاـ تـقـبـلـ حـجـةـ وـلـاـ تـصـغـيـ اـلـىـ بـرـهـانـ وـمـنـ كـانـ كـذـلـكـ فـدـوـاهـ عـذـابـ النـارـ النـازـلـ مـنـ سـمـاءـ اوـ
فـيـ حـمـيـمـ اوـ بـسـيـوـفـ اوـلـيـاءـهـ.

(١). من حـجـجـ الرـسـولـ (صـ) فيـ هـذـهـ الـمـنـاظـرـ الـطـوـيـلـةـ الـبـالـغـةـ.

تفجر الأرض بهذه المياه؟ و «لن» البادئة في هذه الاقتراحات تحيل الإيمان ولو فجرت الأرض كما تطلبو، حيث أحملتم الإيمان بالقرآن لنبي القرآن وهو أهم المعجزات وأتمها!. ان التفجير الأول من فعلي ولا حجة فيه ، والثاني من فعل ربى ولا تؤمنون به حيث «لن» فيه ، أخرى منها في حجة القرآن ألا تصدقونها!

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٩١).

فإن كان كالأول فكالاول ، او كالثاني فكالثاني ! ... «او ليس لأصحابك ولك جنان من نخيل وعناب بالطائف فتأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهر خلالها تفجيرا؟ أفصتم أنبياء بهذا؟ لا! فما بال اقتراحكم على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أشياء لو كانت كما تفترحون لما دلت على صدقه ، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنه يحتاج بما لا حجة فيه ويختندع الضعفاء عن عقوتهم وأديانهم ، ورسول رب العالمين يجل ويرتفع عن هذا! ^(١).

﴿أَوْ ثُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ ... في قوله ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (ان في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم ، فاما تريده بهذا من رسول الله ان تهلك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك ، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله ، وليس ححج الله لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه ومن الفساد ، وقد يختلف اقتراهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه والله لا يجيء تدبيره على ما يلزمهم بالمحال ..

وهل رأيت يا عبد الله طيبا كان دوائه للمرضى على حسب اقتراهم وانما

(١). من حججه (ص) في نفس المناظرة.

يفعل به ما يعلم صلاحه فيه ، أحبه العليل او كرهه ، فأنتم المرضى والله طبيبكم فان أنفذتم لدواءه شفاكم وإن ترددتم أسمكم ..

وبعد فمتي رأيت يا عبد الله مدعى حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيته على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ إذا ما كانت ثبتت لأحد على احد دعوى ولا حق ، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

﴿أَوْ تُأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (٩٢) يقابلوننا ونعاينهم ! فان هذا من الحال الذي

لا خفاء به ، لأن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيء ويدهب ويتحرك ويقابل حتى يؤتى به ، فقد سألتم بهذا الحال الذي دعوتم اليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنكم شيئاً ولا عن احد .

يا عبد الله! او ليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقogram عليها؟ بلـى !
أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك او بسفراء بينك وبين معاملتك؟ سفراء! أرأيت لو قال معاملوك وأكرتك وخدمك لسفرائك لا نصدقكم في هذه السفارة إلـا ان تأتوا بعد الله بن أبي امية نشاهدـه فنسمع منه ما تقولون عنه شفاهـا كنت تسـوغـهم هذا؟ او كان يجوز لهم عند ذلك؟ لا! . فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس ان يأتـوـهم عنـكـ بـعـلامـةـ صـحـيـحةـ تـدـلـهـمـ علىـ صـدقـهـمـ يـجـبـ عـلـيـهـمـ انـ يـصـدـقـهـمـ؟ بلـى ! . أرأيت سـفـيرـكـ لو انهـ لـمـ سـمعـ منـهـ عـادـ إـلـيـكـ وقال : قـمـ معـيـ فـإـنـهـمـ اـقـتـرـحـواـ عـلـيـ مـجـيـئـكـ معـيـ أـيـكـونـ لـكـ انـ تـقـولـ لهـ : اـنـاـ أـنـتـ رـسـوـلـ مـبـشـرـ وـآـمـرـ؟ بلـى !

فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسـوغـ لـأـكـرـتـكـ وـمـعـالـمـكـ ان يـقـرـحـوهـ عـلـيـ رسـوـلـ إـلـيـهـمـ ، وـكـيـفـ أـرـدـتـ منـ رسـوـلـ ربـ الـعـالـمـيـنـ انـ يـسـتـنـدـ الىـ رـبـهـ بـانـ يـأـمـرـ عـلـيـهـ وـيـنـهـيـ وـأـنـتـ لـاـ تـسـوـغـ مـثـلـ هـذـاـ

على رسولك الى أكرتك وقوامك؟ هذه حجة قاطعة لابطال كل ما ذكرته في كل ما اقترحه
يا عبد الله ! .

٥ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ رُّحْبَرٍ﴾ وهو الذهب «أما بلغك ان لعظيم مصر بيوتا؟
بلى ! أقصار بذلك نبيا؟ لا ! فكذلك لا توجب بمحمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) لو كانت
له نبوة ، محمد لا يغتنم جهلك بحجج الله .

ام تعني تكون بيت من زخرف دون اسباب ظاهرية؟ فالرسول لا يبيت في بيت من
زخرف ! ولو كان له لم تكونوا لتومنوا إذ لم تؤمنوا و «لن» بآية القرآن وهي أكبر الآيات وأتمها
، ثم لا تقف اقتراحاتكم لحدّ !

٦ ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ ٧ ﴿وَلَنْ نُؤْمِنْ لِرُقْبِكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ ... يا
عبد الله ! الصعود الى السماء أصعب من النزول منها ، وإذا اعترفت على نفسك انك لا
تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ثم قلت ﴿حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ من بعد
ذلك ، ثم لا ادري أؤمن بك او لا أؤمن ، فانك يا عبد الله ! مقر أنك تعاند حجاج الله
عليك ، فلا دواء لك إلا تأدبيه على يد أوليائه البشر او ملائكته الزبانية ، وقد انزل الله عليّ
حكمة جامعة لبطلان كلما اقترحه :

﴿فَلَنْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ما ابعد ربى عن ان يفعل الأشياء على
ما يقترحه الجهل بما يجوز وبما لا يجوز ، و ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ لا يلزمني إلا اقامه
حجـة الله التي أعطـاني ، فليس لي ان آمر على ربـي ولا انهـي ولا أشير فأكون كالرسـول الذي
بعثـه ملـك الى قـوم مـخالفـيه

فرجع اليه يأمره ان يفعل بهم ما اقترحوه عليه^(١).

وَثُمَّ إِذَا رَقَى فِي السَّمَاءِ بِمُحَاوْلَةٍ بَشَرِيَّةٍ أَوْ مَعْجِزَةً إِلَهِيَّةٍ فَهَلْ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَنْزَلَ مِنْهُ كِتَابًا يَقْرَئُونَهُ؟ وَمَجْرِدُ الرَّقِيِّ إِلَيْهَا دُونَ وَسَائِلٍ آيَةً إِلَهِيَّةً لَا تَفْسُحُ مَجَالًا لِتَنْزَلِ كِتَابًا يَقْرَئُونَهُ! فَهَلْ مِنْ خَطَّ اللَّهِ فِي صِدْقَوْنَهُ، وَكَيْفَ هُمْ عَارِفُونَ خَطَّهُ؟ وَهَلْ هُوَ كَخَطِّ الْبَشَرِ فَمَا هِيَ مِيزَتُهُ الَّتِي تَجْعَلُهُ خَطَّ اللَّهِ، وَإِنْ لَا فَكِيفَ يَقْرَئُونَهُ، وَهَنَالِكَ خَطَّهُ التَّكَوِينِيُّ «رَقِيَّهُ فِي السَّمَاءِ» لَوْ رَقَى يَقْرَئُ وَلَيْسُوا بِمَصْدِيقِهِ، وَهُنَاكَ خَطَّةُ التَّدْوِينِيِّ «الْقُرْآنُ» وَفِيهِ الْكَفَايَةُ مَعْجِزَةً كَامِلَةً تَقْرَأُهُ وَلَا يَصِدِّقُونَهُ، وَمَنْ ثُمَّ لَوْ نَزَلَ بِخَطَّ مِنَ السَّمَاءِ يَقْرَئُونَهُ فَكَيْفَ يَعْرَفُونَ أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَمْ يَأْخُذْهُ مَعَهُ فِي رَقِيَّهِ؟

الرسول هنا يؤمر ان يغلق الأبواب السبع من جحيم المعارضات بكلمة مختصرة محتصرة تحوي كل هذه التفاصيل ﴿فَلَمْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟

﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ ان يغريكم بجهلكم مواضع الحجة فيحتاج بما لا حجة فيه ، ام فيه حجة الإلحاد ، ام هو من الحال ، ام جائز فيه حجة ادنى من حجة القرآن ، واستحاللة الایمان فيها أقوى منها في القرآن ، ثم لا تقف هذه المقترفات لحدّ!

﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟ والخارقة ليست من صنع الرسول ، انا هي من امر الله وفق تقديره وحكمته ، ولا ان طلبها من شأن الرسول فان الله يعلم بماذا يرسل رسوله حتى تصدق رسالته ، فشأن الرسالة وأدبهما يمنعنه ان يفعل ما يقترحون ، او يسأل ربه بما يقترحون.

(١). هذه الحجج كلها نقلها عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري عن أبيه علي بن محمد (ع) عن رسول الله (ص).

انني بشر ولست إلها ، رسول من الله ولست إلها ، وسبحان ربى ان يتخللى في إرساله عن ألوهيته ، وسبحانه ان يتبع اقتراحات عباده او رسوله فيها سبحانه سبحانه هل كنت إلا بشرًا رسولًا؟

وأنتم تطلبون مني ان افعل هذه الخارقات ام غيرها من محالات ام سواها ، وي كأنني إله اقدر على ما تطلبون ، وهم لم يطلبوا إلا منه ، لا ان يطالب ربى ^(١) او اني فوق الإله التحکم عليه ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلَاهُ﴾ ويكون الله وملائكته تحت إمرتي ، ان لو أمكن إتيانكم فانا الآتي بكم دون استدعاء!

فلا ان بشرى تقتضي هذه او تلك ولا رسالى ، حيث الرسول مؤمن وليس آمرا ، رسول فليس مرسلا من أرسله : ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ ...﴾! ولا تقتضي الرسالة إلا حمل آيتين من آيات الله : آية الوحي ، والآية التي تثبت الوحي ، آية ظاهرة تدل على آية غير ظاهرة ، ثم لا يرسل بآية أخرى إلا إذا اقتضت الضرورة الرسالية ، فضلا ان يأتي هو بآية او يأتي بالله والملائكة قبلا! ﴿فَلَنْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾؟ لا شأن لبشر إلا كسائر البشر ، ولا لرسول إلا حمل ما حمل من رسالة ، لا تقلد القدرة الغيبية المطلقة ذاتيا ولا رساليا ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ من رباني عبودية ورسالة ، من أن أكون له شريك ، او ان أكون له ربا فأنحكم عليه ، وعليه إيجابي! ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾؟ جوابا جامعا يستحصل متطلباتكم الخاوية كلها!.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾(٩٤).

(١). حيث قالوا : حتى تفجر ... فتفجر خلالها ... ترقى في السماء.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ (٢٣ : ٣٤) ﴿فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا﴾

(١) نَسْأَلُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ (٤٤ : ٥٤) ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِيَشَرِّينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٤٧ : ٢٣).

فلا نهم لم يدركوا قيمة البشر وانه في احسن تقويم ، فاستكثروا على بشر ان يكون رسولا الى بشر! وهذه سنة الله الدائبة التي لا تتبدل : ضرورة المجازة بين الرسول والمرسل إليهم ، إنما للحججة وقطعها للمعاذير ، فهي رحمة ومنة إلهية انبعث الله الى البشر بشرا كما الى الجن جنا ام من ذا؟ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ وَيُنَذِّرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ (٦ : ١٣٠). فاما رسول الانسان انسان ورسول الجن جان كما رسول الملك ملك.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَتَرَلَنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥).

ومع غض النظر عن ضرورة المجازة فالمملوك الرسول الى بشر يجب ان يباشر البشر ، والمملوك على كونه ملكا لا يرى فالواجب إذا ان يظهر بمظهر البشر ، فأنتم ترونوه بشرا وليس ببشر! فماذا أفادكم هذا المظهر إلا ضررا في عدم المجازة : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا جَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَّبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِبِّسُونَ﴾ (٦ : ٩) فعادت النتيجة الى ضرورة المجازة رؤية وإنما للحججة.

وترى هذه ضرورة ، فلما ذا الجن يرسل له بشر ، أليس محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رسولا الى الجن والبشر وسواءهما من العاملين؟

ان رسالة الرسول الى غير بشر ثانوية وبواسطة غير بشر ، فكما ان الرسول الى الرسول البشر ملك لا بشر ، كذلك الرسول الى رسول الجن

بشر ، كما الآيات في الجن والحاقة تتحقق هذه الرسالة : ان رسول الجن مرسلون من جانب الرسول محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وان لم يكونوا رسلاً وحيٍ حيث انقطع به الوحي ، ولكنهم قبل الرسالة المحمدية كان يوحى إليهم على هامش الوحي الى بشر ! . إن رسالة ملك الى جن قد تصح وتصلح لو لا مانع عدم المجانسة^(١) ام ان الملك يرسل الى رسول الجن كما الى رسول الانس ، اللهم الا في الرسالة الاسلامية !.

وقد تلمح الآية ان الحياة المطمئنة الأرضية تتطلب رسالة سماوية ، فـ ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ﴾ اطمئنانا في مشيهم بقاء عليها لا نزولا مؤقتا لإبلاغ أمر كما في رسول الوحي ام من ذا؟ واطمئنانا على الحياة الأرضية ، فهناك ﴿تَنَزَّلُنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لا من نفس الأرض ﴿مَلَكًا رَسُولًا﴾ ولكنما الماشون المطمئنون في الأرض ليسوا ملائكة ، إنما هم انس وجان ، فليبعث إلينهم بشر رسولا ، مهما يتلقى هو وحيه من ملك رسول .

هنا لك فرق بين الرسول الى الرسل ، والى سائر المكلفين ، فالمجانسة لازمة في الرسالة الثانية دون الاولى ، ولتتم حجة الرسالة ويعيش المرسل

(١) فالرسول الأول إنما هو حامل رسالة كالبريد دون اي مزيد من إنذار وتنبيه فلا ضرورة ولا رحاحة في مجانته للمرسل إليهم الرسل ، ولكن الرسول الثاني بشير ونذير وحجة في رسالته بتطبيقه ما أرسل به ولا تطبيق على الرسول الأول الا في الواجبات الأولى لاختلاف الجنس . فالملائكة لهم عقل بلا شهوة ، والانس والجن يجمعانهما فالتكليف إذا غير التكليف الا ما يعم عامة العالمين .

إليهم رسولهم لكي يستطيعوا التلقى عنه دون وحي ، بل برؤيه وسماع ^(١).

﴿فَلَنْ كَفِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِنِي وَبِئْسَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهَ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمَيَا وَئِكُمَا وَصُمَمًا مَاْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلُّمَا حَبَتْ زِدْنَاهُمْ

(١) ولكن **«رُشْلَةٌ مِنْكُمْ»** تصريحه أو تلميحة ان الجن محسنة بينهما رحمة ومنة إلهية ، وما يرويه العياشي في تفسيره عن عبد الحميد بن أبي الدليم عن أبي عبد الله (ع) **«قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً»** قالوا : ان الجن كانوا في الأرض قبلنا ببعث الله إليهم ملكا ، فلو أراد الله ان يبعث إلينا بعث ملكا من الملائكة وهو قول الله **«وَمَا نَعَّ** **النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً»**.

هذه الرواية لا تدل على عدم الجن محسنة الا قبل هذا النسل الانساني ان بعث ملك الى جن ، ولكنه من كلام هؤلاء الناكرين ينقله عنهم الامام (ع) وجوابه أولاً لا دليل عليه ولو كان فرسالة الملك الى رسول الجن لا إلى المرسل إليهم.

سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمْبُعُوثُونَ حَلْقًا
 جَدِيدًا (٩٨) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ
 لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبَّ فِيهِ فَأَبَى الطَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ حَزَانَ رَحْمَةً رَّبِّيْ إِذَا
 لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتَوْرًا (١٠٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيْنَاهُ
 فَسُئَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءُهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظْنُكَ يَا مُوسَى مَسْخُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ
 عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُوَلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَأَيْ لَأَظْنُكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا
 (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرِقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنِي
 إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

الآخرة جئنا بكم ليفتاً (٤٠) وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيراً (١٠٥) وفَرَآنَا فَرْقَنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلَنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَنْكُونُ وَيَرِدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ إِلَهًا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلُلِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا (١١١)

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ حَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦).

إنه لا بد من شهادة الهيئة لإثبات رسالة إلهية ، ولا تخليوا عن احدى

زوايا ثلاث : ١ ان يريهم الله نفسه ليشهد برسالة رسوله ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِبِيلًا﴾؟

وهذه المقابلة مستحيلة حتى للرسل أنفسهم! ٢ ام يوحى إليهم فيشهد كما يوحى الى الرسل؟

ولو كانوا يستحقون وحياماً احتاجوا الى رسل! ولا تنحصر الشهادة الإلهية بوحى!

فهل ان دلالة الكون الحادث على المكون الحدث هي دلالة الوحي ، ام دلالة الفطرة

والعقل بمساندة الحس ، فهلا تكفي هذه الشهادة الإلهية على حدوث الكون إلا ان يظهر

الله بنفسه او يوحى بهذه الشهادة؟!

٣ أن يشهد لرسالة بافعال تخصه دون سواه ، حيث الأفعال الخاصة الإلهية باهرة لا

تخفي على ذي حجى!

ثم قد تكون هذه الشهادة حسية بآيات حسية عابرة كسائر المعجزات المحسوسة كشق

البحر والقمر ام ماذا ، وهي آيات غير خالدة لا تناسب بوحدتها شريعة خالدة!

ام شهادة علمية . عقلية . فكرية ، لفظية . معنوية اماهية والقرآن يجمعها كلها

وهذه شهادة الله الكافية بين محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وبين العالمين : ﴿قُلْ كَفِي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ ماذا تكفيهم وتغنيهم من شهادة خالدة

تعيشهم وتعيشهم عبر الأجيال والزمن ، ولا يزداد في خلوده إلا ظهوراً وبهوراً كلما تقدمت العقول والعلوم في كافة الحقوق.

فتلك إذا شهادة إلهية خالدة كافية تعم الشهادات كلها وتطم ، وسائل الشهادات

هامشية تعبد الطريق لهذا الشهادة الكبرى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ...﴾ (٦ : ١٩)

﴿لَكِنَ اللَّهُ يَشْهُدُ إِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ

يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً ﴿٤﴾ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً ﴿٤﴾ :

١٥٩

إن القرآن هو أكتر الشهادات الإلهية لهذه الرسالة السامية ، ثم الرسول نفسه ، ثم كتابات الوحي المبشرة برسالته ، ثم صنيعه وفصيله علي (عليه السلام) فهو إذا في مربع من الشهادات متصلة ومنفصلة : ﴿أَقْمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَئُنُّوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَخْزَابِ فَالثَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحُقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١ : ١٧).

فَ﴿بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ هو قرآنـه ونفسـه المقدسة و﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ علي (عليه السلام) ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ﴾ كـأم الكتابـات الرسالية قبل القرآنـ.

﴿مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَخَسِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبِكُمَا وَصُمًا مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زُدَنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧).

﴿مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ﴾ هـداـية ثـانية بـعد الأولى ، فـمن يتـقبل هـدى الله دـلـلة واستـدلـلا يـهـدي الله إـيـصالـا إـلـى حـقـ الـهـدى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٤٧ : ١٧) ﴿وَيَرِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْ هُدًى﴾ (١٩ : ٧٦) ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ حيث لا يـضـلـ بـعد هـدى الله .

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ حيث لم يتـقبل الـهـداـية الأولى فـعارضـها وـأنـكـرـها ، فـانـه يـحرـم بـعد عن هذه الـهـداـية الأولى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٦١ : ٥) إذا ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يـهـدونـه ، إـذ لا هـادـي ولا ضـالـ إـلـا الله ﴿يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٦ : ٩٣) كلـ بما قـدـمهـ المـهـتـديـ والـضـالـ منـ هـدىـ اوـلـ اوـ ضـالـ ! : ﴿فَلَنِ إِنَّ اللّٰهُ يُضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (١٣ : ٢٧) ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ﴾ (١٦ : ٣٧)

﴿فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَالَ اللَّهُ وَمَا لَهُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٠ : ٢٩) .

ولأن الناس يخشرون كما عاشروا فليحشر هؤلاء العمى البكم الصم ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكُمَا وَصُمًا﴾ كما عموا تعاميا عن بصائر الله ، وابكموا خرسا لا يتكلمون عن آيات الله ، وإنما لإبطالها وفصلها عن عباد الله ، وصموا عن الاستماع إلى كلمات الله ، فهم أولاء يخشرون كما عاشروا ولا يظلمون نقيرا! .

ان الوجه ببصره ولسانه واذنه مخلوق لحكمة المواجهة للحقائق ان يمشي به الإنسان سويا على صراط مستقيم ، فمن يمشي في حياته مكتبا على وجهه في الاولى سوف يحشر مكتبا على وجهه في الاخرى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكْبِرًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧ : ٢٢) ﴿وَنَخْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ...﴾ كما حشروا أنفسهم يوم الدنيا على وجوههم ! ف «الذى أمشاهم على أرجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم» ^(١)

وترى إذ يخشرون هكذا فكيف الترائي والتسامع والتلاسن بين اهل الجنة والنار ، وبين أهل النار أنفسهم مع بعض؟

إن حشرهم هكذا عذاب فوق العذاب ، ومن ثم بعد حشرهم يتبدل عذابهم هذا باخر فيه يتصرون ويسمعون ويتكلمون كعذاب آخر فوق

(١) الدر المنشور ٤ : ٢٠٣ أخرج ابو داود الترمذى وحسنة وابن حزير وابن مردوحه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله (ص)! وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : ان الذي ... اما انهم يتقوون بوجوههم كل حدب وشوك أقول وأخرجه جماعات آخرون على اختلافات ولكنها متفقة فيما نقلناه في المتن.

عذاب آخر فوق عذاب! وعلى آية حال ف :

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ : سكن لهما وصار عليها خباء وغشاء من رمادها ام ماذا **﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾** كما الأول ، فان السعير بعد الخباء زيادة على الخباء ، لا زيادة للسعير على ما كان قبله ، زيادة العذاب ! ولماذا يزيدهم سعيرا على سعيرهم؟ لأنهم اخباءوها؟ وليس منهم ولن ! ام انهم كانوا يستحقون هذه الزيادة من قبل؟ فلما ذا لم تتحقق لهم من قبل؟ . فلتكن زيادة السعير زيادة بعد الخباء باعادة مثل السعير ! ، وعلة كما تعاد جلودهم التي نضجت لتتضخم تلو الأخرى : **﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلُنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** (٤ : ٥٦) ففاعلية كل سعير هي نضج الجلد ، ثم تبدل جلودا غيرها فزيدوا لنضجها سعيرا ، سعير تلو سعير لنضج تلو نضج دون ان يخفف عنهم العذاب او يفتروه في مبسون !

ولماذا تداوم السعير دون فتور في عذابهم؟ :

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئْنَا لَمْبُعُوثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨). **﴿أَوْمَّ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَبِّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾** (٩٩).

هنا لك كفر بآيات الله وكبراها القرآن ، وقوله النكران للمعاد **﴿إِذَا كُنَّا عِظَاماً﴾** خلوا عن لحوم «ورفاتا» حيث تتبدل العظام رفاتا ، فتصبح الأبدان رفاتا فوق رفات **﴿إِنَّا لَمْبُعُوثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا﴾** كما كنا يوم الدنيا؟!

ذلك الكفر وهذا النكران جزاءه مأوى الجحيم ومزيد السعير بعد الخباء ... !

﴿وَلَمْ يَرَوْا﴾ ضمن ما رأوا ، حيث الواو تعطف هنا لغير المذكور ، فهم يرون الخلق

الجديد ويلمسونه ليل نهار بموت ثم حياة ثم موت ومن ثم حياة ، ثم رؤية عقلية تفوقها

وعمهم وان لم يروا هذه وتلك **﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ**

مِثْلَهُمْ﴾ لا «ان يخلقهم» فقد خلقهم وأفناهم وهم يتشكرون في خلقهم الآخر الذي هو

خلق لشبيهم ، ماثلة في الصورة الإنسانية وعينية للمادة التي زالت عنها تلك الصورة ، ويخلق

لها مثلاً مرة اخرى ! **﴿بَلْ هُمْ فِي لَبَسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** (١٥ : ٥٠) ولا يعني الخلق الجديد

وخلق أمثلهم إلا الناحية البدنية من الإنسان حيث تفني صوريًا ثم تخلق صورة اخرى ، واما

الروح فهو باق لا يفنى إلا صعقة حتى يخلق البدن خلقاً جديداً ، وهو المتকفل للوحدة بين

الإنسان في النشأتين فيحقيقة الإنسانية ، كما ان الأجزاء المعادة من بدنـه يوم المعاد هي

المتكفلة لوحدته البدنية ، فلا يعني المعاد إلا عود الروح إلى مثل بدنـه صورة والـى عينـه مـادة!

ثم و «مثـلـهم» في اصل الخلقة و **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرٌ مِّنْ خَلْقِ النَّاسِ**

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠ : ٥٧) فالمعنيان هنا معنيان من «مـثلـهم».

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رِيبَ فِيهِ﴾ : أجـلا فـرادـى موـتا عنـ الحـيـاة الـدـينـيـا إـلـى الـبـرـزـخـ ،

وـجـمـاعـات : نـقلـة عنـ الحـيـاة الـبـرـزـخـيـة إـلـى الحـيـاة الـأـخـرـى ، ولا رـيبـ فيـ ايـ منـهـما ! **﴿فَأَبْيَ**

الظَّالِمُونَ﴾ أنـفـسـهـمـ ، المـتـهـكـكـونـ عـقـولـهـمـ ، المـتـغـافـلـوـنـ عـنـ ضـمـائـرـهـمـ ، العـمـيـ الصـمـ الـبـكـمـ عـنـ

آيـاتـ اللهـ . أـبـوا عـنـ كـلـ حـقـ **﴿إِلَّا كُفُورًا﴾** كـفـرـا وـكـفـرـانـا .

وذهب ان اجل الموت لا ريب فيه عند احد ، ولكن اجل المعاد فيه مرتابون كثير
فكيف ﴿لَا رَيْبٌ فِيهِ﴾ في مطلق الأجل؟

هنا نفي للريب لا نفي الشك ، فمهما شك في المعاد شاكون ، ليس لشكهم سبب
مربيب فلا يرتابون ، فكما القرآن لا ريب فيه وفيه شاكون كثير ، كذلك المعاد لا ريب فيه
على شكه الكثير! ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ حَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأْمَسْكَتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (١٠٠).

ترى وما هي الصلة بين خشية الإنفاق هنا ، المحتفظة بنكران الرسالة والمعاد مسبقا ،
وبذكرى آيات الرسالة ملحقا ، والموضعان ليسا موضع إنفاق أو إقتار؟

نجد الجواب في ﴿وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيَتِينَ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٤٣ : ٣٢).

فحزائن الرحمة المقصودة هناك هي الرحمة الروحية اصليا وسوها فرعيا ، وعللها هنا هي
الظاهرة فباحتري الباطنة ، فالحزائن هي الموضع التي جعلها الله تعالى جهات لدور الرزق
ومنافع الخلق ، ترفع الأيدي عند السؤال والرغبات واستدرك الخير والبركات ، ثم وأحرى
منها بركات معنوية فلو ان هؤلاء المعتبرين على الرسالة الحمدية وسوها كانوا يملكون
﴿حَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ الرحمة الربانية الروحية الرسالية «لأمسكتم» عن إنفاقه لمن يستحقها
﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ الإنفاق ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ مسما بخيلا ، لا بما لنفسه فقط بل
وبرحمة الله ، ولا بما يفني فقط بل ورمى لا يفني من رحمة الله.

... لِيَسْتَ الْآيَةُ الْكَافِيَّةُ الْقُرْآنُ تَنَكِّرُ لِأَنَّهَا غَيْرُ حُسْنِي ، فَمَنْ قَبْلَ كَفَرُوا بِآيَاتِ حُسْنِي
 أَوْتَبَتْ رَسُولُ اللَّهِ رَغْمَ قَوْلِهِمْ ، ﴿لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَنِ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ ...﴾ (٤٨ : ٢٨) ﴿أَوْمَّ يَكْفُرُوا إِمَّا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِهِ﴾ (١٢٤ : ٦١) ؟
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكُمْ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (١٠١).

ان فرعونة النكران لآيات الله لا تميّز بين آية حُسْنِي يعرفها كل من له إحساس ، وبين
 آية معرفية يعرفها كل من له ادنى معرفة ﴿وَجَحَدُوا إِمَّا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظَلْمًا وَعُلُوًّا﴾ .
 ترى وكيف تكون الآيات المرسل بها موسى تسعًا وهي حسب القرآن خمسة عشر^(١)
 فهل تعني الآيات هنا آيات سوى المعجزات كما يسند إلى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟^(٢).

(١) وهي اليد البيضاء ٢ . عصاه صارت حية تسعى ٣ . عصاه حيث صارت ثعباناً مبيناً تلقت ما يَا فَكُونَ ٤ .
 عصاه حيث شق بما البحر ٥ . عصاه حيث ضرب بما الحجر فانفجرت منه اثنى عشرة عيناً . ومن ثم ٦ . الطوفان
 ٧ . والجراد ٨ . والقمل ٩ . والضفادع ١٠ . والدم ١١ . وإطلاق الجبل فوقهم كأنه ظلة كأنه واقع هم ١٢ . أخذهم
 بالسنين ١٣ . أخذهم بنقص من الأموال ١٤ . الطمس على أموالهم ١٥ . المـن والـسلـوى .

(٢) الدر المثور ٤ : ٣٠٤ . اخرج الطيالسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة واحمد والترمذى وصححه والنـسـائـى
 وابن ماجه وابـو يـعلـى وابـن حـرـير وابـن المـنـذـر وابـن أـبـي حـاتـمـ وـالـطـبـرـانـى وـابـنـ قـانـعـ وـالـحاـكـمـ وـصـحـحـهـ وـابـنـ مـرـدـوـيـهـ وـابـوـ
 نـعـيمـ وـالـبـيـهـقـيـ مـعـاـ فيـ الدـلـائـلـ عـنـ صـفـوانـ بـنـ عـسـالـ أـنـ يـهـودـيـنـ قـالـ أـحـدـهـمـ لـصـاحـبـهـ انـطـلـقـ بـنـاـ إـلـىـ هـذـاـ النـبـيـ
 نـسـأـلـهـ فـأـتـيـاهـ فـسـأـلـهـ عـنـ قـوـلـ اللـهـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ)ـ : ١ـ . لـاـ تـشـرـكـواـ
 بـالـلـهـ شـيـئـاـ ٢ـ . لـاـ تـزـنـواـ ٣ـ . لـاـ تـقـتـلـوـ النـفـسـ الـتـيـ حـرـمـ اللـهـ إـلـاـ بـالـحـقـ ٤ـ . لـاـ .

والآيات المذكورة في ؟؟ شتنات الآيات هي المعجزات الى فرعون وملئه أما ذا ، دون آيات ؟؟ التوراة احكامية ؟؟ أماهية !

والحل ان التسع لا تستغرق كل ما أرسل به موسى من آيات ، وانما **في تسع آيات إلى فرعون وقومه** (٢٧ : ١٤) وهي التسع المذكورة في آيات (١) ثم اربعة اخرى هي خاصة ببني إسرائيل (٢).

وهنا لك روایات في تعديد التسع الآيات تتعارض بعضها البعض والكل تعارض القرآن (٣) !

. تسرقوا ٥ . ولا ؟؟ تسحروا ٦ . ولا تمشو ببرئي الى سلطان فيقتله ٧ . ولا تأكلوا الربا ٨ . ولا تقدفوا محسنه ٩ .
وقال ولا تفروا من الزحف شك شعبة وعليكم يا يهود خاصة الا تعذبوا في السبت ، فقبلًا يديه ورجليه وقال
نشهد انكنبي قال : فما يمنعكم ان تسلما؟ قالا : ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريتهنبي وانا نخاف؟؟ ان
اسلمتنا ان تقتلنا اليهود

(١) وهي اليد البيضاء ٢ . عصاه حية تسعى ٣ . عصاه ثعبان مبين ٤ . الطوفان ٥ . الجراد ٦ . القمل ٧ .
الضفادع ٨ . الدم ٩ . ضرب الأموال بنقص وطمس وأخذهم بالسنن.

(٢) ١ . من نتق الجبل ٢ . والمن والسلوى وهموا واحدة ٣ . وانفجار العيون من الحجر ٤ . وفلق البحر ، وهذه
الرابعة لا تمت بصلة الى فرعون وملئه حيث أغرفهم والآية تقول «**وَمَا تُرِيْهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَهَا**
وَأَخْدُنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» والعذاب هنا تحريفية الآيات ولا رجوع في آية الغرق .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٤٥٧ ح ٢٢٩ في تفسير العياشي عن سلام عن أبي جعفر (ع) قال : سألني نفر من
اليهود عن الآيات التسع التي أتيتها موسى بن عمران (ع) فقلت : العصا وإخراجه يده من جيبه بيضاء والجراد
والقمل والضفادع والدم ورفع الطور والمن والسلوى آية واحد وفلق البحر قالوا صدقت و ٤٥٨ في قرب الاسناد
للحميري باسناده الى موسى بن جعفر (ع) في الآية قال : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والعصا ويده ورواه مثله في الحصول عن هارون بن حمزة الغنوبي الصيرفي عن أبي عبد الله (ع).
وبينهما اختلاف في رفع الطور والمن والسلوى المذكورة في الأولى دون الثانية وفي الحجر .

هذه الآيات من صغراها وكبراها الى فرعون وملئه كلها بینات ، ولكنما الفرعنة الحمقاء لا تبقى ولا تذر : ﴿... فِي تَسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. وَجَحَدُوا إِلَيْهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظَلْلَمًا وَعَلَوْا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٧ : ١٤).

ومن ظلم فرعون وعلوه قوله الفاتكة ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ وجنوننا ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمْ يَخْنُونَ﴾ (٢٦ : ٢٦) ﴿فَتَوَلَّ يُرْكِنِيهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٥١ : ٣٩) ف ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ يفسر المسحور انه الجنون ، تعبيران عن حالة واحدة ثانيتها انه ساحر حيث الساحر ليس ليعني المسحور ! فكلمة الحق وبصائره لا تصدر في عرف الطاغية إلا عن ساحر او مسحور : الجنون : لا يدري ما يقول او يسحر فيما يفعل او يقول !

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُوَ لَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَشْوِرًا﴾ (١٠٢).

انظر الى رب موسى في مناظرته مع اطغى الطغاة وأحمقهم ، يستند لإبطال كونه مسحورا الى علم فرعون ان هؤلاء نازلة من رب السماوات والأرض بصائر^(١) وإذ لا تتصر أنت بهذه البصائر فلا بصر لك إذا ولا

. والطوفان المذكورين في الثانية دون الأولى ، ثم التوافق في سبعة اخرى. ومن ثم بعض الآيات الخاصة ببني إسرائيل ليست الى فرعون وملنه.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٦٢ ح ٢٣٠ مجمع البيان وروي ان عليا (ع) قال في «علمتك» والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال : لقد علمت أقول : هل كذب موسى او استند الى علم نفسه ف «علمتك» بضم النساء ، واستناد المناظر على المناظر بعلمه نفسه جهل ، فهذه الرواية مختلفة مخالفة للقرآن كما وتعارضها اخرى في نفس المصدر ح ٤٦٣ في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي المحارود عن أبي جعفر (ع) في قوله **«فَأَرَادَ**

بصيرة ﴿وَإِنَّ لَأَظْنَكَ يَا فِرْعَوْنَ مَسْبُورًا﴾ هالـکا في بعدين من الأبصار ، حیوانا في بصرک ، وإنسانا في بصیرتك !.

يقول : «لأظنك» حال انه متيقن معلوم ، رعاية لأدب المنااظرة ألا يتتجاوز الكلمة الفرعونية : ﴿وَإِنَّ لَأَظْنَكَ يَا مُوسَى﴾ ظنا بظن ، ولا يملك ظن فرعون حجة ، ولموسى الحجة البالغة في يقينه ولكنه يعبر عنه بالظن معارضـة بالمثل !.

والمثبور هو الـھالـک المدمر بجهله وجهـالـتـه تقـصـيـرا ، حيث غـربـت بـصـيـرـتـه وـعـزـبـعـه عـقـلـه ، بما أـھـلـکـه طـغـيـانـه ، وـأـنسـاه إـنـسـانـه .

وترى لماذا «ھـؤـلـاء» وهي لـمـن يـعـقـلـ؟ عـلـه لـأـنـا بـصـائـرـلـلـعـقـولـ ، صـادـرـة عن خـالـقـ العـقـولـ لـمـن يـعـقـلـ .

ثم وسـنـادـھـؤـلـاءـ إلى رب السـمـاـوـاتـ والأـرـضـ تـبـيـهـ اـنـاـ لـيـسـتـ لـتـصـدـرـ عن غـيرـهـ ، فـأـنـتـ أـنـتـ يا فـرـعـونـ تـدـعـيـ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وـلـا تـقـدـرـ عـلـى أـصـغـرـ آـيـةـ مـنـهـ او تـدـفعـعـنـهـ ، فـكـيـفـ تعـطـفـ بـهـاـ إـلـى سـحـرـ اـمـ جـنـونـ ، فيـ حـيـنـ انـ العـقـلـاءـ بـأـجـمـعـهـ لـا يـسـتـطـعـونـھـاـ وـلـا أـصـغـرـ آـيـةـ مـنـهـ ، وـحتـىـ الـأـرـضـيـةـ فـيـھـاـ فـضـلـاـ عـنـ السـمـاءـ !

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِرَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾ (١٠٣).

إـرـادـةـ استـفـزاـزـيـةـ فـرـعـونـيـةـ ، فـرـارـاـ عنـ الحـجـجـ الـمـوـسـوـيـةـ بـالـبـصـائـرـ الإـلـهـيـةـ ، وـلـجـوـءـ إـلـى طـغـوـيـ مـادـيـةـ هيـ سـنـةـ لـلـطـغـاتـ ، حيثـ يـوـاجـهـونـ الحـجـةـ الـعـقـلـيـةـ بـالـقـوـةـ الـلـاـعـقـلـيـةـ ... فـلـانـهـ ما استـفـزاـزاـ لـحـجـتـهـ وـصـدـاـ عـاقـلـاـ

. أـنـ يـسـتـفـرـھـمـ مـنـ الـأـرـضـ﴾ أـرـادـ انـ يـخـرـجـھـمـ مـنـ الـأـرـضـ وـقـدـ عـلـمـ فـرـعـونـ وـقـوـمـهـ مـاـ انـزـلـ تـلـكـ الـآـيـاتـ الـاـللـهـ عـزـ وـجـلـ ، وـتـؤـيـدـهـ الـآـيـةـ : وـجـحـدـواـ بـھـاـ وـاسـتـيـقـھـاـ أـنـفـسـھـمـ ... بـعـدـ الـآـيـةـ : فـلـمـ جـاءـھـمـ آـيـاتـنـاـ مـبـصـرـةـ قـالـوـاـ هـذـاـ سـحـرـ مـبـينـ .

لمعجته ، أراد أن يستفزهم من الأرض استصالا عن الأرض كلها بقتالهم ، او إخراجا عن أرض الفرعنة ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾ دون إبقاء ! : ﴿فَأَتَبَعْوُهُمْ مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرُكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهُدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِزْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْفَنَا تَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ تَمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦) . (٦٧) :

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ حِنْتَاهُ كُمْ لَفِيفًا﴾ (١٠٤) .

الأرض هذه هي ارض مصر كما استضعفوا فيه : ﴿وَرُبِيدَ أَنْ مُّنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢٨) : ٥ فالمستضعفون من بني إسرائيل سكنوا ارض مصر وراثة عن فرعون وملئه ، ولو كانت هي الأرض المقدسة لصرح بها ، ثم ولا صلة بها لوقفهم إذ أغرق الله فرعون وجنوده في يم مصر ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ : (عذاباً ما لمن عصى) ﴿حِنْتَاهُ كُمْ﴾ : (أنتم وآل فرعون) «لفيفا» : خلطاء مع بعض دون ميزة قومية إلا بأعمالكم.

وقد يعني ﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ هنا فيما يعنيه المرة الآخيرة من مرتباتهم كما في مفتتح الأسرى : ﴿... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُوقُوا وُجُوهُكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرُّوا مَا عَلَوْا تَتَبَرِّرًا﴾ والجبيحة اللفييف . إذا . هي الجبيحة السوداء لاسوداد في وجوههم أكثر وتبثيرهم باليدي القائم المؤمل (عجل الله فرجه) وأصحابه .

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) .

هنا لك إنزال للقرآن وهناك نزول له يختلفان فعلية وفاعلية مهما اتفقا

في الحق ، ففاعلية الحق هي ان الله أنزله في حالة الحق حيث الحق مادته وكيانه وقوامه ، وبسبب الحق وغايته ... فهل نزل كما انزل ، دوغا اصطدامه حين انزل بصدامات الشياطين امّن ذا ، ودوغا خطاء في منزله : قلب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولا فيمن انزل به : الروح الأمين ، ولا في مقامه في منزله الأول وسائر منازله حتى القيمة الكبرى؟ اجل **﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾** وهنا لك فعليته فلا تجد فيه إلا الحق ، ولا في منازله إلا نزول الحق ، ولا في غاياته إلا الحق : **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** (٤١) : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾** به **﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾** ببشراته «ونذيرًا» بنذاراته دون ان تزيد فيه ولا ان تنقص عنه!

فالحق إنزالاً وزولاً سداه وحمته ، مادته وغايته ، صورته وسيرته ، قوامه واهتمامه ، ومكانه ومكانته بأحق ما يكون من معنى للحق ، دون شوب للباطل فيه او نقص ونسخ يعتريه!

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَا لِتَقْرَأُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦).

هنا لك قرآن غير مفروق هو النازل عليه ليلة القدر ، وقرآن آخر مفروق هو النازل عليه طوال البعثة : **﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾**.

وهذا الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يعيه محكمًا دوغا فرق ولا مكث ، ولكن الناس ليسوا ليعرفوه ويفهموه إلا على مكث ، بل ولبيثت قلب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على آياته البينات تطوراً وتثواراً : **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُرِّئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُنَاحًا وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِتُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾** (٣٥ : ٣٢).

فهنا لك فرق بين فرق القرآن للرسول ثبّيتاً لفؤاده ما وعاه محكماً ، وفرقه للمرسل إليهم ليعروه ومن ثم تثبّت عليه افتديهم ! .

ثم ان فرق القرآن له بعدان ، بعد الألفاظ حيث فرقت في نجوم عدة عبر الرسالة ، فصلاً له في سور وآيات وذلك بمنزلة فرق الشعر وهو تميّز بعضه عن بعض حتى ينزل التباسه ويخلص التفافه .

وفرق المعاني اي بياناً للناس بنصوص مصباحه وشدوخ أوضاحه حتى صار كمفرق الفرس في وضوح مخطّه ، او كفرق الصبح في بيان منبلجه .

فمن واجب القراءة للقرآن ان يقراء على مكث ويرتل ترتيلًا دونما استعجال ، ولقد كان اصحاب النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتعلّمون القرآن على مهل خمساً اما زاد او نقص دون ان ينشروه نثر الدقل او يركموه ركم الركام ! .

ثم من فرق اللفظ في القرآن كما أشرنا فرقه الصغير بالآيات ثم الكبير بالسور كما تذكر ان في عديد من الآيات ، وأما الفرق بالركوعات والسجودات والأجزاء اما ذا ما اصطلاح عليه القراء فلا اثر عنهما في القرآن .

صيغة السورة والسور نجدها في عشر ، منزلة (٩ : ٦٤) تدرجياً ، او منزلة (٩ : ٨٦) دفعياً ، والسور القرآنية لا تخلو عن إنزال او تنزيل وإن كان تنزيلها أكثر ^(١) .

ولأن السورة والأية من صنيع الوحي فعديد هما كذلك وحدودهما ايضاً من الوحي ، ومهمماً اختلفت القراء في عدد السور والأيات فلا اختلاف في ألفاظ القرآن الموجودة بين الدفتين ، والسور حسب الرسم المتواتر مائة

(١) فالتنزيل في موردين ثانيهما «لَوْ لَا نُزَّلْتَ شُورَةً» (٤٧ : ٢٠) والإنزال في خمسة ، والثلاثة الباقية إتيان لها «فُلْ قَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلَه» (٣٨ : ١٠).

واربع عشرة ، ومهمما اعتبرت سورتا الضحى ولم نشرح وسورتا الفيل وإيلاف سورة واحدة ، فهذه الوحدة حكمية وليس واقعية.

ثم عديد الآيات ، رغم الاختلافات الستة فيها^(١) لا تضر بالحفظ على كلمات القرآن وحرفوه وهي محدودة دونما اختلاف.

ومن أهم الخلافات بين الشيعة والسننة تحسب البسملات من السور وعدم تحسبها حيث البون بينهما يصبح في ١١٣ . آية وليس حسب الكتب القرآني إلا اختلافا صوريًا ، وكون البسملة آية في النمل يحتم كونها آية أينما كانت من السور !.

وما لا يربيه شك ان ترتيب الآيات وال سور كما الآن مثل تركيب السور والآيات كل ذلك من الوحي دون تدخل من غير الوحي فان الكل من فرق القرآن ﴿فَرَأَنَا فَرَقْنَاهُ﴾ !
 ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ إِلَّا ذَقَانٍ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) و﴿يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمْفَعُولاً﴾ (١٠٨). و﴿يَخِرُّونَ إِلَّا ذَقَانٍ يَبْكُونَ وَتَرِيدُهُمْ حُشُوعًا﴾ (١٠٩).

إن شرائط اليمان به لزاما حاصلة ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أنتم الجدد في واجهة وحي الكتاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ : علم الوحي الكتاب والبشرة فيه بحق القرآن ، أولئك يؤمنون به ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ حَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠ : ٦) يعرفونه في بعدين اثنين ، ١ فبالمقاييسة بين الوهين

وحي

(١) اختلفوا ان آياته ستة آلاف ام ومائتان واربع ام واربع عشرة ، ام وتسع عشرة ، ام وخمس وعشرون ام وست وثلاثون.

القرآن يفوق سائر الوحي ام لا يقل عنه ٢ وبما بشر بنزول القرآن كما في كتاب اشعياه^(١).
وكما يعرفون محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ١٤٦) بنفس
البعدين.

﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ : تحضوا له وتواضعوا واحتراما ، ليس في
آيات السجدة فحسب ، بل والقرآن كله ، وهذه قضية الایمان الصادق.

وهذه ثلاثة الآيات الدالة على وجوب الاستماع للقرآن ثانيتها كهذه : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٨٤ : ٢١) وأولاها : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٧ : ٢٠٤) واقل السجود للقرآن استماعه إذا قرئ ،
وأكثره السجود للأذقان في استماع سائر القرآن ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَرِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾
وأوسطه واجب السجود عند استماع آيات السجود وهذه منها.

ولأن الخرور للأذقان سجود ، فهو ساعغ في الصلاة لمن لا يمكنه سواه^(٢) ولعل
«يخرون» الأول خرور الخضوع بالجوارح والثاني خرور الخشوع بالجوانح ، تدرجا من الجارح
إلى الجانح ، حيث البكاء من مظاهر

(١) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٣١ ح ٤٧٠ في تفسير علي بن ابراهيم حدثني أبي عن الصباح عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال : قلت له : رجل بين عينيه قرحة لا يستطيع ان يسجد عليها ، قال : يسجد ما بين طرف شعره ،凡 لم يقدر سجد على حاجبه الأيمن فان لم يقدر فعلى حاجبه الأيسر فان لم يقدر فعلى ذقنه ، قلت : على ذقنه؟ قال : نعم اما تقراء كتاب الله عز وجل ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾؟

خشوع الجارح كما الخشوع يختص بالجارح!.

﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ إِلَّا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ إِلَيْهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٢٠ : ٨) ﴿هُوَ اللَّهُ الْحَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٥٩ : ٢٤).

آيات اربع في سائر القرآن ان الله تعالى الأسماء الحسنى فادعوه بها لا سواه ، فهناك اسماء سيئة تختلق^(١) واخرى حسنة تخلط بين صالح وسواه^(٢) لا تناسب أي من هذه او تلك الساحة المقدسة الإلهية ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ . ﴿إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ حيث يصفونه بالحسنى التي وصف بها.

وقد يلوح من ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أن أنسا كانوا معتبرين على دعوة الرحمن كأنه غير الله فهذه ثبوة تنافي دين التوحيد وكما يروى ان الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) صلى بمكة ذات يوم فدعى الله فقال في دعائه «يا الله يا رحمن» فقال المشركون انظروا الى هذا الصابئ ينهانا ان ندعوا إلهين؟ وهو يدعوا إلهين؟ فانزل الله ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية» وكان رجل باليمين يسمى رحمـن^(٣).

(١) كالأسماء الخاصة بالملحوظين مثل الأكل. الذاهب ، الملاشي ، الخائف ، الراجي أما ذا؟

(٢) كالأسماء التي تجمع بين اللاقى بذاته وغير اللاقى ك «الواجب الوجود». الوجود المطلق مقابل الوجود المحدود حين يعني منها سinx واحد في اعتقاد وحدة حقيقة الوجود.

(٣) الدر المثور ٤ : ٣٠٦ . اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال : صلى .

ان هؤلاء الحماقى خيل إليهم بطبيعتهم الشركية ان عدد الاسم دليل لعديد المسمى ، على غفلة ان اسماء الله تعالى هي تحبيرات اللغات وتعبيرات شتى عن صفاته الذاتية والفعلية دون تعديد في الذات او في حقيقة صفات الذات ، او الذات وهذه الصفات ، فاما هذه الأسماء الحسنى التي تناسب ساحة الالوهية تعبيرات حسنى عن ذات واحدة بحقيقة الوحدانية.

والاسم . أيا كان . ما يدل على مسمى ، فهو إذا غير المسمى ، سواء أكان لفظيا كأسماء الله الحسنى التي ندعوه بها ، ام عينيا كسائر الكون فانها بذواتها تدل على خالقها ، ام وخصوص الأولياء المكرمين ولا سيما اهل بيته الرسالة الحمدية (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فإنهم من اسماء الله الحسنى ندعوه بها ، ثم لا يكون لعديد الأسماء اللفظية عديد من معان في ذات الله ، اللهم إِلَّا اسماء الأفعال الدالة على عديد الأفعال ، وهي حادثة بارادة الله تعالى ، منفصلة عن ذاته وليس في ذاته او عينها. واما اسماء الصفات الذاتية كالعلم والحياة والقدرة فهي تدل على حقيقة واحدة مجردة عن اي تركب دون حقائق هي عين الذات او عارضة على الذات ! وهذه الثلاثة اركان لسائر اسمائه الحسنى (١) .

رسول الله (ص) ... وفيه اخرج ابن جرير عن مكحول ان النبي (ص) كان يتهجد بمكة ذات ليلة يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين فلما أصبح قال لأصحابه انظروا ما قال ابن أبي كبيشة يزعم الليلة الرحمن الذي باليمين وكان باليمين رجل يقال له رحمن فنزلت الآية.

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٢٣ ح ٢٧١ عن الكافي بسانده عن أبي عبد الله (ع) قال : ان الله تبارك وتعالى خلق اسمابالحرروف غير مصوت وباللفظ غير منطبق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار ، وبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كل متوجه ، مستتر غير مستور ، يجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معا ليس .

وترى «هل كان الله عز وجل عارفاً بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟ نعم! فهل يراها ويسمعها؟ ما كان يحتاجا الى ذلك ، لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها ، هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة ، فليس يحتاج ان يسمى نفسه ، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأول ما اختاره لنفسه **﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسميه العلي العظيم هو اول اسمائه علا على كل شيء»^(١).

فأسماء الله الحسنى بثلاثتها الأركان وسائر الفروع ، إنما ليست إلا حاجة الخلق لا حاجته ، ولا أنها تحكى عن عديد من الحقائق المختلفة في ذاته وحتى الثلاثة الأركان ، اللهم إلّا ذاتاً واحدة بحقيقة الوحدة ، مجردة عن أي تركيب بأي معنى!.

. واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفافة الخلق إليها ، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكون والمخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان ، فذلك اثنى عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثة أسماء ، فعلاً منسوباً إليها فهو : الرحمن . الرحيم . الملك . القدس . البارئ . الخالق . المصور . الحي . القديس لا تأخذه سنة ولا نوم . العليم . الخبير . السميع . البصير . الحكيم . العزيز . الجبار . المتكبر . العلي . العظيم . المقتدر . القادر . السلام . المؤمن . المهيمن . المشئ . البديع . الرفيع . الجليل . الكريم . الرازق . المحبي . الميت . الباقي . الوراث : فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثة وستين اسماء فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة اركان وحجب الاسم الواحد المكون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٧٢ ح ٢٢٣ عن اصول الكافي باسناده عن ابن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا (ع) هل كان الله ... أقول : فالسائل ابن سنان والجواب الامام الرضا (ع) كما في المتن.

ف «من عبد الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بایقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقا» ^(١).
ف ذات الله تعالى غير هذه الأسماء وهي غيرها ^(٢) وإنما هي تحبير اللغات عن الذات المقدسة بصفاته الذاتية والفعالية.

﴿قُلِ اذْعُوَا اللَّه﴾ الاسم الأعظم الظاهر للذات المقدسة **﴿أَوْ اذْعُوَا الرَّحْمَن﴾** أعم الأسماء الشاملة للرحمة الإلهية **﴿أَيَا مَا تَدْعُوا﴾** من أسماءه التي تعنيه وحده **﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخُلْقُنِ﴾** التي يدعى بها ... **﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** إلحاد النكران او الشرك بالله ، إلحادا في مثلث الأسماء ، ففي اللفظية كأن تختلق ما يعني معنى تحيد عنه ذاته او صفاته وأفعاله ، من اسم ذات او صفة ذاتية او فعلية ، وفي العينية ان تتحذ آلة من دون الله أو تشرك بها الله ككلملائكة والنبيين أمن ذا من المقربين اليه ، ام من الطواغيت .
وكذلك اعتبار صفاته . وحتى الذاتية . معاني زائدة على ذاته ، او تعني منها مثل ما تعنيه من صفات غيره .

للله اسماء لذاته تعالى فمن ظاهرها «الله» ومن باطنها «هو» واسماء

(١) في التوحيد للصدوق عن ابن رئاب عن غير واحد عن أبي عبد الله (ع) قال ...

(٢) في التوحيد مسندنا وفي الاحتجاج مرسلا عن هشام بن الحكم قال : سألت أبي عبد الله عن اسماء الله عن ذكره واستيقافها فقلت : الله ما هو مشتق؟ قال يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مأدتها والاسم غير المسمى . وذكر مثل ما عن ابن رئاب الى ان قال : فقلت زدني فقال : ان الله تبارك وتعالى تسعه وتسعين اسمًا فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهًا ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره .

لصفات ذاته وهي الحياة والعلم والقدرة ، ثم أسماء لصفات فعله كسائر أسمائه الحسنة ، والإلحاد في شيء منها لفظياً أو معنوياً ، كما في الإلحاد في الأسماء العينية المنفصلة كسائر الموجودات ، أو التي يوصف هو بها ، فالإلحاد في كل ذلك محظوظ !^(١)

ومن الإلحاد في أسمائه تعالى المنهي عنه في آيته (٧ : ١٨٠) ان تتخذ معاني زائدة على ذاته ، ام ولها مظاهر من خلقه هي مواليد تلكم الأسماء فتبعد من دون الله ، والمناهي المؤكدة عن عبادة الاسم او مع المسمى أنها كفرا وشرك ، لا تعني الأسماء اللفظية حيث لا يعبدتها احد ، وإنما تعني المعاني الزائدة على ذاته سبحانه ان تبعد هي او مظاهرها إلحادا او إشراكا . يجمعها ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾! إلحادا لفظيا او معنويا او عينا^(٢).

فلا أن أسماءه معاني زائدة على ذاته سواء في ذلك الصفات الذاتية والفعلية ، ولا ان لها مظاهر تبعد ، كل ما هنا لك تبخير اللغات كما أسلفناه ، او أسماء عينية هم أفضل خلقه من رسليه وأولياءه حيث يدعى الله بهم كما امر : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ دونما استقلال لهم في دعاءهم ، ولا عبادتهم من دون الله !.

فاختلاف أسماء له تعالى قد يعني إلحادا في أسماء او اشراكا ، فما التوحيد في أسمائه إلا التي سمى بها نفسه المقدسة ، ولأن أسماءه صفاته و ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فإنهم لا يصفونه إلا

(١ ، ٢). من اللفظي ان تسميه بأسماء خاصة لخلقه سواء في اسم الذات أو صفة الذات أو صفة الفعل. ومن العيني ان تظن أحد من خلقه انه إله في شريكه أو جزئه ، ومن المعنوي ان تعني مثلا من «العالم» علما كعلم خلقه ، او تتصور له معنى أيا كان ، او تنزعه عن ان تعلم معنى علمه ولكنك تظن أنه زائد على ذاته!

بما وصف به نفسه ، فأمثال العلة والواجب وأضراهما من اسماء فلسفية أمّا هي؟ من اسماء غير مقتبسة من مشكاة الوحي كلها اسماء إلحادية مهما اختلفت دركاتها ! ولسنا نعرف من اسمائه معاني ايجابية كالتي نألفها ونعرفها لأنّه باين عن خلقه وخلقه باين منه ، وإنما نعني نفي مقابلاً لها وهو تسبيح بالحمد فلا الحمد والتوصيف فقط ، ولا التسبيح فقط ، وإنما تسبيح بالحمد يعني نفي المقابلات للصفات الثبوتية ، وإذا فالصفات الإلهية كلها سلبية مهما اختلفت سلبية سالبة عن سلبية موجبة في تحبير اللغات .

﴿... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

الجهر والإخفات وصفان متضادان ، أترى بعدهما مطلقاً منهيان ، والنتيجة ألا تصلي أصلاً ، حيث القراءة لا تخلوا عن جهر ما أو إخفاف ! ام المنهي عنه من الجهر أعلى ومن الإخفات أدناه؟ وهذا هو السبيل الوسط المأمور به ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ! فلا سبيل وسطاً في قراءة الصلاة إلا عواناً بين عالي الجهر وداني الإخفات .

فالجهر المأمور به في جهريّة الصلوات ، والإخفات المأمور به في إخفاتيتها هما في السبيل الوسط ، جهر دون العال وإخفاف فوق الدان ، فقد يخفت لحد لا يسمع نفسه بأدنى اذن؟ فلا! او يجهر لحد يسمع البعيدين عنه في أعلى الجهر؟ فكذلك لا^(١) ، بل ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ و «المخافته ما دون سمعك والجهر ان ترفع صوتك شديداً»^(٢) . ولماذا الجهر العال في صلاتك؟ ألتسمع ربک؟ وهو اقرب إليك من

(١) العياشي عن سليمان عن أبي عبد الله (ع) في الآية قال : الجهر بما رفع الصوت والمخافته ما لم تسمع اذنها .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٧٦ ح ٢٣٣ في الكافي عن سماعيه قال سأله عن قوله الله عز وجل «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا» قال

حبل الوريد : و ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ام تسمع المؤمنين معك؟ فلا عليك إلا السبيل الوسط^(١). ام ولتسمع الكافرين؟ وهم بسماعهم او استماعهم يؤذونك!^(٢).

ثم ولماذا الإخفات الدان ، لحد تحرم نفسك عن سماعه ، واقل السماع في صلاتك ان تسمع نفسك ، ام تحرم الذين معك؟ فلما ذا وهم في صلاتك صامتون لا يقرؤون ، أفحربمانا لهم عن قراءتهم وعن قراءتك؟ ، ف ﴿إِبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ وإن كانت تختلف السبيل في جهريتها وأقلها إسماع من بجنبك ، وفي إخفاقها فلتسمع فيه نفسك دون جوهريه لصوتك لتسمع ، وانما همس سمعه غيرك ام لم يسمع ، وكما ثبت في السنة المقدسة الاسلامية.

وترى ان الحكمة في ترك الجهر العال هي فقط التقية عن أذى

(١) المصدر ح ٤٧٧ القمي عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله (ع) : أعلى الامام ان يسمع من خلفه ، وان كثروا؟ قال : ليقراء قراءة وسطا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾.

(٢) تظافرت الرواية عن طريق الفريقين انه «كان رسول الله (ص) إذا كان بمكة جهر بصوته فيعلم به مكانه المشركون فكانوا يؤذونه فأنزلت هذه الآية «نور الثقلين عن العياشي عن أبي جعفر وابن عبد الله (ع).

وفي الدر المنشور ٤ : ٢٠٦ . اخرج سعيد بن منصور واحمد والبخاري ومسلم والترمذى والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حابن وابن مردويه والطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية قال : نزلت ورسول الله (ص) بمكة متوار فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سموا القرآن. ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه (ص): ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ...﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابلغ بين ذلك سبيلا» يقول : بين الجهر والمخافنة واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان النبي (ص) يجهر بالقراءة بمكة فيؤذني فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾.

المرشكين ، فلا نهي إذا فيما لا تقية ، بل وفيه تعظيم شعائر الله ، ولا سيما إذا أسمعت الصلاة بالسماعات والإذاعات؟ عله نعم! حيث الوارد في الروايات هو هي لا سواها! إذا فلا محظوظ في الجهر العال.

او ترى ان هناك حكمة اخرى على من يجهر علـ الله يسمعه اكثـ وافـ ، فقضـ على سنة الجهر العـ لهـ وتـ لا وـ حـ دـ هـ ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٣٠ : ٧) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٦٧ : ١٣) ، ولكنـما تلمـانـ بالـتنـديـدـ لـمـ يـجـهـرـ عـالـياـ أمـ غـيرـ عـالـ إـسـمـاعـالـ رـبـهـ وـهـ فيـ حدـ الـكـفـرـ بـالـلـهـ! وـاـماـ الجـهـرـ أيـاـ كانـ لـغـرضـ إـسـمـاعـ الـمـؤـمـنـينـ دـونـ تـقـيـةـ عـنـ الـكـافـرـينـ ، وـلـتـعـلـواـ كـلـمـةـ اللـهـ وـتـعـظـمـ شـعـائـرـ اللـهـ فـلاـ منـعـةـ فـيـهـ حـسـبـ الـآـيـاتـ! اللـهـمـ إـلـاـ ماـ تـلـمـحـهـ آـيـةـ الـأـعـرـافـ : ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥ : ٧) ولكنـماـ الـأـمـرـ بـحـكـمـ ذـكـرـ لـيـسـ خـيـاـ عنـ الجـهـرـ ، وـالـمـنـهـيـ عـنـهـ فـيـ آـيـتـاـ هوـ الجـهـرـ العـالـ لـاـ مـطـلقـ الجـهـرـ ، إـذـاـ فالـجـهـرـ الـذـيـ لـاـ يـخـرـجـ المـصـلـىـ عـنـ حـالـةـ الصـلـاـةـ مـنـوـحـ ، اللـهـمـ إـلـاـ الطـوارـئـ تـقـيـةـ إـمـاـ ذـاـ فـمـنـوـعـ .

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلُّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا﴾ (١١١)

«وقـ» في نفسـكـ وجـهـراـ ، إـظـهـارـاـ لـهـذـهـ الحـقـيقـيـةـ وـاجـهـارـاـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلـ الحـمدـ منـيـ ومنـ كـلـ حـامـدـ ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بـأـيـ معـنـيـ منـ الـولـادـةـ ، حـقـيقـيـةـ وـتـشـرـيفـيـةـ. لـاـ فـقـطـ اـنـهـ ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بـعـدـ الـأـزـلـ ، بلـ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ مـنـذـ الـأـزـلـ الـلـاـوـلـ ، وـلـداـ وـغـيرـ وـلـدـ ، وـلـمـاـ شـرـيكـ فـيـ الـمـلـكـ؟ أـلـعـجزـ عـنـ مـلـكـهـ ، اـمـ ذـلـكـ فـيـ وـحدـتـهـ؟ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مـنـ الدـلـ﴾ مـنـذـ الـأـزـلـ الـلـاـوـلـ ﴿وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا﴾ فـيـ نـفـسـكـ تـوـحـيدـاـ نـاصـعاـ

خالصا ، وفي الآخرين الذين صغروه باتحاذ ولد ام شريك في الملك او ولي من الذل «تكبيرا»
يجتث جذور الإشراك عن بكرتها ، ويبلور التوحيد عن كل شائبة آئية من مختلقها.

«سورة الأسرى» اسراء الرسول الى المسجد الأقصى . هل هو القدس او السدرة المتهى ؟ ٧٩ .

٢٥

كيف انحصرت الدعوة التواتي في «الا تتخذوا من دوني وكيلًا؟» ٣١ . ٢٥
 إفسادان اسرائيليان عالميان . يقضي على كلّ بثار مسلمين . هذه هي المرة الأولى منهمما وقد يقضي عليها بالشورة البدائية من ايران . ليس «عبداؤ لنا» بخت النصر وإنما هم من أصلح ثائري التاريخ . هؤلاء يدخلون المسجد الأقصى مرتين ثانيةهما قيام المهدى عليه السلام .
 الفصل بين الإفسادين . أنباء الدولة الألهية وابناءها . تصريحات كتابية . بهذا الصدد . القائم في العهدين . احاديث اسلامية تشير الى هاتين الثورتين او تصرح ٧٤ . ٣١
 هدي القرآن للتي هي اقوم؟ آية الليل وآية النهار؟ ٩٣ . ٧٥
 انعكاس الاقوال والاعمال في اعضاء المكلفين . كتاب الاعمال؟ ١٠١ . ٩١
 حجة البعثات الرسالية وسائر الحجج ١١٢ . ١٠٣
 قول فصل «في اذا اردنا ان نملك قرية ...» وكيف هي هذه الإرادة ١٢٠ . ١١٢
 معجلات مرید العاجلة ومؤجلاته . والسعى المشكور لمرید الآخرة ١٣٠ . ١٢٢

مشكلة الخلود الالهائي في النار بقول فصل . فناء النار بمن في النار	١٤٠ - ١٣٠
مسؤوليات الاولاد تجاه الوالدين	١٥٩ - ١٤٣
حق ذي القرى في قول فصل وانهم هم قرى الرسول (ص)	١٦٥ - ١٦٠
كلام فصل حول التبذير . اليد المغلولة الى العنق والمبسوطة كل البساط في قول مبسوط ..	١٦٥
	١٧٦
قتل الاولاد خشية إملاق . مساويء الزنا في قول فصل	١٨٤ - ١٧٦
قتل النفس المحرن وسلطانولي المقتول؟	١٨٩ - ١٨٤
«لا تقربوا مال اليتيم .. واوفو بالعهد ..» وايفاء الكيل والوزن	١٩٤ - ١٨٩
اتباع غير العلم محظور . مسجد الكون بتسيبيح شامل كل الكائنات» «ولكن لا تفهومن تسبيحهم» !	٢١٨ - ١٩٤
ابقاء الوسيلة الى رب.....	٢٣٩ - ٢٣٦
القرى المهلكة والمعدبة قبل يوم القيمة؟ «وما منعنا أن نرسل بالآيات»؟	٢٤٤ - ٢٣٩
ما هي الشجرة الملعونة في القرآن؟ «ءاسجد لمن خلقت طيناً من دلائل القفزة الطينية في خلق آدم دون التكاملة الدارونية!	٢٥٣ - ٢٤٤
استفزازات شيطانية	٢٦٥ - ٢٥٨
بنو آدم مفضلون على كثير فمن هم القليل.....	٢٧٤ - ٢٧٨
كتاب كل انس واماهم؟ «لولا ان ثبتناك لقد كدت ..»؟	٢٨٧ - ٢٧٤
الصلوات الحمس باوقاتها . ما هو غسق الليل وقرآن الفجر	٢٩٧ - ٢٩٠
كيف التهجد «نافلة لك» وهو واجب عليه (ص)؟	٢٩٩ - ٢٩٥
«مدخل صدق .. ومخرج صدق»؟ شفاء القرآن ورحمته	٣٠٩ - ٣٠٠

- ما هي شاكلة كل إنسان؟ ٣١٤ . ٣٠٩
- «يسألونك عن الروح» قول فصل في المسؤول عنه وعدم مجرد الروح ٣٢٠ . ٣١٤
- أنسباخ القرآن من القلوب أم ...؟ ٣٣٧ . ٣٣٢
- تحدي الجن والإنس باليتيم بمثل القرآن . اقتراحات المعجزات غير الدالة على الرسالة! «قل سبحان ربي هل كنت إلا يشراً رسولاً؟!؟!؟!» ٣٤٨ . ٣٣٧
- الشهادة الإلهية في القرآن ٣٥٥ . ٣٥٣
- كيف «آتينا موسى تسع آيات» وهي خمس عشر؟! ٣٦٢ . ٣٦٠
- حكمة فرق القرآن دون نزوله دفعة واحدة ٣٦٧ . ٣٦٥
- الأسماء الحسنى؟ ٣٧٤ . ٣٦٩